سلسلة الرسائل الأنصارية
(١ - ٦)

رسائل في العقيدة

١ - تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد .
٢ - مقدمة على كتاب الإبانة عن أصول الديانة .
٣ - الإعلان بأن لعمري ليست من الأيمان .
٤ - كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر .
٥ - تعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن .
٦ - تحفة القاري في الرد على الغماري .

تأليف
محدث المدينة النبوية
أبي عبد اللطيف حماد بن محمد الأنصاري
رحمه الله تعالى وغفر له
(١٣٤٤ - ١٤١٨هـ)



مكتبة الفرقان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في بعض رسائل هذه المجموعة

١- أجاد الشيخُ في هذه الرسالة وأفاد، وأبرز فيها من النقولِ المفيدةِ عن أئمةِ الإسلام، والعلماءِ الأعلام، ما يَكشِفُ الشُّبْهة، ويُزيل اللبْس، ويُرشِدُ إلى الحق، ويُوضح حقيقةَ مذهبِ أبي الحسن.

سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ـ في تقريظ المقدِّمة على كتاب "الإبانة عن أصول الديانة".

٢- تَتبَّعَ مُصنَّفاتِ أئمةِ العلم من مختلفِ الطبقات، فاستخرج لنا منها هذه النُّبْذة القيِّمَة...فأدَّى واجبَ العقيدةِ من ناحية، وواجبَ الدفاعِ عن الأشعري وكتابه "الإبانة" من ناحية، بحيث لم يدَعْ للشك مجالاً في جميع ذلك، فجزاه الله خير الجزاء.

الشيخ العلامة إسماعيل الأنصاري في تقريظ المقدِّمة على كتاب "الإبانة عن أصول الديانة".

٣- أجاد الشيخ واستوفى الكلامَ، حتى تَبيَّن الحقُّ لكلِّ مُنْصِفٍ، وقامت الحجَّةُ على كلِّ مُتَعَسِّف، من نُفاةِ الصفات، الذين يُشَبِّهون الله تعالى بالمعدومات. **الشيخ العلامة تقي الدين الهلالي في تقريظ رسالة "تَعْرِيفُ أَهْلِ الإيمَانِ"**

٤- استمعنا إلى فضيلته يُحدِّثُنا عن (فاتحة الكتاب)، وأشهدُ لقد تدفَّقَ كالسيل الهادر، يقذِفُ أفانينَ الدُّرر. **الشيخ الأديب محمد المجذوب**

٥- سمعته يُحاضر في مخيم الجامعة عن معاني "الفاتحة" فَسَحَرَ وَبَهَرَ.

الدكتور محمد الصباغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ.

فهذه هي المجموعة الأولى من رسائل والدنا محدِّث المدينة النبوية الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ـ رحمه الله تعالى وغفر له، وأعلى درجته في جنات النعيم ـ، رأينا نشرها على هذا النحو، بحيث تكون كل مجموعة في واحد من العلوم الشرعية، ويُضَمُّ فيها النظير إلى نظيره.

وهذه المجموعة تحتوي على ستة عناوين، منها خمس رسائل من تأليف الشيخ ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ هي:

١ـ "مقدِّمة على كتاب الإبانة عن أصول الديانة"

٢ ـ "الإعلان بِأَنَّ لَعَمْرِي لَيْسَتْ مِنَ الأَيْمَان".

٣ ـ "كَشْفُ السِّتْرِ عَمَّا وَرَدَ في السَّفَرِ إِلَىَ القَبْرِ".

٤ ـ "تُعْرِيفُ أَهْلِ الإيمَانِ بِصِحَّةِ حَدِيثِ : إِنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلَىَ صُورَةِ الرَّحْمَنِ".

٥ ـ "تُحْفَةُ القَارِي في الرَّدِّ على الغُمَارِي".

وأما العنوان السادس وهو:

٦ـ "تفسير سُورة الفاتحةِ وبيانُ ما تضمنته مِنْ أنواع التَّوحيدِ"، فمأخوذٌ من تسجيلات صوتية للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد أثنى على عددٍ من هذه الرسائل بعضُ كبار أهل العلم، وكتبوا لها تقاريظَ تُشيد بما تضمنته من علمٍ وتحقيق:

فأما الرسالة الثانية ـ بحسب ترتيب هذا المجموع والمعنونة بـ:

"مقدِّمة على كتاب الإبانة عن أصول الديانة" فكتب عليها سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ تقريظاً، تجده في مقدِّمة الرسالة ـ قال فيه: « لقد أجاد أخونا الشيخ حماد في هذه الرسالة وأفاد، وأَبرز فيها من النقول المفيدةِ عن أئمةِ الإسلام، والعلماءِ الأعلام، ما يَكشِفُ الشُّبْهة، ويُزيل اللبْس، ويُرشِدُ إلى الحق، ويُوضح حقيقةَ مذهبِ أبي الحسن الذي استقر عليه، وناضَلَ دونه، وردَّ على من خالفه، وأبان حقيقة مذهب المعتزلة، وشنَّع عليهم، وأوضحَ لأهل الإسلام بُطْلان ما عليه المعتزلة، وتهافُتَ أصولِهم، وانهيارَ قواعدهم، فجزاه الله عما صنع خيراً، وبارك في مساعيه، ونفع المسلمين بجهوده، إنه على كل شيء قدير ».

وقرَّظَها كذلك الشيخ العلامة إسماعيل الأنصاري ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ ومما قال فيه: «تَتبَّعَ البَحَّاثة المدقِّقُ الشيخ حمَّاد بن محمد الأنصاري المدرِّس بكلية الشريعة بالرياض ـ مُصنَّفاتِ أئمةِ العلم من مختلفِ الطبقات، فاستخرج لنا منها هذه النبذة القيمة، التي تحملُ في طياتِها تصريحاتِ الأشعري نفسِه بتوبتِهِ من كل ما يُعتبرُ مصادمةً لنصوص الصفات وغيرِها، واعتقاده العقيدةَ التي يعتقدُها السلفُ الصالحُ التي ضمَّنها "الإبانة"، كما تحمل إلى الأشعرية نقولَ أَجِلَّةِ العلماءِ من المتكلمين، والمحدِّثين، والفقهاءِ، والمؤرخين التي تُصَرِّحُ برجوعِ الإمامِ الأشعري إلى معتقدِ السلفِ الصالح، وأن كتابَ "الإبانة" تصنيفُ الأشعري.

فبهذا أدى مؤلف هذه النُّبْذَة واجب العقيدةِ من ناحية، وواجب الدفاعِ عن الأشعري وكتابه "الإبانة" من ناحية، بحيث لم يدَعْ للشك مجالاً في جميع ذلك.

فجزاه الله خير الجزاء، ونفع بهذا المؤلف القيم، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ »[١].

وأما الرسالة الخامسة وهي: "تُعْرِيفُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِصِحَّةِ حَدِيثِ: إِنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلَىَ صُورَةِ الرَّحْمَنِ" فقد كتب تقريظاً لها الشيخ العلامة محمد تقي الدين الهلالي ـ رحمه الله تعالى ـ ألحقناه بآخر الرسالة كما هو في الأصل المطبوع عليها ـ ومما قال فيه: «قد أجاد أخونا الأستاذ حماد بن محمد الأنصاري، نزيل المدينة النبوية ـ فيما جمعه من الأحاديثِ، وأقوالِ العلماء في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: « خلق الله آدم على صورته»»، وقد استوفى الكلامَ، حتى تَبيَّن الحقُّ لكلِّ مُنْصِفٍ، وقامت الحجَّةُ على كلِّ مُتَعَسِّف، من نُفاةِ الصفات، الذين يُشَبِّهون الله تعالى بالمعدومات».

وأما بقية الرسائل وهي متنوعة الموضوعات، فرسالة: "الإعلان بِأَنَّ لَعَمْرِي لَيْسَتْ مِنَ الأَيْمَان" بيَّن فيها الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حُكْمَ الحلف بغير الله تعالى، وأن قول القائل: "لعمري" ليس يميناً، واستدلَّ لذلك بمجيئها في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله عنهم، كما تتبع الشيخ كلام الفقهاء واللغويين فيها، حتى خلص إلى تلك النتيجة.

وأما رسالة: "كَشْفُ السِّتْرِ عَمَّا وَرَدَ في السَّفَرِ إِلَىَ القَبْرِ" فهي في حكم السفر إلى القبر، وبيان ضعف الأحاديث التي يحتج بها من يقول بذلك.

وأما رسالة: "تُحْفَةُ القَارِي في الرَّدِّ على الغُمَارِي" فهي في توضيح التوسل المشروع والتوسل البدعي، وبيان حال الأحاديث التي يحتج بها من يقول بجواز التوسل البدعي.

فكلُّ رسالة من هذه الرسائل تُعالج قضيةً عقديَّة، أو عدةَ قضايا مهمة

---

(١) انظر هذا التقريظ في مقدمة الرسالة المذكورة أيضاً.

يلزم المسلم معرفتها، والحذر من الوقوع في الممنوع منها.

ورأينا أن يُضَمَّ إلى هذه الرسائل الخمس تفريغٌ لبعض الأشرطة المسجلة، لمجالس فسَّر فيها الشيخ الوالد ـ رحمه الله ـ (سورة الفاتحة)، واعتنى فيها ببيان التوحيد وأنواعه من خلال ذلك التفسير.

وكنا قد سمعنا كثيراً من الثناء من بعض أهل العلم على تلك المجالس التي كان يُفسِّر فيها الشيخ الوالد سورة الفاتحة، ونحوها من قصار السور، وأنها حَوَت علماً جمّاً، وفوائد غزيرة.

وممن سجَّل إعجابه بواحد من تلك المجالس الشيخُ الأديبُ محمدٌ المجذوب ـ رحمه الله تعالى ـ فقال في ترجمته للشيخ: «استمعنا إلى فضيلته يُحدِّثنا عن (فاتحة الكتاب)، وأشهدُ لقد تدفَّقَ كالسيل الهادر، يقذِفُ أفانينَ الدُّرر، فما تَلَكَّأَ ولا أُرْتِجَ عليه، فكأنما يقرأ في كتاب، لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة من كنوز هذه السورة، فهو يتحف سامعيه من هذه الكنوز بما تتسع له المناسبة...» إلخ[1].

ثم قال: «وبعد عام أو أكثر حدثني فضيلة الأخ الأستاذ محمد الصباغ ـ المدرس في جامعة الرياض ـ عن مثل إعجابنا به، وذلك أنه سمعه يُحاضر في مخيم الجامعة عن معاني "الفاتحة" فَسَحَرَ وَبَهَرَ»[2].

وجعلنا "تفسير سُورة الفاتحةِ وبيانُ ما تضمنته مِنْ أنواع التَّوحيدِ" في مقدمة الرسائل الخمس السابقة، للمناسبة الظاهرة في البدء به، ولتعلقه بموضوع هذه الرسائل.

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ٥٧).
(٢) المصدر السابق (١/ ٥٧ـ٥٨).

الأصول المعتمدة في طباعة هذه المجموعة:

أما "المقدِّمة على كتاب الإبانة عن أصول الديانة"، فاعتمدنا على مطبوعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (١٤٠٥هـ)، وقابلناها على الأصل المخطوط بخط الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأما "الإِعلان بِأَنَّ لَعَمْرِي لَيْسَتْ مِنَ الأَيْمَان" فعلى نسخة مطبوعة بالآلة الكاتبة في مكتبة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ، وعلى مطبوعة مجلة الجامعة السلفية بالهند، وزيادات ألحقها الشيخ في قُصاصات متفرقة ألحقناها في أماكنها.

وأما "تُعْرِيفُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِصِحَّةِ حَدِيثِ : إِنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلَىَ صُورَةِ الرَّحْمَنِ"، فعلى مطبوعة المجلة السلفية، وعليها زيادات بخط الشيخ أثبتناها في مواضعها.

وأما "كَشْفُ السِّتْرِ عَمَّا وَرَدَ في السَّفَرِ إِلَىَ القَبْرِ"، و"تُحْفَةُ القَارِي في الرَّدِّ على الغُمَارِي"، فعلى النسخة المطبوعة ضمن (السلسلة الأنصارية) مع مقابلة "تُحْفَةُ القَارِي" على أصلها الخطي، بخط أحد تلامذة الشيخ، وتصحيحات الشيخ عليه بخطه.

وما كان من هوامش للشيخ على المطبوعات السابقة أثبتناها وأشرنا إليها في نهايتها بقولنا: "من الأصل".

وأما بقية الهوامش المتضمنة لتوثيق المصادر المشار إليها في المتن فهي من وضعنا لتيسير وقوف القارئ على مواضع تلك النقول.

ونسأل الله عز وجل أن يُوفِّق لإخراج بقية مؤلفات الشيخ الوالد ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ وأن يعمَّ النفع بها، ويجعلَها ذخراً له في آخرته، وأجراً متصلا له من بعده، آمين.

وكتب

عبد الباري بن حماد الأنصاري



تفسير سُورة الفاتحةِ

وبيانُ ما تضمنته مِنْ أنواع التَّوحيدِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ، نبيِّنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعينَ، ومَنْ تبِعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدْي هَديُ محمدٍ صلى الله عليه وعلى آلهِ وسلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وَكُلَّ بدْعَةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار. ما شاءَ اللهُ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

أَعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العَالمينَ. الرَّحمنِ الرَّحيمِ. مَالكِ يومِ الدِّين. إِياكَ نعبدُ وإِياكَ نَستعينُ. اهدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتقيمَ. صِراطَ الَّذينَ أَنْعمتَ عَلَيْهِمْ . غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.

آمين.

هذِهِ السورةُ العظيمةُ يَنبغي لكلِّ مسلمٍ أن يُلمَّ ببعضِ ما اشتملتْ عليه مِنَ المعاني الجليلةِ، التي قلَّ مَنْ يتنبَّهُ لها.

فنحنُ نَعرفُ أنَّ هذه السورةَ يَقرؤُهَا المسلمُ في كلِّ صلاةٍ سواءً كانت تلك الصلاةُ فرضاً، أو نفلاً، فلو فكَّر القارئُ في حكمةِ ذلك وسرِّه، لحَرَصَ على أَنْ يتفقهَ فيها، ويعرفَ ما هو السِّرُّ في كون هذه السورةِ ـ وحدَهَا ـ هي التي تتكررُ في كلِّ صلاةٍ، دونَ غيرِها من سورِ القُرآنِ الطِّوال، والمتوسطةِ، والقِصَار.

فلهذا رأيتُ أَنْ أُتحِفَ الإخوةَ ببعضِ ما فتحَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليَّ في هذه السورةِ من تلك المعاني، التي لو وُفِّق أحدٌ في شرحِها وإيضاحِها، فإنه سيتطلَّب ذلك منه وقتاً طويلاً، ولكن ما لا يُدرَكُ كلُّه، لا يُترُكُ جُلُّه.

فنقول وبالله نستعين:

[المؤلفات في سورة الفاتحة]:

هذه السورةُ لعظيمِ شأنِهَا، وشرفِهَا، وفضلِهَا أُفردت بالتأليف، أفردَها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في رسالةٍ جيدةٍ مفيدةٍ للغاية[(١)]، إذا قرأتَ التفاسيرَ الموجودةَ بين أيدينَا تجد أنَّ شيخَ الإسلام لخصَ من هذه التفاسير أهمَّ ما فيها، وفي مُقدمتِها: "تفسير الطبري"، الذي هو أعظمُ تفسيرٍ وُجِدَ اليومَ بين أيدينا؛ لأنه امتازَ بميزاتٍ لا تُوجدُ في أي تفسيرٍ رأيناه، أوسمعنا به، كما يُدرِكُه مَن يقرأُ هذا التفسيرَ بتمعُّنٍ ودقةِ نظرٍ.

وكذلك أفردهَا أيضاً ابنُ القيم تلميذُ شيخِ الإسلام رحمه الله بتفسيرٍ ضمن كتابه المعروف "مدارج السالكين شرح منازل السائرين للهروي"، وقد أُخِذ وأُفرِد هذا التفسير من هذا الكتاب مستقلاً[(٢)].

[أسماؤُها]:

وهذه السورةُ العظيمةُ لها أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدُل على شرفِ المُسَمَّى.

فمن أسمائها:

ـ الفاتحة: لأنها تُفْتَتَحُ بهَا الصلاة، أو لأنها افتُتح بها كتاب الله في المصاحفِ وغيرِها.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٤ ـ ٤٠).

(٢) ممن أفرد تفسير الفاتحة من "كتاب المدارج" وغيرِه ـ صاحب كتاب بدائع التفسير (١/ ١٠٧ـ٢٥٦).

ـ القرآن العظيم.

ـ السبع المثاني[١].

ـ الشافية.

ـ الكافية[٢].

ومعنى كونها كافيةً: أي تَكفي وتُغني عن غيرها، ولا يُغني عنها غيرُها، ولو قرأتَ القرآنَ كلَّه من سورة البقرة في ركعةٍ من ركعات الصلاة إلى آخر سورةِ الناس، فإنَّ صلاتَك غيرُ صحيحة، بل هي باطلة، لكنْ لو اقتصرتَ، واكتفيتَ بقراءةِ الفاتحةِ في صلاتِك كلِّها، فإن صلاتَكَ صحيحةٌ، هذا معنى كونِها كافية.

وكل اسم من هذه الأسماءِ يدُلُّ على معنى شريف، وعلى معنى عظيم، مما يدُلُّ على شرفِ هذه السورةِ العظيمة.

[أين نزلت سورةُ الفاتحة؟:]

وقد اختَلفَ المفسرونَ في أيِّ مكان نزلت، هل نزلت في مكةَ المكرمة، أو نزلت في المدينةِ النبويةِ؟

ووردت في ذلك أقوال، ولكنها كلَّها ضعيفةٌ إلا قولاً واحداً، وهو أنها نَزَلت في مكةَ المكرمةِ.

---

(١) لحديث أبي سعيد بن المعلى الذي أخرجه البخاري في صحيحه (الحديث ٤٤٧٤) وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: « ...هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أُوتيته ».
ولحديث أبي هريرة مرفوعاً: « أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم » أخرجه البخاري في صحيحه (الحديث ٤٧٠٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٨ / ١٥٦)، والدر المنثور (١ / ١٠ ـ ١٥).

وكونُ هذا القولِ هو الصحيحَ الراجحَ؛ لِمَا جاء في كتابِ اللهِ من دليل واضحٍ بيِّنٍ على أنَّ هذه السورةَ مكية في قوله تعالى: ﴿ولقد ءاتيناكَ سبْعاً مِنَ المَثاني والقرءانَ العظيمَ﴾(١).

فهذه الآيةُ من سورةِ الحِجْرِ، وسورةُ الحِجْرِ مكية.

فَمِن ثَمَّ فالأقوالُ الأخرى التي أَوردَها من أَوردَها بأسانيدَ مهلهلةٍ واهية، هي أقوالٌ ضعيفة، لا يجوز الاعتمادُ عليها.

لأن بعضَهم يقولُ: نزلتْ بالمدينة.

وبعضَهم يقولُ: نزلتْ مرتين، في مكة، وفي المدينة، وهكذا.

والقولُ الأولُ هو الصحيحُ لما تقدم في آيةِ سورة الحِجْر.

وكلمة "المثاني" في هذه الآية لها معنيان:

المعنى الأول: سُمِّيت بالمثاني لأنها تُثنَّى أي تُكرَّر في كلِّ صلاة، بحيث إذا لم تُقْرَأ في أيِّ ركعة من ركعاتِ الصلاةِ، سواء كانت الصلاةُ فرضاً أو نفلاً، فإنَّ تلك الصلاةَ باطلة.

كما جاءَ في الحديث: « من لم يقرأ بفاتحةِ الكتابِ فصلاتُهُ خِداَج»(٢).

ومعناه: ناقصة غيرُ تمام.

والمعنى الثاني: أنها تَضمَّنت من الثناء على اللهِ ما لم تَتَضمَّنه أيُّ سورة في القرآن.

ولكن المعنى الأول هو الذي دلَّت عليه نصوصٌ كثيرةٌ، مع أن المعنى الثانيَ كذلك صحيح.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) أخرجه مسلم (الحديث ٣٩٥).

أما كونُها سبعَ آيات فقد اختلف العلماءُ في ذلك:

فبعضُهم يقول: سبع آيات بالبسملة، وبعض منهم يقول: البسملةُ ليست من القرآن، أو ليست من الفاتحة.

ومما ورد في فضلها الحديثُ القُدسي: عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «قال الله عز وجل: قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبينَ عبدِي نِصْفَيْنِ: فإذا قال ﴿الحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ﴾، قال الله عز وجل: حَمِدَني عبدِي، فإذا قال العبدُ: ﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾، قال الله عز وجل: أثنى عليَّ عبدِي، وإذا قال العبدُ: ﴿مالكِ يومِ الدِّينِ﴾، قال الله عز وجل: مجَّدني عبدِي، وإذا قال العبدُ: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله عز وجل: هذا بيني وبينَ عبدِي، ولعبدِي ما سَأَلَ، وإذا قال العبد: ﴿اهْدِنا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ . غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالينَ﴾، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: هذا لعبدِي، ولعبدِي ما سَأَلَ» .

هذا الحديثُ أخرجه مالك في "موطأه" في صفةِ الصلاة[١].

وسُمِّيتْ الفاتحةُ صلاةً؛ لأنها لا تَصِحُّ الصَّلاةُ إلا بِقِراءتِها، كما جاء في الحديث: «مَن لم يَقرأْ بفاتحةِ الكتابِ فَصَلاتُهُ خِداجٌ خِداجٌ»[٢]، أي: ناقصةٌ، غيرُ تامة.

---

(١) الموطأ (كتاب الصلاة، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ١ / ٨٤ ـ ٨٥)، وأخرجه من طريقه ومن طريق غيره مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة ...١/ ٢٩٦: ٣٩٥).

(٢) تقدم تخريجه.

[بيان أن سورةَ الفاتحةِ إحدى السورِ التي أُفرِدت للتوحيد]:

وهذه السورةُ هي من جُمْلةِ السورِ التي أُفْرِدَتْ للتوحيد، والسورُ التي أُفْرِدَتْ للتوحيد أربعةٌ في القرآنِ الكريم: سورةُ الفاتحة، وسورةُ الكافرون، وسورةُ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وسورةُ الفَلَق؛ كلٌّ واحدةٍ منها انتظمت التوحيدَ الذي يَخُصُّهَا:

مثلاً سورةُ الفاتحة انتظمتِ التوحيدَ كلَّه.

وسورةُ الكافرون اشتملت على توحيد الأُلوهية، أي: العبادة.

وسورةُ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، اشتملت على توحيد الأسماءِ والصفاتِ.

وسورة الفَلَقِ اشتملت على توحيدِ الرُّبوبية.

وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يَدُلُّ على أهميةِ التوحيدِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أَنْزَلَ في هذا التوحيدِ؛ في كل نوعٍ منه سورةً كاملةً، وهذا لم يكن في الأحكامِ أبداً، ولا في الفروعِ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْـبُدُونِ﴾(١)، قولُهُ: ﴿لِيَعْـبُدُونِ﴾ هو التوحيد.

وأوّلُ أمرٍ في كتابِ الله هو الأمرُ بالعبادة، كما في سورةِ البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا ربَّكُم﴾(٢).

ومن ثَمَّ عَرفنا أن إنزالَ الله عز وجل لنا سُوَراً أربعة، كُل واحدة اشتملت على التوحيدِ، هذا فيهِ إشارة إلى أهميةِ التوحيدِ، وأنه السِّرّ في خلقِ الجنِّ والإنسِ.

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١).

وجاءت في مُقدِّمة هذه السورِ سورةُ الفاتحة، التي افتُتِح بها القرآنُ العظيمُ لماذا؟

لأنَّ هذه السورةَ اشتملت على القرآنِ كلِّه، لا تُوجد آيةٌ في القرآن إلا ومَضْمونُها موجودٌ في هذه السورة، عَرَفَ ذلك مَنْ عَرَفَه، وجَهِلَه مَنْ جَهِلَه؛ وذلك لأنَّ هذه السورةَ اشتملت على ثلاثةِ أشياءَ هي القرآن كلُّه:

الأول: التوحيدُ، الذي هو الأساسُ.

الثاني: الترغيبُ. أو: الوعدُ.

والثالث: الترهيبُ. أو: الوعيدُ. اللذانِ هما فرعٌ من الأساس.

تَضمنت هذه الأمورَ الثلاثةَ مع ما سيذكر بعدُ من تصنيفِ الناسِ بِحَسَبِ هذه الأمور.

وَجَرت سنةُ الله عز وجل في كتابه الحكيم الجمعُ بين الترغيبِ والترهيبِ، بَعدَمَا يشرحُ لنا هذا التوحيد.

ولَمَّا ذكر الله عز وجل أقسامَ التوحيد بجميعِ أنواعِها، أَتبعَ ذلك بالترغيبِ في هذا التوحيد، والترهيبِ من مُخالفةِ هذا التوحيد، ثمّ صنَّف الناس بحسب عملِهِم، أو بحسبِ اتصالِهم بهذا التوحيد.

هذه الأمورُ الثلاثة، إذا قَرأنا القرآنَ من سورةِ البقرةِ إلى آخر سورةِ الناسِ لا نجدُ آية واحدة خرجت عنها.

وبمناسبة أننا ذكرنا أن هذه السورةَ اشتملت على هذه الأمورِ الثلاثةِ، يسألُنا سائلٌ، فيقولُ: حَصْرُك هذه السورةَ، أو حَصْرُك القرآنَ كلَّه في هذه الأمورِ الثلاثةِ، كيف يتفق مع قول بعض العلماء: إن القرآن يشتمل على أمور أكثر من ثلاثة، كما نظمه الناظم في قوله:

حَلاَلٌ، حَرَامٌ، مُحْكَمٌ، مُتَشابِهٌ   بَشيرٌ، نَذيرٌ، قِصَّةٌ، عِظَةٌ، مَثَلْ[١]

هكذا يقول بعض أهل العلم: إن القرآن كلَّه يبحث عن هذه الأمور التي اشتمل عليها هذا البيت، وأنت في كلمتك هذه حصرت القرآن في ثلاثة أشياء، أي في ثُلُثِ التسعة، وَبَقِيَ ثُلُثان.

فكيف التوفيق بين ما تضمنه البيت وبين ما تقدَّم ؟

الجواب:

إن هذه الأمور التسعة التي تضمنها هذا البيت كلها ترجع إلى هذه الثلاثة.

ووجه ذلك: أنك حينما تقول: "حلال حرام".

حلال هو الوعد، وحرام هو الوعيد[٢].

وكذلك كلمة "محكم"، وكلمة "متشابه" هاتان داخلتان في الوعد والوعيد؛ لأن الآيات القرآنية:

إما أن تكون محكمة، أي لا تقبل إلا معنى واحداً، وهذا معنى المحكم.

وإما أن تكون متشابهة أي: تحتمل عدة معانٍ، بعضها صحيح، وبعضها غير صحيح، وهذا معنى المتشابه.

فهاتان الكلمتان: "محكم متشابه" تدخل في كلمة الوعد والوعيد؛ لأن الآيات التي في الوعد إما أن تكون محكمة، وإما أن تكون متشابهة، وقد عرفنا معنى المتشابه، ومعنى المحكم.

---

(١) انظر: روح المعاني (٨ / ١٢٧).

(٢) الوعد والوعيد: هما الترغيب والترهيب اللذان تقدم ذكرهما مع التوحيد.

فالمحكم عبارة عن كل آية أو عن كل جملة في القرآن، لا تحتمل إلا معنىً واحداً، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فإن هذه الآية لا تحتمل معنى غير كونها إخباراً عن أن الله عز وجل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولا يمكن لأحد أن يأتي لها بمعنى آخر.

وأما المتشابه فهو كل جملة أو كل آية في القرآن تحتمل معاني، مثل قوله عز وجل في عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلقَاها إِلَى مَريَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[1].

فكلمة: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، تعد من المتشابه، ومعنى كونها متشابهة أن حرف (مِنْ) تستعملها العرب في ثلاثة معانٍ:

ـ أولاً: مِن ابتدائية.

ـ وثانياً: مِن التبعيضية.

ـ وثالثاً: مِن البيانية.

ففي هذه المعاني الثلاثة التي استعملت فيها "مِنْ" نشأ التشابه.

فالمسلمون لما جاءتهم "مِنْ" هذه ووجدوها من المتشابه، عملوا بها كما أمر الله عز وجل في قوله عز وجل: ﴿منه ءاياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[2]، فردُّوا هذا المتشابه إلى المحكم في قوله عز وجل في الآيات الأخرى التي منها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كَمَثَلِ ءادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾[3]، والآية الثانية: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٥٩.

فبهاتين الآيتين المحكمتين تبيَّن أن "مِنْ" في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ابتدائية وليست تبعيضية كما زعم نصارى العرب، لَمَّا جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: إننا وجدْنا في كتابك الذي نزل عليك أنَّ ما ندّعيه في عيسى حق، فقال لهم: من أين لكم هذا؟

قالوا: قال الله عز وجل في كتابك الذي أنزله عليك: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.

قالوا: "مِنْ" هنا تبعيضية، ونحن عرب نستعمل "مِنْ" للتبعيض، فإذن عيسى بعضٌ من الله، ومن هنا قلنا: إنه ابن الله.

ولهذا قال الله عز وجل عن مثل هؤلاء: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وما يَعلمُ تَأْويلَهُ إلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾، على إحدى القراءتين.

لأنَّ هذه الآية الكريمة فيها قراءتان[1]:

١ـ إحدى القراءتين الوصل في قوله عز وجل: ﴿وما يَعلمُ تَأْويلَهُ إلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾، هذا الوصل.

٢ـ والقراءة الثانية: ﴿وما يَعلمُ تَأْويلَهُ إلاَّ اللهُ﴾، وتقفُ هنا، ثم تقرأ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقولونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾.

فكلتا القراءتين لها معنى غير معنى الأخرى.

ـ أما قراءة الوصل فمعنى التأويل فيها هو التفسير.

ـ وأما قراءة الوقف، فمعنى التأويل فيها الحقيقة والكيفية.

فهذا المعنى الثاني لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه الراسخون على الإطلاق.

---

(١) كأن الوالد الشيخ يعني: في هذه الآية وجهان في طريقة القراءة والوقف، كما سيوضحه.

وأما المعنى الأول الذي انبثق من الوصل، وهو أن التأويل بمعنى التفسير، فهذا يعلمه الراسخون في العلم.

وبهذا عرفنا أن المحكم والمتشابه داخلان في الوعد والوعيد.

وقوله:"قِصَّةٌ"، القصة في القرآن على قسمين:

١ـ قصة الصالحين، وهذه تدخل في الوعد.

٢ـ وقصة الطالحين[1]، وهذه تدخل في الوعيد.

وقوله: "عِظَةٌ"، معناها التذكير، والتذكير إما أن يكون بالوعد، وإما أن يكون بالوعيد.

وقوله: "مَثَلٌ"، الأمثال في القرآن قسمان:

١ـ مَثَلٌ للصالحين، وهذا داخل في الوعد.

٢ـ ومَثَلٌ للطالحين، وهذا داخل في الوعيد.

إذن الأمور التسعة التي تضمنها البيت داخلة ضمن الأمور الثلاثة التي هي: التوحيد، الوعد، الوعيد.

وكلها بمعنى واحد.

وبهذا التحليل تبين لنا كون القرآن انحصر في أمور ثلاثة، التي اشتملت عليها سورة الفاتحة، على هذا الوجه البليغ، الذي جعل هذه السورة تتقدم كعنوان بارز في غاية البروز.

وهنا سؤال يفرض نفسه يقول السائل: نحن سمعناك في أول الكلمة تقول: الفاتحة اشتملت على التوحيد وعلى الترغيب والترهيب، أين الترغيب وأين الترهيب؟

---

(١) الطَّلاح ضد الصلاح. القاموس (طلحٌ ص٢٩٦)

الجواب بتوفيق من الله تعالى:

قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين﴾، هذه الكلمة إلى آخرها تضمنت أمرين:

الأمر الأول: الترغيب في الطريق المستقيم ﴿صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ هذا الترغيب.

وثانياً: الترهيب من طريق المغضوب عليهم، والضالين.

وهذه السورة إضافةً إلى أنها اشتملت على هذه العلوم التي هي علوم القرآن، فإنها أيضاً انقسمت قسمين آخرين هما:

أولا: إنَّ أولَ هذه السورة في الثناء على الله عز وجل.

وثانياً: آخر هذه السورة في تعليمنا كيف نسأله، وكيف ندعوه، بحسب الحاجات التي تلزمنا في كل وقت، حيث إنه لما قال الله عز وجل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين﴾، هذا كلُّه ثناءٌ على الله عز وجل بأسمائِهِ الحُسْنَى وصفاته العُلَى، الذي يستحق أن يعبد دون غيره.

فما هو السِّر في كون هذه السورة ابتدأت بالثناء؟

السِّر في ذلك أن الله عز وجل يعلمنا الدعاء، وآداب السؤال، فكأنه يقول لنا:إذا أنتم تدعونني أو تسألونني، فقدِّموا أمام ذلك ـ الثناءَ على الله، وأحسن ثناء على الله ما أثنى به على نفسه في هذه السورة، حيث قال: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ. الرَّحمنِ الرَّحيمِ. مَالكِ يَومِ الدِّينِ﴾، هذا أحسنُ ثَنَاءٍ، والله عز وجل يحب الثناء، ولهذا مدح نفسه ولم يكل إلى أحد مدحه، بل هو الذي مدح نفسه أولاً، وعلمنا كيف نمدحه، وعلمنا كيف نثني عليه، كما

في الحديث: «ما مِن أحدٍ أَحبُّ إليه المَدْحُ من الله»[١]، فالله سبحانه يحب أن يمدحَه عبيدُه، ويُثنوا عليه، فلهذا علمنا كيف نُثني عليه في أول هذه السورة.

فأما كونُها اشتملت على التوحيد: فإنك حينما تقرأ هذه السور أول ما يواجهك فيها التوحيد: ﴿الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ﴾، هذا توحيد الرُّبُوبيَّة، الذي يسميه علماءُ التوحيد الصحيح: بتوحيدِ السيادة، وبتوحيدِ الخَلْق، وتوحيد المِلْك، وبتوحيد الإحياء، والإماتة، وغير ذلك.

وهذا النوع من التوحيد هو: توحيدُ الله بأفعالهِ، فنوحدُه بأنه الخالقُ، السيِّدُ، المالكُ، المحيي، المميتُ، النافعُ الضَّارُ، وغير ذلك من أسمائه التسعة والتسعين اسماً، نوحِّده بتلك الأسماء.

هذا هو المسمى بتوحيد الرُّبُوبيَّة، أي توحيدُ السيادة، توحيد الخلق، توحيد الرَّزْق، توحيد النفع والضر، توحيد الإحياء، توحيد الإماتة، وهلم جرا.

وهذا النوع من التوحيد لا يوجد مخلوقٌ من المخلوقات أنكره، وإذا وُجِدَ من أَوْهَمَ ذلك، فإنك إذا راجعته مراجعةً دقيقةً، فإنك ستجد أنه لم يُنكر هذا التوحيد، وإنما هو مُكابر من المُكابرين، كما قال فِرْعونُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٢]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرِي﴾[٣]، ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾[٤].

كلمتان قالها هذا المكابر، ولَمَّا راجعه موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ حول هاتين الكلمتين، ماذا قال الله عز وجل عن تلك المراجعة في

---

(١) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (الحديث ٤٦٣٤)، ومسلم (الحديث٢٧٦٠).
(٢) سورة النازعات، الآية ٢٤.
(٣) سورة القصص، الآية ٣٨.
(٤) سورة النازعات، الآية ٢٥.

سورة النحل: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾[١]، أقسم الله عز وجل بعزته وعظمته أن فرعون اللعين وغيره ممن كابر، وأنكر هذا النوع من التوحيد، يعلم علماً يقينياً أن الله عز وجل هو ربُّ السموات والأرض، وما بينهما.

لأن كلمة ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ فيها لام التوطئة والتمهيد للقسم، التي تتضمن قسماً مقدَّراً، فكأن الله قال: والله لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض.

إذن صارت القضية عكس ما قال فرعون في قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، ولذلك قال الله عنه في الآية الأخرى في سورة النمل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

إذن توحيد الربوبية الذي هو توحيد السيادة، الذي هو توحيد الله عز وجل بأفعاله، لا يوجد أحدٌ على الإطلاق من المخلوقات أنكره إلا مُكابرة.

وكلٌ يستطيع أن يُكابر، ولكنَّ هذه المكابرةَ تذهب عند المُحاقَّة؛ عندما تُحاقِقُ هذا الشخص حول هذه المكابرة تفضحه، وتُبَيِّنُ في هذه المراجعة والمحاورة أن هذا الشخص مكابر فقط.

والشيء الذي قد يوجد من بعض المكابرين أنه يسمي الله عز وجل بغير اسمه، مثلاً: يسميه بالمادة، أو بالطبيعة، أو بالجوهر ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النمل، الآية ١٤.

أو يدَّعي ذلك في فرعون، أو النمرود، أو يُسمِّيه بأي اسم وجده في مجتمعه، الذي كابر في هذا النوع من التوحيد.

وأمَّا أن يبقى شخص دون أن يعترف بأنَّ لهذه المخلوقات رباً خالقاً رازقاً هذا لاوجود له على الإطلاق.

وإنما الشيء الذي يوجد هو الإلحاد؛ أي: يُلحد في أسماء الله، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[١]، يعني: يُسَمِّي اللهَ بغير اسمه، ويُكابر كما كابر فرعون اللعين.

وهذا النوع من التوحيد وسيلةٌ، وليس غايةً، وهو فِطْري ﴿فِطْرَتَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢].

لو وُلِد وَلَدٌ على شاهِقِ جبلٍ، وتُرك هناك، وقَيَّض الله عزَّ وجلَّ له من يُطعمه ويَقومُ على شأنه، حتى بَلَغَ، ثم أتيتَ إليه، وهو ما رأى إنساناً، ولا دخل في مدرسة، ثم واجهْتَهُ على ذلك الجبل، وسألته، وقلتَ له: من ربك؟ يقول لك: ربي هو الله.

هذا فِطْري، وهذه فِطْرة الله التي لا تبديل لها، ولا تغيير لها على الإطلاق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: «كُلُّ مَولُودٍ يُولدُ على الفِطْرةِ، فأبواه يُهوِّدانِهِ أو يُنصِّرانِهِ أو يُمجِّسانِهِ»[٣].

ومعناه أنَّ الإنسان لا يتغير عن التوحيد إلا بسوء التعليم، وبسوء التربية، فإذا ربَّاه من لا يُحْسِن التوحيد:

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (الحديث ١٣٥٨)، ومسلم (الحديث ٢٦٥٨).

.... فكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ[١]

إن كان يهوديا نضح فيه اليهودية، إن كان نصرانياً نضح فيه النصرانية، إن كان مجوسياً نضح فيه المجوسية، إن كان أشعرياً كُلاَّبياً نضح فيه الكُلاَّبية، إن كان معتزلياً نضح فيه الاعتزالية، إن كان كرَّامياً مشبّهاً نضح فيه الكرَّامية، وإن كان حُلولياً اتحادياً نضح فيه الحُلول والاتحاد، إن كان متعصبا مذهبياً نضح فيه التعصب المذهبي، وإن كان خرافياً صوفياً متصوفاً فيلسوفاً متكلماً نضح فيه التصوف وهَلُمَّ جرّاً.

وهذا التوحيد لا يكفي في الدخول في الإسلام أبداً، المشركون قاطبة اعترفوا بهذا النوع من التوحيد، هذا أبو جهل، وأبو لهب وغيرهما، ماذا قال الله عز وجل عن هؤلاء الأعداء؟ قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[٢]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السموات السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيقولونَ للهِ﴾[٣].

وتوحيد الرُّبوبية يدل على توحيد الألوهية، دلالة الالتزام.

بمعنى: أنَّ اعترافك بأن اللهَ ربُّك، وأن اللهَ خالقُك، وأن اللهَ مالكُك، وأن الله رازقُك، هذا الاعتراف يُلْزِمُك، ويُوجِبُ عليك أن تعبُدَ هذا الربَّ، ويوجب عليك توحيد الألوهية.

كما أن توحيد الألوهية يدل على توحيد الربوبية دلالة تَضَمُّن.

---

(١) عَجُز بيت للشاعر سعد بن محمد التميمي الملقب بالحَيْص بَيْص، وصدره:
وحسْبُكُمُ هذا التفاوتُ بيننا وكلُّ إناء ...إلخ
انظر: إرشاد الأريب لياقوت (معجم الأدباء١١/ ٢٠٧)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٩٨)
(٢) سورة لقمان، الآية ٢٥.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦ ـ ٨٧.

ومعنى ذلك: أن عبادتَك لهذا الرب العظيم بما شَرَعَ، والانتهاء عما نهى عنه ومَنَعَ، يتضمَّنُ اعترافَك بربوبيتِهِ؛ لأنك لو لم تكن معترفاً برُبُوبيَّتِه لَمَا عبدته بامتثال أمره، واجتناب نهيه.

أما أنواع التوحيد الآتي ذكرها، فقد أنكرها كفار قريش، وقالوا: في توحيد الألوهية كما أخبر الله عز وجل عنهم: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَستكبرونَ﴾(١).

وفي الآية الأخرى من سورة (ص): ﴿أَجَعَلَ الآلهَةَ إِلَهاً وَاحِداً﴾(٢).

فتوحيد الألوهية لا يعترفون به، بدليل أنهم يقولون في تلبيتهم في الحج: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ(٣).

فالقوم يعترفون بربوبية الله، وبملك الله، وبخَلْق الله، وبرَزْق الله، ولكنهم أنكروا أن يكون الله عز وجل هو الإله المعبود وحده.

ولما قيل لهم: أنتم تعترفون بربوبيَّة الله، فيلزمكم على ذلك أن تعترفوا بألوهيته.

قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾(٤).

هذه هي دعواهم الفاسدة التي أبطلها الله عز وجل.

---

(١) سورة الصافات، الآية ٣٥.

(٢) سورة ص، الآية٥.

(٣) انظر: صحيح مسلم (١١٨٥).

(٤) سورة الزمر، الآية ٣.

ومن هنا اتضح لنا أن توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ليسا بمعنى واحد، كما ظنه الأشعرية الكلابية، والحنفية الماتُرِيدِيَّة، والكرامية السجستانية، والجهمية الجعدية.

وهكذا كل هؤلاء الطوائف من المتكلمين المتفلسفين، الذين أعرضوا عن القرآن وعن السنة النبوية، وانشغلوا بالفلسفة والكلام، وبمجرد آراء يبدونها حول قضايا جوفاء لا نتيجة لها صحيحة.

أما النوع الثاني: وهو توحيد الأسماء والصفات:

الذي ثَنَّى الله عز وجل به في هذه السورة في قوله: ﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ . مالكِ يَومِ الدِّينِ﴾.

[والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغةً من الرحيم، فالرحمن أي لجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾(١)](٢).

و﴿مالكِ يَومِ الدِّين﴾، فيها قراءتان سَبْعيتان، بأيِّهما قرأتَ أصبتَ.

إن شئت تقول: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّين﴾.

وإن شئت تقرؤها: ﴿مَلِكِ يَومِ الدِّين﴾ بالقصر، يعني بحذف الألف.

والقراءتان سَبْعيتان متواترتان(٣).

[ويوم الدين هو: يوم الجزاء، فكما تدين تُدان، أي: كما تعملُ تُجزى،

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٣).

(٢) ما بين المعقوفتين مما سمعناه من الوالد مراراً، وليس في الأشرطة المفرَّغة.

(٣) قرأ ﴿مالك﴾ بالألف عاصم والكِسائي، وقرأ ﴿مَلِكِ﴾ بقية القراء السبعة. انظر: التيسير في القراءات (ص١٨)، والإقناع في القراءات السبع (٢ / ٥٩٥).

ولذلك سُمِّي الإسلام ديناً، لأن من عمل به وحقَّقه فإنه ينال جزاءً حسناً][١].

وذكر الله عز وجل هنا ثلاثة أسماء من أسمائه التسعة والتسعين اسماً التي «من أحصاها دخل الجنة»[٢]، والتي سردها الترمذي في "جامعه"[٣].

ذكر منها ثلاثة أسماء:

ـ الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

ذكرها مثالاً لتوحيد الأسماء والصفات.

ويجب على كل إنسان أن يؤمن بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، على الأسس الثلاثة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الحكيم:

أولاً: إثباتها.

وثانياً: تنزيهها عن مشابهة المخلوقات.

وثالثاً: اليأس من إدراك كيفياتها وكنهها.

وهذه الأسس الثلاثة كلها ذكرها الله في كتابه الحكيم.

ذكر أساسين في سورة (الشورى) في قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤].

هذان أساسان من الأسس التي يتركز عليها توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) ما بين المعقوفتين نُقِل من شريط مسجَّل لتفسير سورة (الكافرون) للشيخ الوالد رحمه الله وغفر له.

(٢) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (الحديث ٦٤١٠)، ومسلم (الحديث٢٦٧٧).

(٣) جامع الترمذي (الحديث ٣٥٠٧).

(٤) سورة الشورى، الآية ١١.

أولاً: تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات في ذاته، وفي صفاته، وفي أسمائه على غرار قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وثانياً: إثبات كل ما وصف الله به نفسه، أو سمَّى به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو سماه به رسوله عليه الصلاة والسلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

والأساس الثالث: في (سورة البقرة)، وفي (سورة طه).

أما في سورة البقرة ففي آية الكرسي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[١]، وفي سورة طه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٢].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين نص صريح في أن المخلوق لا يمكن أن يحيط بعلم الله، ومن تطلع إلى معرفة كيفية ذات الله، أو كيفية صفات الله، أو كيفية أسماء الله، فقد تطلع إلى ما ليس في إمكانه العلم به.

فيجب على كل إنسان أن يؤمن بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى، على هذه الأسس الثلاثة، وإن لم يعلم كُنهها وكيفيتها؛ لأنه لو نظر الإنسان ـ الذي يستغرب أن يجهل كنهها ـ في نفسه لوجد فيها شيئاً لا يعلم كُنهَه، وهو مخلوقٌ مثلُهُ، ومع ذلك فهو مؤمن به: فالروح التي بين جَنْبَيْكَ، لو سُئلت عن كُنهها وكيفيتها، فإنك عاجز عن معرفة ذلك، فإذا كنت عاجزاً عن كُنْهِ وكَيْفِيةِ مخلوقٍ مثلِكَ، فمن باب الأَوْلى أن تَعْجَزَ عن كيفية وكنه صفات وأسماء وذاتِ الخالق.

ولا تكن في هذا النوع معطِّلا، ولا تكن ممثِّلاً، بل كن وسطاً بين اللامين

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) سورة طه، الآية ١١٠.

الشريرتين لام التعطيل، ولام التمثيل.

وإضافة إلى ما سبق فإن هذه اللامات الشريرة الثلاث، يجب على كل مسلم أن يتجنبها في التوحيد:

- اللام الأولى: لام التعطيل.
- اللام الثانية: لام التأويل.
- اللام الثالثة: لام التمثيل.

فهذه اللامات الثلاث لامات إلحادية[1]، يجب على كل مسلم أن يتجنبها في التوحيد، وكل من ضلَّ في هذا الباب فإنَّ سببه: إما لتعلقه بلام التعطيل، أو لتعلقه بلام التأويل، أو لتعلقه بلام التمثيل.

كما يجب على كل مسلم وعلى كل إنسان يؤمن بالله عز وجل أن يتجنب تلك الجيمات الثلاث الشريرة، وهي:

- أولاً: جيم جَهْمٍ في الصفات.
- ثانياً: جيم الجَبْر في الأفعال.
- ثالثاً: جيم الإرجاء في الإيمان.

فيجب على كل مسلم أن يتجنب هذه اللامات الثلاث، ويبتعد عن تلك الجيمات الثلاث.

وهنا وقفة قصيرة: وهي أننا نحتاج حينما ذكرنا أن من اللامات الشريرة لام التأويل، نحتاج إلى أن نقف وقفةً قصيرةً لبيان هذه اللام، لأنَّ هذه اللام ليس خُبثُها وضلالُها على الإطلاق، بل إنما تكون كذلك إذا كانت بالمعنى

---

(١) أي: من الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

الذي اصطلح عليه المتكلّمون والمتفلسفون.

فنقول: التأويل له ثلاثة معان:

المعنى الأول التأويل: بمعنى التفسير، كما في قوله عز وجل: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾(١)، من سورة يوسف ـ عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام ـ.

قال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾، أي: تفسير رؤياي من قبل.

ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: « سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي؛ يتأوَّل القرآن»(٢).

وتعني عائشة بقوله: « يتأوَّل القرآن » أي: يُفسِّر لنا هذه الكلمة في سورة النصر: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

ومنه قول ابن جرير في تفسيره الجليل ـ الذي لا يوجد له بين أيدينا مثيل ـ يقول كثيراً: القولُ في تأويل هذه الآية، أي: في تفسير هذه الآية.

هذا المعنى الأول للتأويل.

وأمَّا المعنى الثاني: فهو التأويل بمعنى حقيقةِ الشيء وكيفيتِهِ، أي: معرفة كُنْهِ الشيء، وهذا المعنى لا يعلمه إلا الله عز وجل، وهو المراد في قوله عز وجل على إحدى القراءتين في الآية التي سبق أن قرأناها، وهي قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾(٣)، ويكون ههنا موضع الوقف.

فالتأويل على هذه القراءة بمعنى حقيقة الشيء.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (الحديث ٨١٧)، ومسلم (الحديث٤٨٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧.

ومنه قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾[1]، فلا يعلم حقيقة ما يكون يوم القيامة من حساب، وجنة، ونار، وصراط، وحوض، وغير ذلك، مما ذكره الله عز وجل في كتابه الحكيم، لا يعلم حقيقة ذلك إلا الله عز وجل.

أما معاني القرآن، وتفسير القرآن، فهو معلوم يعرفه العرب، لأنه في لغتهم، كما يعرفه العلماء الدارسون لهذا الكتاب المبين.

ومن هنا نعرف أن ما يقوله إخوة لنا من الأشعرية الكلابية، والحنفية الماتُرِيدِيَّة من أن هناك شيئاً يُسمَّى بالمتشابه، لا يعرف أحد من الناس معناه في القرآن أو في السنة، فهذا قول في غاية الفساد.

لا يمكن أن يوجد هذا، لا في الكتاب ولا في السنة؛ كلمةٌ لا يَعرف العلماء معناها، ولا تَعرف العرب معناها.

وإنما الشيء الموجود في القرآن أو في السنة المتشابه النِّسبي.

ومعنى المتشابه النِّسبي: أن توجد في القرآن كلمات أو آيات يعرف بعض العلماء معناها، ولا يعرفه البعض الآخر، وهذا يُسمَّى: متشابهاً نسبياً.

لأن هذا التفاضل من سنة الله عزَّ وجلَّ في خَلْقِهِ، ﴿واللهُ فَضَّلَ بعضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾[2]، فيكون العالم عارفاً بمعنى الآية، وهذا لا يعرفها.

وهذا شيء يُقِرُّ بِهِ كلُّ أحد ومُجْمَعٌ عليه.

أمَّا أن يتفقَ العلماء كلهم على أنهم لا يعرفون معنى هذه الآية، أو معنى هذه الكلمة، هذا من المستحيل الذي لا يمكن أن يوجد.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية ٧١.

وقد يكون هذا الشخص قاس غَيرَه على نفسِهِ، وهذا قياسٌ فاسد؛ لأنه جعل البابين باباً واحداً[١]، ولا يجوز لك أن تحكم عليَّ بحكمِكَ أنت على نفسِكَ.

وإذا جَهِلْتَ هذا الشيء، فهل يلزم من ذلك أن أجهلَهُ أنا؟! هذا ليس بلازم.

وأما المعنى الثالث للتأويل: فهو التأويل المُحْدَث، التأويل الباطل، التأويل الذي انتكست عليه عقائد الفلاسفة، وعقائد المتكلمين، وعقائد المنطقيين، وهو: صرف الكلمة عن معناها الظاهر إلى معنى آخر، بقرينة مزعومة تمنع من إرادة المعنى الأول.

وهذا التأويل بهذا المعنى قد يكون صحيحاً، وقد يكون باطلاً، ولكن الأغلب عليه البطلان، لأنه هو تأويل اليهود، وهو تأويل الكفَّار، وهو تأويل الملحدين، وهو تأويل المتزندقين.

فلا يجوز لمسلم أن يحتج بمثل هذا النوع.

وهو الطاغوت الثاني من الطواغيت التي عقد لها ابن القيم رحمه الله في كتابه "الصواعق" فصلين:

- الطاغوت الأول: هو المجاز.
- والطاغوت الثاني: هو التأويل، بهذا المعنى الذي ذكرت[٢].

---

(١) أصله بيت من منظومة "التحفة" لابن عاصم، وهو بتمامه:

وقال قد قاس قياساً فاسدا   من جعل البابين باباً واحدا

المجموع الكبير للمتون (ص ٩٢).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ١٧٥ ـ ٢/ ٧٩٤)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٢٩٨).

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

أي: لا نعبد إلا إياك.

وهذا حصر، وهو معروف في لغة العرب، وله أربع أدوات:

ـ أولا: تقديم المعمول كما هنا.

ـ ثانياً: الحصر بـ "إلا".

ـ ثالثاً: الحصر بـ "إنما".

ـ رابعا: الحصر بالعطف، مثل: جاء زيد لا عمرو.

وقد نص على ذلك البلاغيون ـ وهم وإن كان في بلاغتهم ما ينتقد، ولكن عندهم أمور مفيدة لابد لطالب العلم من الإلمام بها ـ.

وهم يقولون:

وأدوات الحصر إلا إنما تقديم معمول ....[1]

والشاهد: أنه إذا تقدم المعمول أفاد الحصر، مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وقد وضَّح لنا الله عز وجل في القرآن معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وجاءت آيات كثيرة في ذلك؛ كما في قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[2]، أي: لا إله إلا الله، ولامعبود يستحق أن يُعبدَ بجميع أنواع العبادات إلا الله، لأنه الرب، لأنه السيد، لأنه المالك، لأنه الخالق، لأنه الرازق، لأنه النافع الضار، وغير ذلك من أسمائه التسعة والتسعين اسماً التي من أحصاها دخل الجنة.

---

(١) الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون (ضمن مجموع المتون ص٤٢٤)، ونص البيت فيه:
وأدوات الحصر إلا إنما عطف وتقديم كما تقدما

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

ولو تتبعت الآيات التي جاءت بهذا المعنى تكتب مجلدة متوسطة.

وما حَصَلَتْ هذه الكلمة على هذه العنايةِ ـ إلا لقول الله عز وجل في كتابه الحكيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْـبُدُونِ﴾[١]، ما دامت هي الغاية، فلذلك استحقت هذه العناية دون غيرها.

ومعنى الألوهية: العبادة، أَلِهَه: عَبَدَهُ، وهذا المعنى تعرفه العرب من كلامهم.

والقرآن إن لم تعرف كلام العرب فإنك بعيد من معرفة تفسيره، فلذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه البيهقي في "شعبه" قال: عليكم بديوان العرب، فإن فيه معانيَ كتابكم[٢].

وقال العربي في معنى الألوهية:

لله درُّ الغـانـياتِ المُـــدَّهِ   سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي[٣]

أي: من عبادتي.

ولا يعني بقوله: "من تألهي" أنهن يدعين أنه ربٌّ، بل يتعجَّبْنَ من عبادته، التي حالت بينهنَّ وبينه أن يميلَ إلى حُسْنِهِنَّ.

وتوحيد الألوهية وهو النوع الثالث من أنواع التوحيد ـ الذي نص الله عز وجل عليه في هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: هو الغاية، والمقصد الأعظم،

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) انظر: الجامع لشعب الإيمان (٤ / ٣١٦:رقم ١٥٦٠).

(٣) البيت لرؤبة بن العجاج، في ديوانه (مجموع أشعار العرب ص ١٦٥).

وقوله: الغانيات: جمع غانية، هي المرأة التي غَنِيت بحُسنها وجمالها.

وأما: المُدَّه: فـ" المَدْهُ" كالمدْح، وزناً ومعنى، ويعني هنا بالمُدَّه: أي الممدوحات بحسن هيئتهنَّ وجمالهن.

الذي يتمثل في قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وهو معنى: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله.

وكل من عبدته كائنا من كان، غيره سبحانه ـ فإنَّ تلك العبادة باطلةٌ مضروب بها وجهُك؛ لأنها وقعت في غير مكانها، ووقعت في غير موضعها.

ولهذا سمَّى الله عز وجل تلك العبادة ظلماً في قوله عز وجل في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[(١)].

لماذا سُمِّي الشرك ظلماً؟

لأن الشرك وَضْعُ عبادةٍ في غير موضعها، والذي عبد غيرَ الله مِن مَلَكٍ، أو نَبِيٍّ، أو شَجَرٍ، أو حَجَرٍ، أو مَدَرٍ، أو مَادَّةٍ، أو طَبِيعةٍ ـ فإنَّ هذا الشخص وضع العبادة في غير موضعها، ولهذا سمَّاها الله عز وجل ظلماً.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

ومن المعلوم أن من ارتكب هذا العمل من عبادة غير الله عز وجل فإنه قد ظلم، فلهذا قال الله عز وجل في الآية الأخرى في سورة البقرة: ﴿وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(٢)].

ولما سمع أحد التابعين هذه الآية الكريمة، قال: لك الحمد يا رب، حيث قلت: ﴿وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ولم تقل: والظالمون هم الكافرون[(٣)].

لأنه لو قال: والظالمون هم الكافرون، مَن يَسْلَمُ مِنَ الكُفْرِ؟!.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٤.

(٣) أخرج نحوه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٤)، ر ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٥) بسندهما إلى عطاء بن دينار من قوله.

انظر إلى هذا الفقه العظيم، والفقه ليس بيد إنسان يضعه في قلب إنسان آخر، بل هو مما يتفضل الله عز وجل به على من يشاء من عباده؛ لأسباب بيَّنها ووضَّحها في كتابه.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه معاوية رضي الله عنه: « من يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين »[١].

ونقف هنا وقفة قصيرة عند هذه الآية، فقد أورد بعض الناس إشكالا على هذه الآية.

يقولُ بعضُ الناس: أو ليس من المعهود والمعروف أنَّ الوسائل تأتي قبل الغايات، وفي هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، جاء العكس، جاءت الغاية قبل الوسيلة، فما هو السِّر في ذلك، وما هو السِّر في انخرام هذه القاعدة؟ علماً أننا لو تتبعنا القرآن الكريم نجده ماشياً على هذه القاعدة، فما هو السِّر في ذلك؟

الجواب:

أن السِّر في ذلك أمران:

- الأمر الأول: تقديم حق الله على حق الآدميين.

- الأمر الثاني: الإشارة إلى أهمية هذه الغاية، وأنها هي الغاية والمقصد الأعظم، كما في آية سورة الذاريات[٢].

ومعنى تقديم حق الله على حق الآدمي، أن العبادة هي حق الله، والاستعانة حق الآدمي، ومع كون الاستعانة وسيلة إلى العبادة، إلاَّ أن

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (الحديث ٧١)، ومسلم (الحديث١٠٣٧).
(٢) يعني: قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون}.

العبادة تقدمت هنا على الاستعانة؛ إشارةً إلى أهمية هذه الغاية، وأنها هي المقصد الأعظم، وأنها المُتَمَحِّضَةُ لله عز وجل.

هذا مما أدركه أهل التحقيق في هذا الباب، الذي هو التفقه في كتاب الله.

وقد ذكرنا فيما سبق أن كلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وهي عبارة عن كلمة الإخلاص، كما في قوله عز وجل في آية: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[1]، إلى آخرها، وهي شرح وتوضيح لمعنى لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهذه الكلمة لها وزنها، ولها قيمتها التي لا تساويها أيَّةُ قيمة؛ لأنه كما تعلم لا يمكن لأيِّ أحد أن يدخل في دين الإسلام إلا بهذه الكلمة، التي تحتوي على شِقَّين:

الشق الأول: لا إله إلا الله، بمعنى: إفراد جميع أنواع العبادة لله دون غيره.

والشق الثاني: محمد رسول الله، ومعناه: إفراد هذا النبي الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ بالمتابعة دون غيره من المخلوقات.

فهذا هو التوحيد الذي بُعِثَ به الرسل قاطبة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، أي لله يوحدون؛ يوحدونه بعبادته، ويوحدونه بمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[3]، وقال ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[4]، وقال أيضا ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٤) سورة النور، الآية ٥٤.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[١].

وفي الحديث الصحيح من رواية أنس رضي الله عنه: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين »[٢].

فعلى كل حال: متابعة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة كوجوب عبادة الله عز وجل وحده، لأنَّ متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعةٌ لله، وعبادةٌ لله عز وجل، كما نص الله عز وجل على ذلك في آيات عديدة، ومنها قوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

ما هي الفتنة التي تُخَافُ على من خالف قولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أوفعلاً عنه أو تقريراً عنه؛ لأجل رأي تقلَّده، أو تعوَّده في مجتمعه، أو بيئته، أو عن أبيه، أو عن شيخه، ما هي الفتنة التي تُخاف على هذا الشخص؟

لقد بيَّنها الإمام أحمد بن حنبل لما سُئل: ما هي الفتنة؟ قال: الشرك[٤].

ومعناه أن الشخص الذي قدَّم رأياً عن فلان؛ كائنا من كان، على قول النبي صلى الله عليه وسلم، أو فعله، أو تقريره، هذا يتضمن أنه شاك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لو كان متيقناً وجازماً برسالته صلى الله عليه وسلم لَمَا قدَّم على قوله، أو فعله، أو تقريره رأيَ أيِّ أحد؛

---

(١) سورة الحشر، الآية ٧.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (الحديث١٥)، ومسلم (الحديث ٤٤).

(٣) سورة النور، الآية ٦٣.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١ / ٢٦٠) بسنده إلى الفضل بن زياد عن الإمام أحمد.

كائنا من كان، سواء كان أباه، أو رئيسه، أو مجتمعه، أو بيئته.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، دلّ على توحيدين:

ـ التوحيد الأول: توحيد الألوهية.

ـ والتوحيد الثاني: توحيد المتابعة[١].

ومعنى توحيد الألوهية: توحيد العبادة لله عز وجل بجميع أنواعها، بحيث لا تصرف أيَّ نوع منها لغير الله: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، ونذر، وذبح، واستعانة، واستغاثة، وخشية، وتوكل، وغير ذلك من أنواعها الكثيرة.

بل تصرفها كلها لله عز وجل، وبهذا تخرج عن الشرك بجميع أنواعه.

ومعنى توحيد المتابعة: إفراد هذا النبي الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ بالمتابعة، دون غيره من المخلوقات، وقد تقدم قريباً ذكر الأدلة عليه.

وكثير من المؤلفين والمصنفين، وكثير من طلبة العلم يقتصرون على أنواع التوحيد الثلاثة (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)، وليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك توحيد رابع، كما ظن بعض الناس، بل التوحيد أربعة أقسام، سواء ذكرنا الرابع أو لم نذكره، فهو موجود ضِمْناً.

فالرابع: توحيد المتابعة، أي توحيد النبي صلى الله عليه وسلم بالمتابعة دون غيره من المخلوقات، لأنه لم يُرسل إلينا نبيٌّ غيره.

---

(١) ممن نص على نحو هذا العلامة ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٣٨٧ عند شرح "منزلة الأدب").

والدليل على هذا التوحيد آيات كثيرة تقدم ذكر بعضها، ويكفي دليلا عليه شهادة الإخلاص، وشهادة الإخلاص ذات شِقَّين:

الشِقُّ الأول: لا إله إلا الله.

والشِقُّ الثاني: محمد رسول الله.

فالشِقُّ الأول: توحيد الألوهية، أي العبادة.

والشِقُّ الثاني: توحيد المتابعة، أي إفراد النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من المخلوقات بالمتابعة، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ (١).

كما أن الشق الأول من كلمة الإخلاص هو توحيد العبادة لله، أي: إفراد الله بالعبادة دون غيره من المخلوقات سواء كان الغير نبياً، أو ملكاً، أو مُرْسَلاً، أيَّ أحد كان، فالعبادة لله وحده، بجميع أنواعها الكثيرة المبَيَّنة في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وسبب ذلك أن هذين التوحيدين اللذين تضمنتهما كلمة الإخلاص، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذان التوحيدان متلازمان مرتبطان دائماً وأبداً، ولا يُستغنى بأحدهما عن الآخر.

الذي قال: لا إله إلا الله، ولم يقل محمد رسول الله، لم يدخل في الإسلام أبداً، وكذلك إذا قال: محمد رسول الله، ولم يقل: لا إله إلا الله، لم يدخل في الإسلام.

إذن من هنا أدرك المحققون أن هاتين الكلمتين إذا انفردت إحداهما

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

دخلت فيها الأخرى، في كتاب الله وفي سنة رسول الله.

فقوله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾(١)، هذه الكلمة ليس معناها أنك إذا قلت: لا إله إلا الله كفى.

لا، بل إن معناها كما شرحه نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الصحيح: « أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشهدوا: أَن لا إِلهَ إلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رسولُ اللهِ »(٢).

فإذا ذُكِرت إحدى الكلمتين في القرآن وحدها، دخلت فيها الأخرى، وإن لم تُذْكَر.

ولذلك نظائر في القرآن، مثل:

كلمة المسكين والفقير.

و البر والتقوى.

والإثم والعدوان.

والاستغفار والتوبة.

والكفر والنفاق.

فهذه الكلمات وأمثالها إذا انفردت إحداهما دخلت فيها الأخرى.

وإذا ذُكرتا معاً افترقتا، ولكل منها معنى غير معنى الأخرى.

وكذلك الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا افترقا، وإذا انفرد أحدهما دخل

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) متفق عليه، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (الحديث ٢٥)، ومسلم (الحديث ٢٢).

فيه الآخر، بدليل حديث جبريل عليه السلام[١]، وفيه ذكر الإسلام والإيمان، فصار لكل كلمة معنى غير معنى الأخرى، فصار للإسلام الأعمال الظاهرة، وللإيمان الأعمال الباطنة، وصار للإحسان مقامتان.

ولما ذُكِر الإيمان وحده في حديث وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ دخل فيه الإسلام؛ لما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوَفْدِ عَبدِ القَيْس: « أتدرون ما الإيمان؟ قالوا له: الله ورسوله أعلم.

قال: الإيمان أن تشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتُؤَدُّوا الخُمُس من المَغْنَم »[٢].

فالحديث اشتمل على الإيمان وعلى الإسلام معاً، لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من الإسلام، وكذا أداء الخمس منه، كما قدمناه في حديث جبريل عليه السلام، وهو أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة.

وبهذا يُعلم أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا انفرد أحدهما دخل فيه الآخر.

وهكذا كلمة الإخلاص إذا ذُكِر الشق الأول؛ وهو توحيد الألوهية دخل فيه توحيد المتابعة، وإذا انفرد توحيد المتابعة الذي هو محمد رسول الله دخل فيه توحيد الألوهية.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) متفق عليه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (الحديث ٥٣)، ومسلم (الحديث ١٧).

[تقسيم التوحيد باعتبار آخر]:

والتوحيد ينقسم باعتبار آخر إلى قسمين:

أولاً: توحيد إجمالي.

وثانياً: توحيد تفصيلي.

التوحيد الإجمالي: هو الذي يُدرك بالآيات الفعلية.

والتوحيد التفصيلي: هو الذي يُدرك بالآيات القولية.

والتوحيد الإجمالي الذي يدرك بالآيات الفعلية هو توحيد الربوبية.

والآيات الفعلية: هي السموات والأرض وما بينهما، وبالنظر إلى الخَلْق تستنتج أن لهذا الخلق رباً عظيماً متصفاً بجميع صفات الجمال والكمال.

وهذا في الإِمكان أن يُدْركَه كلُّ أحد لأنه فِطْري.

أما التوحيد التفصيلي الذي بَيَّنه الله عز وجل في هذه السورة، فلا يمكن إدراكه إلا بالآيات القولية، وهي القرآن والسنة.

أمَّا الفلسفة، وعلم الكلام، والمنطق، فليس لها نصيب من هذا العلم أبداً.

لأنه لا يُعْلِمُ بصفات الله إلا الله، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الذي علَّمَه الله، واللهُ أَعلمُ بنفسه من غيره من المخلوقات.

فالفلسفة والمنطق أمور دخيلة على الإسلام، لا يعرفها، بل ينكرها ويبطلها.

قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

هذا دعاء، وهو أشمل دعاء وأنفعه، لا يوجد في القرآن ولا في السنة دعاء أشمل ولا أنفع من هذا الدعاء؛ فلذا علَّمنا الله عز وجل إيَّاه.

ومعنى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: يا ربنا الذي أثنينا عليه بما علَّمَنَا نسألُك وندعوك بهذا الدعاء الذي علَّمْتَنا؛ أن تهديَنا الصراطَ المستقيمَ.

والهداية إلى الصراط المستقيم معناها: أن تعلمَنا ما ينفعُنا، وتوفِّقَنا للعمل بما ينفعُنا.

فقوله: ﴿اهْدِنَا﴾ يتضمن أمرين:

ـ الأمر الأول: الهداية بمعنى الإرشاد إلى العلم النافع.

ـ وثانياً: الهداية إلى العمل بالعلم النافع.

فـ(اهدنا) بمعنى وفِّقنا للعلمِ النافعِ، وهو القرآنُ والسنةُ، والعملِ الصالحِ، وهو العمل بالقرآن والسنة.

أما العمل بالبدع والعمل بالخرافات، والعمل بالآراء المجرَّدة هذا ليس من العمل الصالح، بل هو من العمل الطالح.

والعمل الصالح هو الذي تنطبق عليه ثلاث آيات في كتاب الله:

الآية الأولى: قوله عز وجل ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[1].

الآية الثانية: قوله عز وجل ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾[2].

والآية الثالثة: قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ...﴾ [3].

هذه ثلاث آيات إذا انطبقت على العمل فهو عمل صالح، وإذا اختلت آية منها فهو عمل طالح أي فاسد.

---

(١) سورة طه، الآية ١١٢.

(٢) سورة الزمر، الآية ٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣١.

فقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، أي وهو مسلم، فمؤمن هنا بمعنى مسلم، فلا يُقْبل عمل الكافر، وهذه هو الشرط الأول.

وقوله عز وجل ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ يتضمن الشرط الثاني وهو الإخلاص.

وقوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ يتضمن الشرط الثالث وهو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا كان هذا الدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، من أنفع وأشمل الأدعية على الإطلاق.

والهداية ـ من جهة أخرى ـ تنقسم إلى قسمين:

ـ هداية عامة.

ـ وهداية خاصة.

أما الهداية العامة فهي في القرآن كثيرة، كقوله تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾[1] وهذه تشمل حتى الحيوانات؛ فهدى كُلاًّ هُدَاه، فمثلا لو دفعت البقرة إلى النار على أنها ماء لفرَّت منها، وهذا من هداية الله، وهي تسمى الهداية العامة، التي تشمل الناس، وتشْمُلُ الحيوانات، وتشْمَلُ كلَّ شيء.

وأما قوله ﴿اهْدِنَا﴾، هذه الهداية الخاصة، وهي الإرشاد والتوفيق، إلى العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا لا يكون إلا للإنس، والجن، والملائكة في العالَم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن

---

(١) سورة الأعلى، الآية ٣.

يَشَاءُ﴾[١]، هذا للهداية الخاصة، أي: هداية التوفيق.

وقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ قال النحويون: هل معناها اهدنا إلى الصراط، أو: الصراط مفعول ثانٍ، لم يسقط منه حرف الجر؟

قال بعض النحويين:

وحذفُ حرْفِ الجرِّ في اختار أَمَرْ كذلـك استغفـرَ إِهـدنا الأُخَـرْ

هذه الأفعال يقول النحويون: يحذف حرف الجر منها على غير قياس، وهو ما يُسمى بالسماع[٢].

لأن حذف الجر عند النحويين لا يكون قياساً إلا بشرطين:

ـ أن يحذف قبل أَنْ أو أنَّ.

ـ أن يُؤْمَن اللَّبْس[٣].

فقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، معناه: اهدنا إلى الصراط.

وهذا سماع، ومعناه أنه لا يجوز لك أن تقيس عليها غيرها، بل اقتصر على ما سمعت.

وهناك ملاحظة جيدة عند هذه الكلمة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لو أخذت "تفسير ابن جرير"، أو "ابن كثير"، أو "البغوي"، وأردت أن تعرف معنى الصراط المستقيم، لوجدت أقوالاً كثيرة[٤]، ولكن هذه الأقوال ليس بينها

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٦.

(٢) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٥٠)، وشرح ألفية ابن معطي (١/ ٥٠٠)، والدرّ المصون (٣/ ٣٥١).

(٣) شرح الكافية الشافية (٢/ ٦٣٢)، عند قول ابن مالك:

وحذف حرف الجر مع أنَّ وأنْ مطـردٌ إلا إذا ما اللبس عـنّ

(٤) يأتي ذكرها قريباً.

خلاف تَضَادّ، بل كلها خلاف تَنَوُّع، والسلف لم يثبت عنهم خلاف تضاد في التفسير، ولا في السنة.

وقد حاول المتفلسفة، والمتكلمة، والمتصوفة، والخرافيون، والمتعصبون ـ أن يجدوا عن السلف اختلاف تضاد، ولكنهم رجعوا بِخُفَّيْ حُنَيْن، ولم يجدوا شيئاً.

فالسلف لا يمكن أن يثبت عنهم خلافٌ لا في القرآن، ولا في السنة إلا خلاف تنوع، أو خلاف قراءات.

وعلى سبيل المثال: قال الله عز وجل ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[(١)]، هذه الكلمة فسَّرها بعض السلف بأن قال: القَطِرانُ هو الذي تُطلى به الدَّابة من الإبل[(٢)].

وقال بعضهم: في قراءة شاذة (قَطِرِ آن)[(٣)]، و قَطِرِ آن أي: نُحَاسٌ شديد الحرارة[(٤)]، كما جاء في سورة الكهف[(٥)]، وسورة الرحمن[(٦)]،وآنٍ: بمعنى شديد الحرارة.

والقراءة الشاذة تُذكر لأجل فهم القراءة الصحيحة، ولا تُقْرأ على أنها قراءة، ولهذا كتب العلماء في القراءة الشاذة، منها كتاب « المُحْتَسَب في القراءات الشَّاذَّة »[(٧)].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٥٠.

(٢) روي عن الحسن البصري، وجابر بن زيد، وعكرمة مولى ابن عباس. كما في تفسير الطبري (١٣ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦)، والدر المنثور (٥ / ٥٩).

(٣) انظر: البحر المحيط (٥ / ٤٤٠)، والدر المصون (٤ / ٢٨٣).

(٤) انظر: مفردات القرآن للراغب الاصفهاني (مادة "قطر" ص٤١٧).

(٥) الآية ٩٦، قوله تعالى: {ءَاتُونِي أُفرِغْ عليهِ قِطراً} .

(٦) الآية ٤٤، قوله تعالى: {يَطُوفونَ بَينَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ} .

(٧) لأبي الفتح عثمان بن جنِّي النحوي (ت ٣٩٢ هـ)، واسم الكتاب بتمامه: "المحتَسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، وهو مطبوع.

وهذا لا يسمى اختلاف تضاد، وهنا هذا يقول: قَطِرٍ آنٍ بمعنى: نحاس شديد الحرارة، وهذا يقول: القَطِران هو الذي تطلى به الإبل، فلاختلاف القراءتين اختلف التفسير، وهكذا الصراط المستقيم.

فالصراط المستقيم: هو الإسلام، وهو القرآن، وهو الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا.

وكل هذه الأقوال ليس بينها تضارب، فالإسلام هو القرآن، والقرآن هو الإسلام، والإسلام هو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يسمى اختلاف تنوع.

ولهذا أفرد شيخ الإسلام هذا الاختلاف في رسالة جيّدة سماها: "اختلاف التنوع" رسالة صغيرة الحجم، كبيرة المبنى والمعنى، وهي مطبوعة منذ زمن، ولما طبع مجموعة "الفتاوى" أُدخلتْ فيها، كذلك أدخلت في قسم الفقه وأصول الفقه، وهي موجودة مطبوعة وحدها، كانت عندي قبل زمن[١]، قبل أن توجد "مجموعة الفتاوى".

وقال في هذه الرسالة مثل ما قال في رسالته الجيدة "مقدمة أصول التفسير"، ولعلكم تستفيدون من دراسة هذه المقدمة، لأنه لم يَكتبْ أحدٌ في أصول التفسير مثل هذه المقدمة، فيها شيء قل أن تجده في غيرها؛ عقد فيها فصلا للاختلاف، وقسّمه إلى اختلاف تضاد، واختلاف تنوع، وذكر في نفس الفصل: أن اختلاف التضاد لا يمكن أن يوجد عند السلف، بينما يوجد اختلاف تنوع، والتضاد على قسمين: إما اختلاف تضاد، وإمَّا اختلاف

---

(١) لعل الوالد الشيخ ـ رحمه الله ـ يعني رسالة "تنوع العبادات"، وقد طُبعت ضمن مجموعة من رسائل شيخ الإسلام في مطبعة المنار سنة ١٣٤٠ هـ.

نَقِيض، وهذا هو الخلاف الذي يَضُرُّ.

أما اختلاف التنوع فهذا عِلْمٌ ينبغي أن نحرِصَ عليه، ونتعلمَه من مشايخنا، ومن أئمتنا، وهذا لا يكون إلا بدراسة كتبهم، ولا تستطيع أن تتفقه في الحديث بدونهم، وبدون كتبهم، ويجب عليك أن تحرِصَ عليها حتى توصلك إلى القرآن والسنة، ولأنه ليس لك من الآلات والوسائل التي كانت عندهم، فيجب عليك أن تقتدي بهم.

قوله تعالى: ﴿صِراطَ الَّذينَ أَنْعمتَ عَلَيْهِمْ . غَيْرِ المغضوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.

ذكر الله تعالى هنا أصناف الناس ففي قوله: ﴿صِراطَ الَّذينَ أَنْعمتَ عَلَيْهِمْ﴾، هؤلاء بَيَّنَهُمُ الله تعالى في سورة النساء: ﴿مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[١]، ومعناه العلماء العاملون، وهذا هو الصنف الأول.

والصنف الثاني: ﴿المغضوبِ عَلَيهِمْ﴾، وهم العلماء غير العاملين، ولهذا أخبر الله عز وجل بغضبه على اليهود الملاعين، لأنهم عَصَوْا عن عِلْمٍ: ﴿يَعْرِفُونَه كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾[٢].

والصنف الثالث: الضالون، وهم الجهلة.

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذين الصنفين؛ لَمَّا سُئِل من هم المغضوب عليهم، والضالون؟ قال: هم اليهود والنصارى[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٣٧٨)، والترمذي في جامعه (الحديث ٢٩٥٤) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فاليهود مثال للمغضوب عليهم.

والنصارى مثال للضالين الجهلة.

ونستفيد من هذا أن كل من عمل بالقرآن والسنة النبوية، فهو من تلامذة العلماء العاملين، وكل من تعلم الكتاب والسنة، ولم يعمل بهما فهو من تلامذة اليهود.

وكل من أعرض عن القرآن والسنة فهو من تلامذة النصارى.

ومعناه أنه شبيه بأولئك، إما شبيه بالصالحين، وإما شبيه بالطالحين بقسميهم المغضوب عليهم والضالين.

ثم إن هذه السورة التي ذكرنا بعض فوائدها تقدم أنَّ الله عز وجل بدأها بالتوحيد أولاً كما سمعتم، وهذا إشارة إلى أن أول واجب هو التوحيد.

وهذا التوحيد من أين لنا أن نأتي به؟

نأتي به في القرآن، لأنه لو كان بالعقل أو بالنظر كما يقوله المتكلمون والمتفلسفون لَذَكَرَ اللهُ لنا ذلك، ولم يُنزل لنا سورة كاملة متضمنة لهذا التوحيد، كما أنه بدأ كتابه بهذا التوحيد تعليماً لنا، وكذلك ختم كتابه بهذا التوحيد تعليماً لنا.

معنى ذلك أن الله عز وجل يقول لنا: كما أني أَمَرْتُكُم أن أول ما يجب عليكم أن تتعلموه هو التوحيد، كذلك أيضاً يجب أن يكون آخر ما تموتون عليه هو التوحيد يعني: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] إلا وأنتم موحِّدون، كما أنكم في أول عمركم موحِّدون، يجب أن تكونوا أيضاً في آخر

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٢.

أعماركم موحِّدين، هكذا تَرْبِطُ القرآن أوله بآخره، بدأه الله عز وجل بالتوحيد بهذه الإشارة، كما أنه ختمه بالتوحيد بهذه الإشارة.

وهنا نريد أن نقارن بين التوحيد في أول سورة الفاتحة، وفي أول سورة الناس، فنقول: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العَالمينَ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فرب العالمين هو رب الناس، كلٌّ واحد.

قوله: ﴿الرَّحمنِ الرَّحيمِ. مَالكِ يومِ الدِّينِ﴾، هو قوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، وهو توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، هو قوله: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾.

إذن سورة الفاتحة شَمَلَتِ التوحيد كلَّه في أول القرآن، كما أن سورة الناس اشتملت على التوحيد كله في آخر القرآن، فهاتان إشارتان لطيفتان:

الأولى: أول واجب هو التوحيد.

والثانية: آخر ما يجب أن تموت عليه هو التوحيد: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مّسْلِمُونَ﴾[(١)].

فيجب عليك أن تُعْنى بالتوحيد في أول عمرك، وفي آخر عمرك.

وهذا يسميه البلاغيون بردِّ العَجُز على الصَّدْر، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية، يذكرونه فيما يسمونه بـ"علم البديع"[(٢)].

ومعنى ذلك: أن تختم كلامك بمثل ما بدأت به.

وهذا أسلوب تستحسنه العرب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٢.

(٢) انظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص ٣٨٥)، وشرح عقود الجمان للسيوطي (ص ١٣١).

فلهذا خاطب العرب بما يفهمون، وبما يعرفون.

وما خاطبهم بما لا يعرفون.

وبهذا تستدل على أنَّ ما يقوله بعض الناس من القاصرين خصوصاً من الطوائف الكلامية، والفلسفية، والمنطقية، من أن هناك في القرآن ما لا يَعرفُ العلماءُ معناه، فهذا قولٌ في غاية الفساد، ولا يمكن أن يوجد في القرآن ما لا يعرف العلماء معناه.

لأن من العلماء العرب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فكيف تجهل العرب معاني القرآن، وهو بلغتهم.

لكنَّ الشيءَ الذي يمكن أن يجهله الإنسان كائنا من كان عربياً أو عجمياً في القرآن إنما هي أمور خاصة أشار إليها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله: التفسير على أربعة أنحاء:

ـ تفسير لا يُعذر أحد بجهله.

ـ تفسير لا يعلمه إلا العلماء.

ـ وتفسير لا يعلمه إلا العرب.

ـ وتفسير لا يعلمه إلا الله[(١)].

ثم عليها فاحْـذُ وقِسْ.

فأما الذي لا يعذر أحد بجهله مثل: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فإنه لا يعذر أحد بجهل معناها، ويدخل فيه الكلمات الواضحات التي لا تحتاج إلى تدبر، ولا إلى دراسةٍ وتعمقٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في مقدمة تفسيره (١ / ٧٥ تحقيق الشيخ محمود شاكر).

وتفسير لا يعلمه إلا العلماء: كمطلق القرآن وتقييداتِهِ، ومجملاتِهِ، ومبيَّناتِهِ، والناسخِ والمنسوخِ، وتخصيصاتِهِ، فهذه علوم استنباطية، يختص بها العلماء، وليس للعامة فيها نصيب.

مثلاً: قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[١]، فهذه الآية قد يُدركها العامي، ولكن كونها مخصصة أو مقيَّدة، فهذا يتوقف على العلماء، وأما العامي فماله من نصيب.

ـ وأما الذي لا يعرفه إلا العرب، فمثل مفردات القرآن كما في قوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾، ﴿مُسْتَنفَرَة . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[٢].

وهما قراءتان سَبْعيتان[٣].

فكلمة ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ من كلمات القرآن الغريبة[٤]، وإنما نعرف معناها من العرب.

والعرب اليوم هم: "كتاب العين" للخليل، و"التهذيب" للأزهري، و"المقاييس" لابن فارس، و"العُباب" للصَّغاني، و"لسان العرب" لابن منظور، و"المصباح" للفيُّومي، و"القاموس" للفيروزآبادي.

والعرب الموجودون الآن تغيَّرت لغتهم بالاختلاط والامتزاج مع الآخرين من العجم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

(٢) سورة المدثر، الآية ٥٠.

(٣) قرأ نافعٌ وابن عامر {مُسْتَنفَرَةٌ} بفتح الفاء، والباقون بكسرها. التيسير في القراءات السبع (٢١٦)، والإقناع في القراءات السبع (٢ / ٧٩٧).

(٤) القسورة: الأسد، وقيل الرُّماة. انظر: تفسير الطبري (٢٩/١٦٨ـ١٧١)، ومادة "قسر" في: المفردات للراغب الاصبهاني (ص٤١٢)، والقاموس المحيط (ص٥٩٣).

وإن هذه اللغة حُفِظت في الكتب ـ ولله الحمد والمنة ـ؛ حتى تقوم علينا الحجة؛ لأنه لو لم تحفظ في الكتب، فكيف نفهم كتاب ربنا وسنة نبينا؟!.

فالله عز وجل أقام الحجة علينا، لأنه قيَّض رجالاً مجتهدين مخلصين، فحفظوا لنا هذه اللغة بجميع أنواعها: سواء النحو، أو الصرف، أو المفردات، أو البلاغة، أو أصول اللغة، وهذا كله مقيَّد ولله الحمد والمنَّة، وهو من فضل الله عز وجل[١].

وتقدم أن التفسير أربعة أنحاء، وهو من جهة أخرى يُعرف بأربعة طرق:

إما بتفسير القرآن بالقرآن.

أو تفسير القرآن بالسنة النبوية.

أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة وأقوال التابعين.

أو تفسير القرآن باللغة العربية.

[الختام:]

وبالإيجاز نستطيع أن نقول: اشتملت سورة الفاتحة على ستة أشياء، وهي كالتالي:

ـ التوحيد، بأقسامه الثلاثة.

ـ مواقف الناس من هذا التوحيد، وهي مواقف ثلاثة.

فالتوحيد قد بيَّنه الله في أول السورة، فبدأ بتوحيد الربوبية، وهو توحيد

(١) بقي من أنواع التفسير التي لم يُمثل لها الوالد ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ: ما لا يعلمه إلا الله عز وجلَّ.
وقد تقدمت الإشارة إليه في أثناء كلام سبق، ومثَّل له بكيفية صفات الله عز وجل، وكيفية تفاصيل مايقع في اليوم الآخر من حساب، وعقاب، وجنة، ونار، ممالم نُخبر به.

الله بأفعاله من الخَلْق والرِّزْق والإحياء والإماتة، وهلم جراً.

وَذَكَرَ توحيد الأسماء والصفات، وقد تقدم التفصيل فيه.

وَذَكَرَ توحيد الألوهية، وأنه توحيد الله عز وجل بأفعال العباد كالصلاة والزكاة وهلمّ جراً.

وأما مواقف الناس من التوحيد.

فقدَّم الموقف الأول: في قوله عز وجل: ﴿صِراطَ الَّذينَ أَنعمتَ عَلَيْهِمْ﴾ فمن هُمْ؟

هُمُ الذين أنعم الله عليهم: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وقد تعلموا التوحيد، وَعَمِلُوا به.

ثم أتبعه بموقف اليهود، وأمثالهم، وأضرابهم، وهم ـ أي: اليهود الملاعنة المقوتون ـ تَعَلَّمُوه، لكن لم يَعْملوا به.

فهذا مفهوم قوله عز وجل ﴿غَيْرِ المغضوبِ عَلَيهِمْ﴾.

ثم أتبعه بموقف الجهلة الغَالين المبتَدِعِين وهم النصارى، وأمثالهم من الخُرافيين، وذلك في قوله: ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾.

وموقفهم هو: عدم تعلمهم التوحيد، فضلاً عن العمل به.

فهذا مجمل مواقف الناس من التوحيد بأقسامه الثلاثة.

والحاصل فهذه السورة الكريمة عظيمة:

ـ تُسَمَّى بالسَّبْع المثاني، لأنها سبع آيات.

ـ وتُسَمَّى بالمثاني، لأنها تكررت في كل ركعة.

ـ وتُسَمَّى بالقرآن العظيم، لأنها اشتملت على القرآن كله، كما تقدم.

وقد اشتملت على ستة أشياء:

التوحيد بأقسامه الثلاثة.

ومواقف الناس من هذا التوحيد.

وهذا ما في إمكاني أن أُدْلي به في تفسير هذه السورة العظيمة، التي لو اتسع لنا الوقت لتفسيرها، لاستفدنا منها شيئاً كثيراً، مما قاله العلماء فيها.

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يجعلنا وإيَّاكم هداةً مهتدين، من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والله أعلم، وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.

* * *

مقدمةٌ على كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري



بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ سماحة الشيخ الجليل العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد:

فقد اطلعتُ على هذه الرسالة القيمة، التي جمعها أخونا وصاحبنا الشيخ العلامة حماد بن محمد الأنصاري، المدرس في كلية الشريعة في الرياض، في بيان شيء من ترجمة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وبيان رجوعه عن مذهب المعتزلة، واعتناقه مذهب أهل السنة في إثبات ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، على الوجه الذي يليق بالله سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما صرح بذلك علماء الحديث، وَدَرَجَ عليه سلف الأمة، والصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان، وهذا هو الذي صرح به أبو الحسن الأشعري في كتبه المشهورة كالمقالات و"الموجز" و"الإبانة".

ولقد أجاد أخونا الشيخ حماد في هذه الرسالة وأفاد، وأبرز فيها من النقول المفيدة عن أئمة الإسلام، والعلماء الأعلام، ما يكشف الشبهة، ويزيل

عليه، وناضل دونه، ورد على من خالفه، وأبان حقيقة مذهب المعتزلة، وشنع عليهم، وأوضح لأهل الإسلام بطلان ما عليه المعتزلة، وتهافت أصولهم، وانهيار قواعدهم، فجزاه الله عما صنع خيرا، وبارك في مساعيه، ونفع المسلمين بجهوده، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

* * *

تقريظ الشيخ العلامة إسماعيل بن محمد الأنصاري
رحمه الله تعالى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن مما لا يخفى على من وُفِّقَ في العقيدة أن طريقة السلف الصالح فيها التمسك بنصوص الكتاب والسنة وعدم معارضتها بما سواها.

وقد كان أبو الحسن الأشعري الذي تنتسب إليه الأشعرية ممن اهتدى بفضل الله إلى هذا، بعد ما تلقى دروس الاعتزال عن زوج أمه شيخ الاعتزال محمد بن عبد الوهاب أبي علي الجُبَّائي، فتاب وتمسك بالنصوص، فأثبت لله ما أثبته، دون تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولا تمثيل، وصنف في بيان ذلك كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"، وإن كان أكثر المنتسبين إليه في الأعصر المتأخرة جهل ذلك أو تجاهله، فصار يعارض عقيدة السلف الصالح بأشياء يزعم أنها عقيدة الأشعري، وهو في الحقيقة بَرَاءٌ منها، ويزعم البعض منهم أن كتابه "الإبانة" مدسوس على الأشعري، فصار ذلك كله خطرا عظيما على العقيدة، وجناية كبرى على ذلك الإمام الأشعري، الذي وُفِّقَ للرجوع إلى الحق، وفضح المعتزلة، وأتباعهم في مصنفاته.

وقد تنبه لهذا كله البَحَّاثة المدقِّقُ الشيخ حماد بن محمد الأنصاري المدرس بكلية الشريعة بالرياض، فتتبع مصنفات أئمة العلم من مختلف الطبقات، فاستخرج لنا منها هذه النبذة القيمة، التي تحمل في طياتها تصريحات

الأشعري نفسه بتوبته من كل ما يعتبر مصادمة لنصوص الصفات وغيرها، واعتقاده العقيدة التي يعتقدها السلف الصالح التي ضمنها "الإبانة".

كما تحمل إلى الأشعرية نقول أَجِلَّةِ العلماء من المتكلمين، والمحدثين، والفقهاء، والمؤرخين التي تُصَرِّحُ برجوع الإمام الأشعري إلى معتقد السلف الصالح، وأن كتاب "الإبانة" تصنيف الأشعري.

فبهذا أدى مؤلف هذه النُّبْذَة واجب العقيدة من ناحية، وواجب الدفاع عن الأشعري وكتابه "الإبانة" من ناحية، بحيث لم يدَعْ للشك مجالاً في جميع ذلك.

فجزاه الله خير الجزاء، ونفع بهذا المؤلف القيم، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أرسل رسولَه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

لما كان أكثر الناس في الأقطار الإسلامية ينتسب عقيدةً إلى أبي الحسن الأشعري، ومع ذلك لا يَعرف شيئا عن أبي الحسن الأشعري، ولا عن عقيدته التي استقر عليها أمره أخيراً، واستحقَّ بها أن يكونَ من الأئمة المقتدى بهم، أحببنا أن نفيد أولئك عن حقائقِ هذا الإمام المجهول عند كثيرٍ ممن ينتسب إليه، وينتحل عقيدتَه، حَسَبَ ما تتبعنا من المراجع المعتبرة.

وقبل كل شيء نُتْحِفُ القارئ بنبذة قليلة من ترجمة الأشعري، فأقول وبالله أستعين:

ـ التعريف بالإمام:

هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

ولد سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية.

ترجمه:

ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي في كتابه: «تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى أبي الحسن الأشعري».

- والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»[١].
- وابن خلكان في «وفيات الأعيان»[٢].
- والذهبي في «تاريخ الإسلام»[٣]
- وابن كثير في «البداية والنهاية»[٤]، وفي «طبقات الشافعية»[٥].
- والتاج السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»[٦].
- وابن فَرْحون المالكي في «الديباج المُذْهَب في أعيان أهل المَذْهَب»[٧].
- ومُرْتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين»[٨].
- وابن العِمَاد الحنبلي في «شذرات الذهب في أعيان من ذهب»[٩]، وغيرهم[١٠].

دخل هذا الإمام بغداد، وأخذ الحديث عن الحافظ زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه[١١]، وعن أبي خليفة الجمحي، وسهل بن

---

(١) ١١/ ٣٤٦.
(٢) ٣/ ٢٨٤.
(٣) وفيات ٣٢١ـ ٣٣٠ هـ، ص ١٥٤.
(٤) ١١/ ٢١٠.
(٥) ١/ ٢٠٨.
(٦) ٣/ ٣٤٧.
(٧) ٢/ ٩٤.
(٨) ٢/ ٣.
(٩) ٢/ ٣٠٣.
(١٠) انظر كذلك: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، العبر (٢/ ٢٣)، طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ١١٣ـ١١٤)، الجواهر المضية (٢/ ٥٤٤ـ٥٤٥).
(١١) وأحد تلامذة الإمام أحمد بن حنبل، وعنه أخذ تحرير مقالة أهل الحديث والسلف، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٧٠٩) ـ من الأصل ـ.

سرح ومحمد بن يعقوب المقري، وعبد الرحمن بن خلف البصريين، وروى عنهم كثيرا في تفسيره "المختزن"، وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجُبَّائي شيخ المعتزلة.

ولما تبحر في كلام الاعتزال، وبلغ فيه الغاية كان يُورد الأسئلة على أستاذه في الدرس، ولا يجد فيها جوابا شافيا فتحير في ذلك.

فحُكي عنه أنه قال:

وقع في صدري في بعض الليالي شيءٌ مما كنت فيه من العقائد، فقمتُ وصليتُ ركعتين، وسألت الله تعالى أن يهديَني الطريق المستقيم، ونمت، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليك بسنتي »، فانتبهتُ، وعارضتُ مسائل الكلام بما وجدتُ في القرآن والأخبار، فأثبتُّهُ، ونبذتُ ما سواه ورائي ظِهْرِيّاً[1].

قال أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ)، في تاريخه المشهور[2]: «أبو الحسن الأشعري المتكلم، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة والرافضة، والجهمية والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة».

إلى أن قال: «وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجرهم في أقماع السِّمْسِمِ».

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٣٤٨ـ٣٤٩)، والديباج المذهب (٢/ ٩٦).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦) ـ من الأصل ـ.

وقال ابن فرحون في "الدِّيباج"[١]: «أثنى على أبي الحسن الأشعري أبو محمد بن أبي زيد القَيْرَوَاني وغيره من أئمة المسلمين».

وقال ابن العِمَاد الحنبلي في الشذرات[٢]: «ومما بيَّضَ به أبو الحسن الأشعري وجوهَ أهل السنة النبوية، وسوَّد به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجهَ الحقِّ الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج ـ مناظرتُهُ مع شيخه الجُبَّائي، التي بها قَصَمَ ظهرَ كلِّ مبتدع مرائي، وهي ـ أعني المناظرة ـ كما قال ابن خَلِّكان[٣]: سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا علي الجُبَّائي عن ثلاثة إخوة: كان أحدهم مؤمناً براً تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجُبَّائي: أما الزاهد ففي الدَّرَجات، وأما الكافر ففي الدَّرَكَات، وأما الصغير فمن أهل السلامة، فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجُبَّائي: لا؛ لأنه يُقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال: ذلك تقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني، ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجُبَّائي: يقول الباري جل وعلا: كنت أعلمُ لو بقيتَ لعصيتَ وصرتَ مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيتُ مصلحتَكَ، فقال الأشعري: فلو قال الأخ الأكبر: يا إله العالمين كما علمتَ حالَه، فقد علمتَ حالي، فَلِمَ راعيتَ مصلحتَه دوني؟ فانقطع الجُبَّائي.

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٩٤).

(٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣) ـ من الأصل ـ.

(٣) وفيات الأعيات (٤/ ٢٦٧ـ٢٦٨) في ترجمة أبي علي الجُبَّائي.

قال ابن العماد: وفي هذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خَصَّ من شاء برحمته، واختصَّ آخرَ بعذابه».

وقال تاج الدين السُّبْكي في "طبقات الشافعية الكبرى"[١]: «أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل، وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد رحمه الله واحدة، لا شك في ذلك ولا ارتياب، وبه صرح الأشعري في تصانيفه، وذكره غير ما مرة من: أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد ابن حنبل، هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه.

وفضائل أبي الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن حصرها في هذه العجالة، ومن وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال، رأى أن الله تعالى قد أمده بمواد توفيقه، وأقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه.

وقد تنازع فيه أهل المذاهب، فالمالكي يدعي أنه مالكي، والشافعي يزعم أنه شافعي، والحنفي كذلك».

قال ابن عساكر: «لقيت الشيخ الفاضل رافعاً الحَمَّال الفقيه، فذكر لي عن شيوخه أن أبا الحسن الأشعري كان مالكياً، فَنُسِبَ من تعلق اليوم بمذهب أهل السنة وتفقه في معرفة أصول الدين من سائر المذاهب إلى الأشعري، لكثرة تواليفه، وكثرة قراءة الناس لها»[٢].

قال ابن فُورك[٣]: «توفي أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤ هـ».

وبعد ذكر هذه النُّتْفة من ترجمة هذا الإمام نذكر فيما يلي إثبات رجوعه

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٩٩).

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ١١٧ ـ ١١٨).

(٣) انظر: تبيين كذب المفتري (ص ١٤٧).

عن الاعتزال، وإثبات نسبة الإبانة إليه، وننقل ذلك من المراجع الموثوق بها، فنقول بالله التوفيق:

رجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى عقيدة السلف:

قال الحافظ مؤرخ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة (ت ٥٧١ هـ) في كتابه « التبيين »(١): «قال أبو بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عَزْرة: إن أبا الحسن الأشعري كان معتزليا، وإنه أقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع بالبصرة، فصَعِد المنبر بعد صلاة الجمعة، وقال: معاشرَ الناس، إني إنما تغيبتُ عنكم في هذه المدة؛ لأني نظرتُ فتكافأتْ عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديتُ الله تبارك وتعالى، فهداني إلى ما أودعتُهُ في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقدُهُ، كما انخلعتُ من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس، فمنها كتاب "اللُّمَع"، وغيره من تواليفه الآتي ذكر بعضها قريبا إن شاء الله.

فلما قرأ تلك الكتبَ أهلُ الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة، أخذوا بما فيها وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه، واتخذوه إماماً، حتى نُسِبَ مذهبُهم إليه، فصار عند المعتزلة ككتابيٍّ أسلم، وأظهر عَوَار ما تركه، فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمَّة.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٣٩ـ ٤٠، ١١٣).

وكذلك أبو الحسن الشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة، فهم يُشنِّعون عليه، ويَنسِبون إليه الأباطيل.

وليس طولُ مُقام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة مما يُفضي به إلى انحطاط المنزلة، بل يقضي له في معرفة الأصول بِعُلُوِّ المرتبة، ويدل عند ذوي البصائر له على سموِّ المنقبة؛ لأن من رجع عن مذهب كان بِعَوَاره أخبَر، وعلى رد شُبَهِ أهله وكشف تمويهاتهم أقدَر، وبتبيين ما يلبسون به لمن يهتدي باستبصاره أبصَر، فاستراحة من يُعَيِّره بذلك كاستراحة مُناظر هارون ابن موسى الأعوَر.

وقصته: أن هارون الأعور كان يهوديا فأسلم، وحسن إسلامه، وحفظ القرآن، وضبطه وحفظ النحو، وناظره إنسان يوماً في مسألة فغلبه هارون، فلم يَدْرِ المغلوب ما يصنع فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمتَ، فقال له هارون: فبئس ما صنعتُ؟! فَغَلَبَهُ هارونُ في هذا.

واتَّفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إماما من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، وردَّ على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملةِ سيفاً مسلولاً، ومن طعن فيه أو سبَّه، فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السُّنَّة.

ولم يكن أبو الحسن الأشعري أول متكلم بلسان أهل السُّنَّة، وإنما جرى على سَنَنِ غيره وعلى نُصرة مذهب معروف، فزاده حجة وبيانا، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به، وليس له في المذهب أكثر من بسطه وشرحه كغيره من الأئمة.

وقال أبو بكر بن فُورك: رجع أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة سنة (٣٠٠ هـ)»[١].

وممن قال من العلماء برجوع الأشعري عن الاعتزال أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلّكان الشافعي المتوفى سنة (ت ٦٨١ هـ)، قال في "وفيات الأعيان"[٢]: «كان أبو الحسن الأشعري معتزليا ثم تاب».

ومنهم عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة (ت ٧٧٤ هـ)، قال في « البداية والنهاية»[٣]: «إن الأشعري كان معتزليا فتاب منه بالبصرة، فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم».

ومنهم شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي الشهير بالذهبي المتوفى سنة (ت ٧٤٨ هـ)، قال في كتابه « العلو للعلي الغفار »[٤]:

«كان أبو الحسن أولا معتزليا، أخذ عن أبي علي الجُبَّائي، ثم نابذه وردَّ عليه، وصار متكلما للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كَخَوْض حكماء الأوائل في الأشياء، ومَشَوْا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله».

وممن قال برجوعه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة (٧٧١ هـ)، قال في « طبقات الشافعية الكبرى »[٥]:

---

(١) انظر: تبيين كذب المفتري (ص ١٢٧).

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٦) ـ من الأصل ـ.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٧٨) ـ من الأصل ـ.

(٤) العلو (ص ٢٨٤).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٤٦) ـ من الأصل ـ.

«أقام أبو الحسن على الاعتزال أربعين سنةً، حتى صار للمعتزلة إماماً، فلما أراده الله لنصرة دينه، وشَرَحَ صدْرَه لاتباع الحق، غاب عن الناس في بيته»، وذكر كلام ابن عساكر المتقدم بحروفه.

ومنهم برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فَرْحون اليَعْمُري المدني المالكي المتوفى سنة (٧٩٩ هـ)، قال في كتابه « الدِّيباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المَذْهَب»[(١)]: «كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق، ومذهب أهل السنة، فكثر التعجب منه، وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان، فأمره بالرجوع إلى الحق ونَصْرِه، فكان ذلك، والحمد لله تعالى».

ومنهم السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى الحنفي المتوفى سنة (١١٤٥ هـ)، قال في كتابه « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين »[(٢)] قال: «أبو الحسن الأشعري أخذ علم الكلام عن الشيخ أبي علي الجُبَّائي شيخ المعتزلة، ثم فارقه لمنام رآه، ورجع عن الاعتزال، وأظهر ذلك إظهارا، فصعِد منبر البصرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صوته:

من عَرَفَني فقد عَرَفَني، ومن لم يعرفْني، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلْق القرآن، وأن الله لا يُرى بالدار الآخرة بالأبصار، وأن العباد يَخلُقُون أفعالَهم، وها أنا تائب من الاعتزال، معتقِداً الرد على المعتزلة، ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم.

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٩٦).
(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٣) ـ من الأصل ـ.

ثم قال: قال ابن كثير:

ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

ـ أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

ـ والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: الحياة، والعلم والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقَدَم والساق ونحو ذلك[1].

ـ والحال الثالث: إثبات ذلك كلّه من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرا»[2].

وبهذه النقول عن هؤلاء الأعلام ثبت ثُبوتاً لا شكَّ فيه ولا مِرْيَة، أن أبا الحسن الأشعري استقر أمره أخيراً بعد أن كان معتزليا على عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم، وسنة النبي عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) وفي هذا الطور سلك طريقة ابن كلاب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب البصري المتوفى سنة (٢٤٠ هـ)، راجع: العقل والنقل لابن تيمية (٢/ ٥)، طبعة حامد فقي رحمه الله. ـ من الأصل ـ.

(٢) نص ابن كثير في طبقات الشافعية: «ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:
أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.
الحالة الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.
والحالة الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه، جريا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرا». هكذا في الطبقة الثالثة من كتاب "طبقات الشافعية" ـ مخطوط ـ من الأصل ـ.
وطبع بعد ذلك طبعة سقيمة وهذا النص فيه: (١/ ٢١٠).

كتاب الإبانة:

وبعد إتمام هذا الحديث حول رجوعه عن الاعتزال نقرأ بحثاً ثانياً في صحة نسبة: "الإبانة عن أصول الديانة" إليه؛ رداً على بعض الأغمار الذين زعموا أنها مدسوسة عليه، وهذا هو بيت القصيد، فنقول وبالله نستعين:

قال الحافظ ابن عساكر في كتابه « تبيين كذب المفتري »[(١)]: «ذكر ابن حزم الظاهري أنَّ لأبي الحسن الأشعري خمسةً وخمسين تصنيفاً، ثم قال: ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف.

وبعد ذلك سردها، فقال: منها كتاب "اللُّمَع"، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب "كشف الأسرار وهتك الأستار"، ومنها تفسيره "المختزن"، وهو خمسمائة مجلد[(٢)] - على ما يزعم - لم يترك فيه آية تعلق بها بدعي إلا أبطل تعلقه بها، وجعلها حجة لأهل الحق، وبَيَّن المجمل، وشرح المشكِلَ، ونَقَضَ فيه ما حرَّفه الجُبَّائي والبَلْخي في تفسيرهما.

ومنها "الفصول" في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين وأهل التشبيه.

ومنها "مقالات المسلمين"[(٣)] استوعب فيه جميع اختلافهم ومقالاتهم.

وذكرها الحافظ ابن عساكر بأسمائها وموضوعاتها في كتابه التبيين[(٤)].

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٢٨ فما بعدها).

(٢) المجلد عندهم يطلق على الجزء المستقل وعلى كراس كبر أو صغر - من الأصل -.

(٣) وقد عقد في مقالاته فصلا بعنوان: حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة، قال في آخره: "وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب"، فراجعه إنشئت (١/ ٣٢٠) - من الأصل -.

(٤) تبيين كذب المفتري (ص١٢٨ -١٣٦) - من الأصل -.

وقد اطلعت أنا الجامع لهذه الرسالة على ثلاثة من الكتب المذكورة وهي مطبوعة:

١ـ اللُّمَع[١].

٢ـ والإبانة.

٣ـ ومقالات الإسلاميين[٢].

وقال ابن عساكر في «التبيين»[٣]: «وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بالإبانة، عرف موضعه من العلم والديانة.

ثم قال: فإذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد، مُسْتَصْوَبَ المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعنادة، فلا بد أن نحكي هعنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركا للخيانة؛ لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ «الإبانة»[٤].

وذكر ما يأتي في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى.

---

(١) طبع بتحقيق حمود غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥ م.

(٢) طبع بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٩ هـ، وقد طبع له أيضا: رسالة إلى أهل الثغر، بتحقيق عبد الله شاكر محمد الجنيدي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية،المدينة المنورة، عام ١٤١٣هـ.

(٣) تبيين كذب المفتري (ص١٢٨) ـ من الأصل ـ.

(٤) تبيين كذب المفتري (ص١٥٢).

ثم قال في جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له:

لو لم يصنـِّـــــــفْ عُمْرَهُ	غيرَ "الإبانــــــة" و"اللُّمَع"
لكـــــــفى فكيف وقد تفنْـ	ـنَ في العلـــومِ بما جَمَعْ
مجموعـــــــةٌ تُرْبِي على الـ	ـمِائتَيـنِ مِمَّا قد صنـــعْ
لم يألُ فـي تصنيفِـــــــها	أخذاً بأحســـنِ ما استمعْ
فهـدى بها المسترشـــــديـ	ـن ومن تصفحـــها انتفعْ
تُتْـلى معاني كُتْبِـــــــهِ	فوقَ المنابـــرِ في الجُمَـــعْ
ويخافُ من إفحـــــامِهِ	أهلُ الكنـائـــسِ وَالبِيَعْ
فهو الشَّـــجَا في حَلْقِ مَنْ	تَرَكَ المحـــجَّةَ وابتدعْ[1]

وممن عزا الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي المتوفى سنة (٤٥٨ هـ)، قال في كتابه «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»[2] ـ في باب القول في القرآن: «ذكر الشافعي رحمه الله ما دلَّ على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتِنا، ونسمعه بآذانِنا، ونكتبه في مصاحفِنا ـ يُسَمَّى كلامَ الله عز وجل، وأنَّ الله عز وجل كلَّم به عباده بأن أرسل به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبمعناه ذكره أيضا علي بن إسماعيل في كتاب "الإبانة"».

وقال[3]: «قال أبو الحسن علي بن إسماعيل في كتابه ـ يعني الإبانة: فإن

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص١٧١).
(٢) (ص٣١) ـ من الأصل ـ.
(٣) في (ص٢٢)، من الكتاب المذكور آنفاً.

قال قائل: تقولون: إن كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ، قيل له: نقول ذلك؛ لأن الله قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[١]، فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم، وهو متلو بالألسنة قال تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾[٢]، والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[٣]».

ثم قال[٤] بعد أن سرد الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق: «وقد احتج علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله بهذه الفصول» انتهى[٥].

وممن ذكر الإبانة وعزاها لأبي الحسن الأشعري الحافظ المعروف بالذهبي، قال في كتابه العلو للعلي الغفار: «قال الأشعري في كتاب الإبانة في أصول الديانة له في باب الاستواء: فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول: إن الله مستوٍ على عرشِهِ كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ... إلى آخرما في الإبانة.

ثم قال: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري، شَهَرَه الحافظ ابن عساكر، واعتمد عليه، ونسخه بخطِّه الإمامُ محيي الدين النَّووي».

---

(١) سورة البروج: الآيتان ٢١ـ٢٢.

(٢) سورة القيامة: الآية ١٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦.

(٤) في (٣٦).

(٥) من نسخة مخطوطة يرجع تاريخ خطها إلى سنة ١٠٨٦هـ، وهي محفوظة لدى الشيخ إسماعيل الأنصاري، وطبعت في مصر قريبا ـ من الأصل ـ.
وانظر المطبوع (ص٩٨).

وذكر الذهبي عن الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطُّرْقي أنه قال: «قرأتُ في كتاب أبي الحسن الأشعري الموسوم بـ "الإبانة" أدلةً على إثبات الاستواء.

ونقل عن أبي علي الدقّاق أنّه سمع زاهر بن أحمد الفقيه يقول: مات الأشعريُّ ورأسه في حِجْرِي، فكان يقول شيئا في حال نزعه: لعن اللهُ المعتزلةَ موَّهوا ومَخْرَقوا» انتهى كلام الذهبي[١].

وممن نسبها إلى أبي الحسن الأشعري ابن فرحون المالكي قال في كتاب "الدِّيباج": «ولأبي الحسن الأشعري كتب منها: كتاب "اللُّمَع" الكبير، وكتاب "اللُّمَع" الصغير، وكتاب "الإبانة في أصول الديانة"»اهـ[٢].

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة (١٠٩٨ هـ)، قال في كتابه "شذرات الذهب في أعيان من ذهب"[٣]: «قال أبو الحسن الأشعري في كتابه "الإبانة في أصول الديانة"، وهو آخر كتاب صنَّفه، وعليه يعتمد أصحابُه في الذَّبِّ عنه عند من يطعن عليه»، ثم ذكر فصلا كاملا من "الإبانة".

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري السيد مرتضى الزبيدي، قال في "إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين"[٤]: «صنَّف أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال "الموجز"، وهو في ثلاث مجلدات، كتاب مفيد في الرد

---

(١) العلو (ص ٢٧٨) ـ من الأصل ـ.

(٢) الديباج المذهب (١٩٣ـ١٩٤) ـ من الأصل ـ.

(٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣) ـ من الأصل ـ.

(٤) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢) ـ من الأصل ـ.

على الجهمية والمعتزلة، و"مقالات الإسلاميين"، وكتاب "الإبانة".

وقد تقدمت الحكاية عن ابن كثير أن "الإبانة" هي آخر كتاب صنفه أبو الحسن الأشعري.

وممن ذكر أن الإبانة تأليف أبي الحسن الأشعري أبو القاسم عبد الملك ابن عيسى بن دِرْباس الشافعي[1]، المتوفى سنة (٦٠٥ هـ)، قال في رسالته في الذب عن أبي الحسن الأشعري[2]: «اعلموا معشر الإخوان أن كتاب "الإبانة عن أصول الديانة"، الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبه كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمنِّ الله ولُطْفِه، وكل مقالة تُنسب إليه الآن مما يُخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله سبحانه منها، وكيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها.

وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين.

وأن ما فيه هو الذي دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عن هذا إلى غيره، فإلى ماذا يرجع؟!.

أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيُّون وقد عَلِمَ أنه مذهبهم ورواه عنهم؟؟!!.

---

(١) في هامش المطبوعة القديمة، بخط الشيخ الوالد ـ رحمه الله تعالى وغفر له: « ابن دِرْباس: صدر الدين أبو القاسم عبدالملك بن عيسى الماراني، الشافعي، الشافعي، وُلِد سنة ٥١٦ هـ، وتفقَّه بحلب على أبي الحسن المرادي، وسمع بدمشق من أبي القاسم بن البن، وسكن مصر، وبها مات رجب سنة ٦٠٥هـ. العبر [١٣/٥]

(٢) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري (ص ١٠٧ـ١٠٨).

هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوامِّ المسلمين، كيف بأئمة الدين!!

أو هل يُقال: إنه جَهِلَ الأمر فيما نقله عن السلف الماضين مع إفنائه جُلَّ عُمُرِهِ في استقراء المذاهب، وتَعَرُّفِ الدِّيانات؟!.

هذا مما لا يتوهمه منصف، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، وقد ذكر "الإبانة" واعتمد عليها، وأثبتها للإمام أبي الحسن الشعري، وأثنى عليه بما ذكره فيها، وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه ـ جماعةٌ من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم».

وذكر ابن دِرْباس طائفةً من الذين قدمنا ذكرهم، وزاد:

«الحافظ أبا العباس أحمد بن ثابت الطَّرْقي، وذكر عنه أنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه: رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي علوِّ الله على العرش، وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادَّعَوْه، وكذب تعاطوْه، فقد قرأتُ في كتابه الموسوم بـ"الإبانة عن أصول الديانة" أدلةً من جملة ما ذكرته على إثبات الاستواء.

ومنهم الإمام الأستاذ الحافظ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني، ذكر عنه أنه ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا بيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ويُظْهِر الإعجاب به، ويقول: ما الذي يُنْكَرُ على من هذا الكتاب شَرْحُ مذهبِهِ؟!.

هذا قول الإمام أبي عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان.

ومنهم إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي، ذكر الإمام أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه، فقال: وله كتاب في السنة سماه كتاب "الإبانة"، صنَّفه ببغداد لما دخلها.

وذكر ابن دِرْباس أنه وجد كتاب "الإبانة" في كتب أبي الفتح نصر المقدسي[١] رحمه الله ببيت المقدس، وقال: رأيتُ في بعض تآليفه في الأصول فصولاً منها بخطِّه.

ومنهم الفقيه أبو المعالي مُجَلّي[٢] صاحب كتاب "الذخائر" في الفقه:

قال ابن دِرْباس: أنبأني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك بن علي البغدادي، ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب الإبانة، قال: نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه مُجَلّي الشافعي أخرجها من مجلدةٍ، فنقلتُها وعارضتُ بها، وكان رحمه الله يعتمدُ عليها، وعلى ما ذكره فيها، ويقول: لله من صنَّفه!. ويُناظر على ذلك من يُنكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، قال: هذا مذهبي، وإليه أذهب.

نقلتُ هذا في سنة (٥٤٠هـ) بمكة.

وهذا آخر ما نقلت من خطِّ ابن الطَّبَّاخ[٣].

وذكر فيمن عزاها إلى أبي الحسن أبا محمد بن علي البغدادي نزيل مكة، قال ابن دِرْباس: شاهدت نسخة من كتاب "الإبانة" بخطه من أوله إلى آخره، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ أبي الحسن بن المفضل المقدسي، ونسخت منها نسخة، وقابلتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نَصْر المقدسي ببيت المقدس، ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية، المنتمين افتراءً إلى أبي الحسن

---

(١) المتوفى سنة (٤٩٠ هـ) ـ من الأصل ـ.

(٢) المتوفى سنة ٥٥٠هـ. وانظر: ترجمته وضبط اسمه في طبقات الأسنوي (١/ ٥١١).

(٣) هو المبارك بن علي البغدادي المتقدم ذكره.

الأشعري ببيت المقدس، فأنكرها وَجَحَدَها، وقال: ما سمعنا بها قطُّ، ولا هي من تصنيفه. واجتهد آخِراً في إعمال رويتِه، ليزيل الشُّبْهة بفطنتِه، فقال ـ بعد تحريك لحيتِه: لعله ألفها لما كان حَشَوِيّاً.

قال ابن دِرْباس: فما دريتُ من أي أمريه أعجب، أمن جهلِهِ بالكتاب مع شهرتِه، وكثرةِ مَن ذَكَرَه في تصانيفه من العلماء، أو من جَهْلِهِ بحال شيخه، الذي يفتري عليه بانتمائه إليه، واشتهاره قبل توبته من الاعتزال بين الأمة عالمِها وجاهلِها.

فإذا كانوا بحال من ينتمون إليه بهذه المثابة، فكيف يكونون بحال السلف الماضين، وأئمة الدين من الصحابة والتابعين، وأعلام الفقهاء والمحدِّثين، وهم لايَلْوون على كتبهم، ولا ينظرون في آثارهم، وهم والله بذلك أجهلُ، وأجهل.

كيف لا، وقد قَنِعَ بَعضُ من ينتمي منهم إلى أبي الحسن الأشعري بمجرد دعواه، وهو في الحقيقة مخالف لمقالة أبي الحسن التي رجع إليها، واعتمد في تدينه عليها، قد ذهب صاحب التأليف إلى المقالة الأولى، وكان خلاف ذلك أحرى به، وأولى، لتستمر القاعدة، وتصير الكلمة واحدة» انتهى كلام ابن دِرْباس رحمه الله[1].

وممن ذكر الإبانة ونسبها إلى أبي الحسن الأشعري تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨ هـ)، قال في "الفتوى الحموية الكبرى"[2]:

---

(١) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري (ص ١١١ـ١٣٢).
(٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص٧٠) ـ من الأصل ـ.

«قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه "الإبانة في أصول الديانة"، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه، فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة».

وذكر ما في أول كتاب الإبانة بحروفه، وسيأتي ذكره إن شاء الله قريبا.

وممن عزاها إلى أبي الحسن الأشعري شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة (٧٥١ هـ)، قال في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية[١]: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة، (سلك طريق ابن كُلاَّب، ومال إلى)[٣] أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كـ"الإبانة" و"الموجز" و"المقالات" وغيرها.

ثم قال ابن القيم: وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري وأبي عبد الله بن المجاهد، والقاضي أبي بكر الباقلاني متفقون على إثبات الصفات الخبرية، التي ذُكِرَت في القرآن كالاستواء والوجه واليدين، وعلى إبطال تأويلها، وليس للأشعري في ذلك قولان أصلا، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين، ولكن لأتباعه قولان في ذلك.

ولأبي المعالي الجويني في تأويلها قولان:

---

(١) الطبعة الهندية (ص١١١) ـ من الأصل ـ.

(٢) انظر: درء التعارض (٢/ ١٦ـ١٨).

(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوع، واستدرك من مسودة الكتاب بخط الشيخ الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ.

- أولهما في "الإرشاد".

- ورجع عن تأويلها في "رسالته النظامية"[١] وحرَّمَهُ، ونقل إجماعَ السلف على تحريمه، وأنه ليس بواجب ولا جائز.

ثم ذكر ابن القيم قول أبي الحسن الأشعري إمام الطائفة الأشعرية، قال: نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز و"الإبانة" و"المقالات"».

وقال ابن القيم في قصيدته النونية التي سماها "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية"[٢]:

والأشعريُّ قال: تفسيرُ استوى ... بحقيقةِ استولى من البُهتانِ
هو قول أهل الاعتزال وقول أتـ ... ـباعٍ لجهم وهو ذو بُطلانِ
في كتبه قد قال ذا من "موجزٍ" ... و"إبانةٍ" و"مقالةٍ" ببيانِ

وقال أيضا[٣]:

وحكى ابنُ عبدِ البَرِّ في "تمهيده" ... وكتابِ "الاستذكار" غيرَ جَبانِ
إجماعَ أهل العلم أنَّ الله فوق ... العرْش بالإيضاح والبُرْهَانِ
وأتى هناك بما شفى أهلَ الهدى ... لكنه مرضٌ على العُميانِ
وكذا عليُّ الأشعريُّ فإنَّه ... في كُتْبِهِ قد جاء بالتِّبْيانِ
من "موجز" و"إبانة" و"مقالةٍ" ... ورسائل للثغْر ذاتِ بَيَانِ

---

(١) راجع: (ص٢٣) من "النظامية" طبعة سنة ١٩٤٨ م، بمطبعة الأنوار بالقاهرة، تجد ما ذكره ابن القيم عن رجوع الجويني إلى عقيدة السلف - من الأصل -.

(٢) الطبعة المصرية (ص٦٨) - من الأصل -.

(٣) الكافية الشافية (ص٦٩-٧٠) - من الأصل -.

وأتى بتقرير استــواءِ الرَّبِّ فــوقَ العرشِ بالإيــــضاحِ والبرهانِ
وأتى بتقريرِ العُلُوِّ بأحــــسنِ التَّـ ـقريــرِ فانظرْ كتْبه بِعِــــيانِ

وقد أكَّد هذه النقول الثابتة في توبة أبي الحسن الأشعري من التعطيل والتأويل السلفي الكبير، محبُّ الدِّين الخطيب في تعليقه على "المنتقى" مختصر منهاج السنة لابن تيمية حيث قال: «إنَّ الأشعريَّة منسوبون إلى أبي الحسن الأشعري، وقد علمتَ أنَّ أبا الحسن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار:

أولها: انتماؤُه إلى المعتزلة.

والثاني: خروجُه عليهم، ومعارضتُه لهم، بأساليب متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف.

والطور الثالث: انتقالُه إلى مذهب السلف، وتأليفُه في ذلك كتاب الإبانة وأمثاله، وقد أراد أن يلقى الله على ذلك.

وقال في موضع آخر: أمَّا الأشعريَّة ـ أي المذهب المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري في علم الكلام ـ فكما أنه لا يمثِّلُ الأشعري في طور اعتزاله، فإنَّه ليس من الإنصاف أن يُلْصَقَ به فيما أراد أن يلقى الله عليه، بل هو مستمَدٌّ من أقواله التي كان عليها في الطور الثاني، ثم عَدَلَ عن كثير منها في آخرته، التي أتمَّها الله عليه بالحسنى.

إلى أن قال: وأبو الحسن الأشعري من كبار أئمة الكلام في الإسلام، نشأ في أول أمره على الاعتزال، وتتلمذ فيه على الجُبَّائي، ثم أيقظ الله بصيرتَه وهو في منتصف عمره وبداية نضجه سنة (٣٠٤ هـ)، فأعلن رجوعه عن ضلالة الاعتزال، ومضى في هذا الطور الثاني نشيطا يؤلف، ويلقي الدروس في الرد على المعتزلة سالكا طريقا وسطاً بين طريقة الجدل والتأويل، وطريقة السلف.

ثم محَّض طريقتَه، وأخلصها لله بالرجوع الكامل إلى طريقة السلف في إثبات كل ما ثبت بالنص، من أمور الغيب التي أوجب الله على عباده إخلاصَ الإيمان بها، وكتب بذلك كُتُبَهُ الأخيرةَ، ومنها في أيدي الناس كتاب "الإبانة"، وقد نص مترجموه على أنها آخر كتبه، وهذا ما أراد أن يلقى الله عليه، وكل ما خالف ذلك مما يُنسب إليه، أوْ صارت تقول به الأشعريَّة، فالأشعريُّ رجع عنه إلى ما في كتاب "الإبانة" وأمثاله.

ثم قال: إنَّ أقوال الأشعري تطورت بتطوره الفكري من الاعتزال، إلى الجدل الكلامي مع المعتزلة تزييفا لمقالاتهم، ثم أحسن الله خاتمته بالرجوع إلى مذهب السلف خالصاً صافياً» اهـ[1].

قلتُ: وهذه نقول الأئمة الأعلام، أعلامِ الإسلام، قد تضمنت بالصراحة التي لا يتناطح عليها عنزان، ولا يمتري فيها اثنان أن كتاب "الإبانة" ليس مدسوساً على أبي الحسن الأشعريّ، كما زعمه بعض الأغمار من المقلّدة، بل هو من تواليفه التي ألفها أخيراً، واستقرَّ أمرُهُ على ما فيها من عقيدة السلف، التي جاءت في القرآن الكريم، وسنَّةِ النَّبيِّ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد هذه النقول الدالة دلالة واضحة على صحة نسبة الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري، وأنها آخر كتاب صنفه، أذكر للقارئ الكريم نموذجا من عقيدة هذا الإمام التي رجع إليها، كما في إبانته ومقالاته، أذكرها بِفَصِّها ونصِّها؛ ليظهر لكل مُنصِفٍ قرأها بفهم دون تعصب ـ أنَّ أبا الحسن الأشعري تاب من التعطيل والتحريف والتأويل، كما أنه لم يسبق عليه أن

(١) المنتقى (ص٤١ـ٤٣) ـ من الأصل ـ.

كان صاحبَ تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، بل هو مثبتٌ، ومعتقد كل ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى في كتابه، أو أخبر به عنه نبيُّه عليه الصلاة والسلام، على الأسس الثلاثة التي اشتملت عليه آية سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١)، وآية سورة طه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٢):

١ـ الأساس الأول: تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات في جميع صفاته وأسمائه وذاته.

وإلى هذا الأساس الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

٢ـ والأساس الثاني: إثبات جميع صفات الله العلى وأسمائه الحسنى، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

٣ـ الأساس الثالث: اليأس وعدم الطمع من إدراك كيفية صفات الله وأسمائه، كما أنه لا يطمع أي أحد من المخلوقات في إدراك كيفية ذات الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

فهاكَ مُجْمَلَ عقيدة أبي الحسن الأشعري في "إبانته" التي هي آخر كتاب صنفه، قال في أولها: « باب في إبانة قول أهل الحق والسنة.

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتُمْ قولَ المعتزلة والقدرية والجهمية والحَرُورِيَّة والرَّافضة والمُرْجِئة، فعرِّفونا قولَكم الذي به تقولون، وديانتَكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي نَدينُ بها التمسك بكتاب ربنا

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.
(٢) سورة طه: الآية ١١٠.

عز وجل، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما رُوِي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل نَضَّر الله وجهَه، ورفع درجتَه، وأجزل مثوبتَه ـ قائلون، ولمن خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحقّ، ورفع به الضَّلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدعَ المبتدعين، وَزَيْغَ الزائغين، وشكَّ الشَّاكّين، فرحمة الله عليه من إمامٍ مقدَّم، وجليلٍ معظَّم، وكبيرٍ مفخَّم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا:

أنَّا نُقِرُّ بالله وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، وبما جاءوا به من عندِ الله، وما رواه الثقاتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نَرُدُّ من ذلك شيئاً.

وأَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إلهٌ واحدٌ، لا إله إلا هو، فرد صَمَد، لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً.

وأَنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق.

وأَنَّ الجنَّةَ حقٌّ والنار حقٌّ.

وأَنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريب فيها، وأَنَّ الله يَبعث من في القبور.

وأَنَّ الله مستوٍ على عرشِهِ، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[1].

وأَنَّ له وجهاً، كما قال: ﴿وَيَبقى وجْهُ ربِّك ذُو الجَلالِ والإِكْرامِ﴾[2].

وأَنَّ له يدين بلا كَيْف، كما قال: ﴿لما خلقتُ بِيَدَي﴾[3]، وكما قال:

---

(١) سورة طه: الآية ٥.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٧.

(٣) سورة ص: الآية ٧٥.

﴿بل يَدَاه مَبْسُوطَتَان﴾[١].

وأَنَّ له عيْنَيْنِ بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٢].

وأَنَّ من زعم أَنَّ أسماء الله غيره كان ضالاً.

وأَنَّ لله علماً كما قال: ﴿أنزله بِعِلْمِه﴾[٣]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ من أُنثى ولاتَضَعُ إلا بِعِلْمِه﴾[٤].

ونُثبِتُ لله السمعَ والبصرَ، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهميَّة والخوارج.

ونثبت أَنَّ لله قوةً كما قال: ﴿أَوَ لم يَرَوْا أَنَّ الله الذي خَلَقَهُمْ هُو أَشدُّ منهم قوةً﴾[٥].

ونقول: إنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوق، وإنه لم يخْلُقْ شيئا إلا وقد قال له كن فيكون، كما قال: ﴿إنما قولُنا لشيْءٍ إِذا أَردناهُ أَن نقولَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾[٦].

وأَنَّه لا يكونُ في الأرض شيءٌ، من خير وشر إلا ما شاء الله، وأَنَّ الأشياءَ تكونُ بمشيئة الله عز وجل.

وأَنَّ أحداً لا يستطيع أن يفعلَ شيئاً قبل أن يفعله الله.

ولا يَستغني عن الله ولا يقدِرُ على الخروج عن علم الله عز وجل.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٢) سورة القمر: الآية ١٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٦.

(٤) سورة فاطر: الآية ١١.

(٥) سورة فصلت: الآية ١٥.

(٦) سورة النحل: الآية ١٦.

وأنّه لا خالقَ إلا الله، وأنَّ أعمالَ العبد مخلوقةٌ لله مقدورةٌ كما قال: ﴿والله خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُون﴾(١).

وأنَّ العباد لا يقدِرُون أن يخلُقُوا شيئا وهم يُخلَقُون كما قال: ﴿هلْ مِن خَالقٍ غيرُ الله﴾(٢)، وكما قال: ﴿لا يَخْلُقُون شيئاً وَهُم يُخْلَقُون﴾(٣)، وكما قال: ﴿أفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لا يَخْلُق﴾(٤)، وكما قال: ﴿أمْ خُلِقُوا من غير شيءٍ أم هُمُ الخَالِقُون﴾(٥)، وهذا في كتاب الله كثير.

وأَنَّ الله وفَّق المؤمنين لطاعته، ولَطَفَ بهم، ونظر لهم، وأصلحهم وهداهم، وأضلَّ الكافرين، ولم يهدِهِم، ولم يَلْطُفْ بهم بالإيمان، كما زعم أهل الزَّيغِ والطغيان، ولو لطف بهم، وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين.

وأَنَّ الله يقدِرُ أن يُصلِحَ الكافرين، ويلطُفَ بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما عَلِم، وأنّه خَذَلَهم وطَبَع على قلوبهم.

وأَنَّ الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنّا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومرِّه، ونعلم أَنَّ ما أخطأنا لم يكن لِيُصيبَنا، وأَنَّ ما أصابنا لم يكن لِيُخطِئَنا.

وأَنَّ العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا إلا بالله، كما قال عز

---

(١) سورة الصافات: الآية ٩٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٢٠.

(٤) سورة النحل: الآية ١٧.

(٥) سورة الطور: الآية ٣٥.

وجل: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ولاَ ضَرًّا إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾(١).

وأنّا نلجأ في أمورنا إلى الله، ونُثْبِتُ الحاجةَ والفقرَ في كل وقت إليه.

ونقول: إنَّ كلام اللهَ غيرُ مخلوق، وأنَّ من قال بخلق القرآن فهو كافر.

ونَدينُ بأَنَّ الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار، كما يُرى القمرُ ليلةَ البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنَّة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُم عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُون﴾(٢).

وإنَّ موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلَّى للجبل فجعله دكّاً، فأعلم بذلك موسى أنّه لا يراه في الدنيا.

ونَدينُ بأن لا نكفِّرَ أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا، والسرقة، وشرب الخمور، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون.

ونقول: إنَّ كلَّ من عمل كبيرةً من هذه الكبائر، مثلَ الزِّنا والسرقة وما أشبههما مستحلاً لها، غيرَ معتقدٍ لتحريمها كان كافرا.

ونقول: إنَّ الإسلامَ أوسعُ من الإيمان، وليس كلُّ إسلام إيماناً.

ونَدينُ الله عز وجل بأنه يُقلِّب القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

وأنَّه سبحانه يضعُ السموات على إصبع، والأَرَضِينَ على إصبع، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونَدينُ بأَن لا نُنزِلَ أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان ـ جنَّةً،

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٢) سورة المطففين: الآية ١٥.

ولا ناراً، إلا من شَهِدَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنَّة.

ونرجو الجنَّة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذَّبين.

ونقول: إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امْتَحَشُوا[١] بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ تصديقاً لما جاءت به الروايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وأَنَّ الميزانَ حقٌّ، والصراط حقٌّ، والبعث بعد الموت حقٌّ، وأَنَّ الله عز وجل يُوقِف العباد في الموقف،ويحاسب المؤمنين.

وأَنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقص.

ونُسلِّم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلٌ عن عدلٍ، حتى ينتهيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونَدينُ بحبِّ السلف، الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيِّه عليه السلام، ونُثني عليهم بما أثنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

ونقول: إنَّ الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وإنَّ الله أعز به الدين، وأظهره على المرتدين، وقدَّمه المسلمون للإمامة، كما قدَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمَّوْه جميعُهم خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

---

(١) أي: احترقوا. النهاية في غريب الحديث (محش/٤/ ٣٠٢)

ثم عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، وإنَّ الذين قاتلوه، قاتلوه ظُلماً وعُدواناً.

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النُّبوَّة.

ونشهد بالجنَّة للعشرة الذين شهِدَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها.

ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ونَكُفُّ عما شَجَر بينهم.

ونَدينُ الله بأَنَّ الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديُّون فضلاء، لا يُوازيهم في الفضل غيرهم.

ونُصدِّق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدُّنيا، وأَنَّ الربَّ عزَّ وجلَّ، يقول: هل من سائلٍ، هل من مستغفرٍ، وبسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافا لما قاله أهل الزَّيْغ والتضليل.

ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربِّنا، وسنةِ نبيِّنا، وإجماعِ المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدعُ في دين الله ما لم يأذن الله به، ولا نَقولُ على الله ما لا نَعلمُ.

ونقول: إنَّ الله عز وجل يجيءُ يومَ القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(١).

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٢.

وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرُبُ من عباده كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[2][3].

ومن ديننا أن نصلي الجمعة، والأعياد، وسائر الصلوات والجماعات ـ خَلْفَ كلِّ برٍّ وفاجر، كما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّه كان يُصلي خلْفَ الحَجَّاج.

وأَنَّ المسحَ على الخُفَّيْن سنةٌ، في الحضر والسفر، خلافاً لمن أنكر ذلك.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة.

ونَدينُ بإنكار الخروج بالسيف، وَتَرْكِ القتالِ في الفتنة.

ونُقِرُّ بخروج الدَّجَّال كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بعذاب القبر، ومُنكر ونَكير، ومساءلتِهما المدفونين بقبورِهم.

ونُصدِّق بحديث المعراج.

ونُصَحِّحُ كثيرا من الرؤيا في المنام، ونُقِرُّ أَنَّ لذلك تفسيراً.

ونرى الصدقةَ عن موتى المسلمين والدُّعاءَ لهم، ونؤمن أَنَّ الله ينفعُهُم بذلك.

ونُصدِّق بأَنَّ في الدنيا سِحْرًا وَسَحَرة، وأَنَّ السِّحْرَ كائن موجود في الدنيا.

---

(١) سورة ق: الآية ١٦.

(٢) سورة النجم: الآيتان ٨ـ٩.

(٣) في هذه الآية من سورة النجم الضمائر عائدة على جبريل عليه السلام ـ من الأصل ـ.

ونَدينُ بالصلاة على من مات من أهل القبلة، برهم وفاجرهم، وتوارثهم.

ونُقِرُّ أَنَّ الجنة والنار مخلوقتان.

وأَنَّ من مات وقُتِل فبأجله مات وقُتِل.

وأَنَّ الأرزاق من قِبَلِ الله، يرزقُها عبادَه حلالاً وحراماً.

وأَنَّ الشيطان يوسوِسُ للإنسان، ويشكّكُه ويتخبَّطُه، خلافا لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عز وجل: ﴿الذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ﴾ (١)، وكما قال: ﴿مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ. الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

ونقول: إنَّ الصالحين يجوز أن يخصَّهم الله عز وجل بآيات يُظهرها عليهم.

وقولنا: في أطفال المشركين: إنَّ الله يؤجِّجُ لهم في الآخرة ناراً، ثم يقول لهم: اقتحِمُوها كما جاءت بذلك الرواية.

ونَدينُ الله عز وجل بأنّه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان، وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون.

وبطاعةِ الأئمة، ونصيحةِ المسلمين.

ونرى مُفارقةَ كلِّ داعية إلى بدعة، ومجانبةَ أهل الأهواء» (٢).

وبعد مجمل عقيدة أبي الحسن الأشعري التي دونها في "إبانته"، نذكر ما

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٢) الإبانة (ص٥٢ـ٦٤).

سطره ببنانه في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، تحت هذا العنوان:

هذه حكايةُ جملةِ قول أصحاب الحديث وأهل السنة.

فنقول: قال أبو الحسن:

«جملة ما عليه أهل الحديث والسنة:

الإقرار بالله، وملائكته، وكُتُبِه، ورسله، وما جاء من عند الله.

وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردُّونَ من ذلك شيئًا.

وأَنَّ الله سبحانه إلهٌ واحدٌ، فرد صمدٌ، لا إله غيره لم يتخذْ صاحبة ولا ولدًا، وأَنَّ محمدًا عبده ورسوله.

وأَنَّ الجَنَّةَ حقٌّ، وأَنَّ النار حق، وأَنَّ الساعة آتية لا رَيْبَ فيها، وأَنَّ الله يبعث من في القبور.

وأَنَّ الله سبحانه على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١].

وأَنَّ له يَدَيْنِ بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٢]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣].

وأَنَّ له عَيْنَيْنِ بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٤].

وأَنَّ له وَجْهًا كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٥].

---

(١) سورة طه: الآية ١١٠.
(٢) سورة ص: الآية ٧٥.
(٣) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٤) سورة القمر: الآية ١٤.
(٥) سورة الرحمن: الآية ٢٧.

وأنَّ أسماء الله لا يقال: إنَّها غير الله[١]، كما قالت المعتزلة والخوارج.

وأقروا أَنَّ لله سبحانه علما كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [٢]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[٣].

وأثبتوا السَّمْع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله، كما نفته المعتزلة.

وأثبتوا لله القوة، كما قال: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذي خَلَقَهُم هُوَ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً﴾[٤].

وقالوا: إنَّه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وأنَّ الأشياء تكون بمشيئة الله، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[٥]، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لا يشأ لا يكون.

وقالوا: إنَّ أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعلَه، أو يكون أحد يقدر أن يَخْرُجَ عن علم الله، أو أن يفعل شيئا علم الله أنَّه لا يفعله.

وأقروا أنَّه لا خالق إلا الله، وأنَّ سيئات العباد يَخْلُقُها الله، وأنَّ أعمال العباد يخلقها عز وجل، وأنَّ العباد لا يَقْدِرُونَ أن يَخْلُقوا منها شيئا.

وأَنَّ الله وَفَّق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين، ولطف بالمؤمنين، ونظر لهم، وأصلحهم وهداهم، ولم يَلْطُف بالكافرين، ولا أصلحهم ولا هداهم،

---

(١) لأن هذه الكلمة تحتمل معنى صحيحا ومعنى باطلا، فإذا أراد أن الله عز وجل كان ولا أسماء له، فهذا معنى باطل، وإذا أراد بها أن هناك موصوفا وصفات لازمة، فهذا معنى صحيح ـ من الأصل ـ.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٦.

(٣) سورة فاطر: الآية ١١.

(٤) سورة فصلت: الآية ١٥.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٣٠

ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين.

وأنَّ الله سبحانه يقدر أن يُصْلِحَ الكافرين، ويلطُفَ بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن لا يُصْلِحَ الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم.

وأنَّ الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومُرِّه.

ويؤمنون أنَّهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله كما قال.

ويَلْجَئُون أمرهم إلى الله سبحانه، ويُثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت، والفقر إلى الله في كل حال.

ويقولون: إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق[١].

والكلام في الوقف واللفظ: من قال باللفظ، أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يُقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يُقال: غيرُ مخلوق.

---

(١) قال عمرو بن دينار: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

ولقد لقي عمرُو بنُ دينار ابنَ عباس، وابنَ عمر، وابنَ الزبير، وجابرَ بن عبد الله، والمِسْوَرَ ابن مَخْرمة، وسعد بن عائذ القرظ مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسائب بن يزيد الكندي وأبا الطفيل عامر بن واثلة.

انتهى من شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦١ ـ مخطوط ـ)، وقد ذكر إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق، وكذلك عقد بابا في إجماع التابعين لهم بإحسان على أن القرآن غير مخلوق ـ من الأصل ـ.

وانظر: المطبوع (١/ ٢٥٣ فما بعدها).

ويقولون: إنَّ الله سبحانه يُرَى بالأبصار يوم القيامة، كما يُرَى القمر ليلةً البَدْر، يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون، لأَنَّهم عن الله محجوبون، قال الله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1].

وأَنَّ موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا، وأَنَّ الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أَنَّه لا يراه في الدنيا، بل يراه في الآخرة.

ولا يُكَفِّرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كنحو الزنا والسرقة، وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون، وإنِ ارتكبوا الكبائر.

والإيمان عندهم: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، حلوه ومُرِّه، وأنَّ ما أخطأهم لم يكن لِيُصِيبَهم، وأن ما أصابهم لم يكن لِيُخْطِئَهم.

والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأَنَّ محمدا رسول الله، على ما جاء في الحديث.

والإسلام عندهم غير الإيمان.

ويُقِرُّون بأَنَّ الله سبحانه مقلّب القُلُوب.

ويُقِرُّون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأَنَّها لأهل الكبائر من أمته.

وبعذاب القبر، وأَنَّ الحوض حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله عز وجل للعباد حق، والوقوف بين يدي الله حق.

---

(١) سورة المطففين: الآية ١٥.

ويُقِرُّون بأَنَّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا غير مخلوق.

ويقولون: أسماء الله هي الله[1].

ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يَحْكُمُون بالجنة لأحدٍ من الموحِّدِينَ حتى يكونَ الله سبحانه يُنْزِلُهُم حيث شاء.

ويقولون: أمرهم إلى الله إنْ شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم.

ويؤمنون بأَنَّ الله سبحانه يُخْرِجُ قوما من الموحدين من النار، على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويُنْكِرُون الجدَلَ والمِرَاء في الدين، والخصومةَ في القَدَر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم بالروايات الصحيحة.

ولِمَا جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلٌ عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقولون: كيف؟ ولا لِمَ؟ لأَنَّ ذلك بدعة.

ويقولون: إنَّ الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه، وأمر بالخير،ولم يرضَ بالشر وإن كان مريدا له.

ويعرفون حقَّ السلف الذي اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بفضائلهم، ويُمْسِكُون عما شَجَرَ بينهم، صغيرهم وكبيرهم.

---

(١) يعني أن أسماء الله عز وجل لا تفارقه، ولم يسبق أن لم يسم بها ـ من الأصل ـ.

ويقدِّمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا رضوان الله عليهم، ويُقِرُّون أنّهم الخلفاء الراشدون المهديون، أفضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

ويصدِّقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: «هل من مستغفر»، كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويأخذون بالكتاب والسنة، كما قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[1] الآية.

ويرون اتِّباعَ من سلف من أئمة الدين، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.

ويُقِرُّون أَنَّ الله سبحانه يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2]، وأَنَّ الله يَقْرُبُ من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3].

ويَرَوْنَ العيدَ والجمعةَ والجماعةَ خلف كل إمام، بَرٍّ وفَاجِرٍ.

ويُثبتون المسح على الخُفَّين سنةً، ويرونه في الحضر والسفر.

ويُثبتون فرضَ الجهاد للمشركين، منذ بَعَثَ اللهُ نَبيَّه صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة تُقاتل الدجال، وبعد ذلك.

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٣) سورة ق: الآية ١٦.

ويصدّقون بخروج الدجال، وأنَّ عيسى بن مريم يقتله.

ويؤمنون بمنكر ونكير.

والمِعْرَاج.

والرؤيا في المنام.

وأنَّ الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم.

ويصدّقون بأَنَّ في الدنيا سَحَرَة، وأَنَّ الساحر كافر كما قال الله تعالى[١]، وأَنَّ السِّحْر كائن موجود في الدنيا.

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برِّهم وفاجرِهم، وموارثتهم.

ويُقِرُّون أَنَّ الجنة والنار مخلوقتان.

وأَنَّ من مات مات بأجله، وكذلك من قُتِلَ قُتِلَ بأجله.

وأَنَّ الأرزاق من قِبَلِ الله سبحانه، يرزقها عباده حلالاً كانت أم حراماً.

وأَنَّ الشيطان يُوسْوِسُ للإنسان ويُشَكِّكُه ويتخبطه.

وأَنَّ الصالحين قد يجوز أن يخصهم بآيات تظهر عليهم.

وأَنَّ السنة لا تُنسخ بالقرآن[٢].

وأَنَّ الأطفال أمرُهم إلى الله إن شاء عذَّبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد.

وأَنَّ الله عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأَنَّ الأمور بيد الله.

---

(١) ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾. سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٢) يعني أن القرآن لا يَنْسخُ السنة إلا مع سنة، وأما نسخ السنة بالقرآن بدون سنة معه فلا وجود له. اهـ. انظر: الرسالة للشافعي ـ طبعة: أحمد شاكر ـ (ص١١٠) ـ من الأصل ـ.

ويرون الصَّبْر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل، والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والعصبية، والفَخْر والكِبْر والإِزراء على الناس والعُجْب.

ويرون مجانبة كلِّ داعٍ إلى البدعة.

والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه، مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به، ويستعملونه ويرونه.

وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقُنا إلا بالله، وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل، وبه نستعين، وعليه نتوكل، وإليه المصير» انتهى[1].

فهذا مجمل عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري التي استقرَّ أمره عليها بعد أن أقام على مذهب الاعتزال أربعين عاما حيث أيقظ الله بصيرتَه، وهو في منتصف عُمُرِه، وبدايةِ نُضْجِه، وذلك في سنة (٣٠٤ هـ)، فأعلن رجوعَه عن تعطيل المعتزلة، الذين أنكروا صفات الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وكذلك رجع عن عقيدة الكُلابيَّة في دوره الثاني أتباع ابن كُلاَّب، الذين آمنوا ببعض الصفات، وأولوا ما سواها، وقد تضمن هذا المجمل الذي ذكره في آخر كتاب ألفه رجوعه عن التعطيل "الإبانة في أصول الديانة"، وفصَّله باباً باباً، فراجع هذا الكتاب الواضح تجد ما فيه الكفاية.

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٠ـ٢٢٥) ـ من الأصل ـ.

وكذلك هذا الفصل الذي كتبه بيده في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، وقد تضمن هذان المجملان رادعا عن التعطيل والتأويل، والتكييف والتمثيل.

ولعمري إنَّ هذه العقيدة ينبغي لكل من انتمى إلى أبي الحسن الأشعري أن يعتقدها، ويرجع إليها، كما رجع أبو الحسن الأشعري نفسه، ولا يجوز لمن بلغته أن يخرج عن شيء منها، فإنَّ من خرج عن هذه العقيدة، فليعلم أَنَّ أبا الحسن الأشعري بريءٌ منه براءةَ الذئب من دم يوسف عليه السلام، وقد قال ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب"[١]: «لا يخرج عن هذه العقيدة إلا من في قلبه غِشٌّ ونَكَدٌ».

فتأمل أيها الأخ المنصف هذه العقيدة، ما أوضحَها وأبينَها، واعترف بفضل هذا الإمام العالم الذي شرحها وبَيَّنها، وانظر سهولةَ لفظها، فما أفصحه وأحسنه، وكُنْ ممن قال فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٢]، وتَبَينْ فضلَ أبي الحسن، حيث رجع إلى الحقِّ لَمَّا بان له، واعرفْ إنصافَه.

واسمع وصفه للإمام المبجل أحمد بن حنبل بالفضل، لتعلم أَنَّهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب أهل السنة غير مفترِقَيْن.

نسأل الله تعالى الثبات على هذه العقيدة النبوية، ونستودعها عند من لا تضيع عنده وديعة.

---

(١) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣).

(٢) سورة الزمر: الآيتان ١٧ـ ١٨.

والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، معلِّمِ الخيرات، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تُجْزى فيه الحسنات.

تمت الرسالة بقلم الراجي عفو ربه الباري حماد بن محمد الأنصاري المدرس بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.



الإِعلان

بأَنَّ (لَعَمْرِي) لَيْسَتْ مِنَ الأَيْمَان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فيقول العبد الضعيف، أبو عبد اللطيف حماد بن محمد الأنصاري:

إنه قد جَرَى بيني وبين بعضِ طلبة العلم - بحثٌ حول زَعْمِ النحويين أن كلمة « لَعَمْري» نصٌّ في اليمين، كما قال ابن مالك في "ألفيته":

وبعدَ لولا غالباً حذْفُ الخبَرْ حَتْمٌ وفي نصِّ يمينٍ ذا استقرّ

وأثارت هذه الدعوى بيننا استشكالاً عميقاً؛ لأنّها لا تتلائمُ مع نهي الشارع عن الحلف بغير الله على القول بأنها يمين شرعاً، لما ثبت في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الشيخين:

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مَسْلَمَة، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: " أَنَّ رسولَ الله ﷺ أدرك عُمَرَ بنَ الخطَّاب رضي الله عنه، وهو يسير في رَكْبٍ يحلف بأبيه، فقال: ألا إنَّ اللهَ يَنهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلفْ باللهِ أو لِيصْمُتْ"[١].

وعند ابن أبي شيبة في "مصنفه" من طريق عكرمة قال: قال عمر: حدَّثْتُ قومًا حديثًا، فقلتُ: لا وأبي، فقال رجل من خلفي: " لا تحلفوا بآبائكم "، فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ يقول: " لو أنَّ أحدَكم حَلَفَ بالمسيح هَلَكَ، والمسيحُ خيرٌ من آبائكم"[٢].

---

(١) صحيح البخاري (الحديث ٦٦٤٦)، وصحيح مسلم (الحديث ١٦٤٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ١ / ٢٠).

قال الحافظ: " هذا مرسل يتقوى بشواهده"[١].

وعند الترمذي من وجه آخر عن ابن عمر أنه سَمِعَ رجلا يقول: لا والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

قال الترمذي: حسن[٢].

وصححه الحاكم[٣].

وقال النووي: " قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن أحلفَ بالله مائة مرة فآثم، خيرٌ من أحلف بغيره فأَبَرُّ"[٤].

وروى عبد الرزاق عن الثوري، عن أبي سلمة، عن وَبَرَة قال: قال عبدالله: لا أدري ابن مسعود أو ابن عمر: " لأنْ أحلفَ بالله كاذبا أحبُّ إليّ من أن أحلفَ بغيره صادقاً"[٥].

قال الهيثمي: " رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح"[٦].

وقال العلماء: " السِرُّ في النَّهي عن الحلف بغير الله: أَنَّ الحَلِفَ بالشيء يقتضي تعظيمَه، والعظمةُ في الحقيقة إنما هي لله وحده"[٧].

وقال ابن عبد البر: " أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهيٌّ

---

(١) فتح الباري (١١ / ٥٣١).
(٢) الجامع (الحديث ١٥٣٥).
(٣) المستدرك (٤ / ٢٩٧).
(٤) شرح صحيح مسلم (١١ / ١٠٥).
(٥) المصنف (٨ / ٤٦٩) ـ من الأصل ـ.
(٦) مجمع الزوائد (٤ / ١٧٧) ـ من الأصل ـ.
(٧) فتح الباري (١١ / ٥٣١).

عنها، لا يجوز لأحدٍ الحَلِفُ بها[(١)].

وجزم غيره بالتفصيل فقال: " فإن اعتقد في المحلوف به، من التَّعظيم ما يعتقده في الله حَرُمَ الحَلِفُ به، وكان بذلك الاعتقاد كافراً، وعلى هذا يتنزَّل حديثُ الترمذي المذكور.

وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيمَ المحلوف به، على ما يليق به من التعظيم فلا يَكْفُرُ بذلك، ولا تنعقِد يمينُه"[(٢)].

قال الماوردي: " لا يجوز لأحدٍ أن يُحَلِّفَ أحداً بغير الله؛ لا بطلاقٍ، ولا عَتاقٍ، ولا نذرٍ، وإذا حَلَّفَ الحاكمُ أحداً بشيءٍ من ذلك وجب عَزْلُهُ لِجَهْلِهِ" انتهى[(٣)].

وهذا هو سببُ الاستشكال المذكور آنفاً حول كلمة « لعمري ».

وفي ضمن البحث قلتُ: إنّ لفظَ « لعمري » ليس يمينا شرعيّاً، بل هو يمين لغويَّة؛ لخُلُوِّه من حروف القسم المعروفة المحصورة في: الواو، والباء، والتاء، ولعدم الكفارة على من أقسم بها، هذا مع ثبوت الحديث بأن النبي ﷺ نطق بها.

وصحَّ عن بعض أصحابه رضي الله عنهم التَّفوهُ بها، منهم: ابن عبّاس، وعثمان ابن أبي العاص، وعائشة أمُّ المؤمنين، وأسماء بنت أبي بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم.

وكذلك صحَّ عن التابعين لهم بإحسان استعمالُها منهم: عطاء، وقتادة

---

(١) التمهيد (١٤ / ٣٦٧).
(٢) فتح الباري (١١ / ٥٣١).
(٣) الحاوي الكبير (١٧ / ١٢٨).

وغيرهما كما سيأتي في محلّه إن شاء الله تعالى.

ولم يثبت عن أحدٍ حسب الاستقراء مخالفتُهم إلاَّ ما حُكِي عن الحسن البصري، وإبراهيم النَّخعي.

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن مغيرة، عن إبراهيم أنه كان يكره: "لَعَمْرُكَ"، ولا يرى بـ: "لعمري" بأساً"[١].

قال معمر: وكان الحسن يقول: " لا بأسَ بـ: وايمُ اللهِ، ويقول: قد قال النبي ﷺ: وايمُ الذي نفسي بيده"انتهى"[٢].

وهما محجوجان بالنصوص الواردة في جواز التّكلم بها، إن لم نحمل قولَهما على عدم بلوغ تلك النّصوص إليهما، وهذا هو الأظهر المظنون بمثلهما، أو على أنهما منعا ذلك سدّاً للذّريعة.

وأمّا قياسُ إبراهيم النّخعي هذه الكلمة « لعمري » على قول الإنسان: "وحياتي"، فقياسٌ مع فارقٍ، وهو باطلٌ كما هو معروفٌ في فنِّ الأصول؛ لأن الأخيرة معها واحدٌ من حروف القسم التي أُجمِعَ على أنها صريحةٌ في اليمين، بخلاف تلك أي « لعمري »، فإن اللاّم فيه ليست من أدوات القسم لما تقدَّم، بل مثل هذه اللفظة تعتبر جرياً على رسم اللغة ، تُذكر لتأكيد مضمون الكلام وترويجه فقط؛ لأنه أقوى من سائر المؤكّدات، وأسلم من التّأكيد بالقسم بالله لوجوب البَرِّ به، وليس الغرضُ فيه اليمين الشّرعي، فصورةُ القسم على هذا الوجه المذكور لا بأس به، ولهذا شاع بين المسلمين استعمالُها.

---

(١) المصنف (٨ / ٤٧١) ـ من الأصل ـ.

(٢) المصدر السابق.

وقد قال النووي في "شرحه" ـ على حديث مسلم، والدارمي، وأبي داود أعني حديث إسماعيل بن جعفر ـ:

"قال مسلم النيسابوري القشيري في "صحيحه"[١]: حدثني يحيى بن أيوب، وقتيبة بن سعيد جميعاً، عن إسماعيل بن جعفر، عن أبي سهيل[٢] عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله: «أنه جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نجدٍ ثائرُ الرّأس نسمع دويَّ صوته، ولا نفقه ما يقول، حتّى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة، فقال: هل عليَّ غيرُهنَّ؟ قال: لا، إلاّ أن تطوّع، وصيامُ شهر رمضان، فقال: هل عليّ غيره؟ قال: لا، إلاّ أن تطوّع، وذكر له رسول الله ﷺ الزّكاةَ، فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قال: فأدبر الرّجلُ وهو يقول: لا أزيدُ على هذا ولا أَنقُصُ منه، فقال رسول الله ﷺ: أفلحَ وأبيه إن صدق، أو دخل الجنّة وأبيه إن صدقَ».

قال الحافظ محيي الدّين النووي في "شرحه": « هذا ممّا جرت عادتُهم أن يسألوا عن الجواب عنه مع قوله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم».

وجوابه: أن قوله ﷺ: « أفلح وأبيه » ليس حَلِفاً إنما هو كلمةٌ جرت عادةُ العرب أن تُدخلها في كلامها غيرَ قاصدةٍ بها حقيقةَ الحلف، والنّهيُ إنّما ورد فيمن قصد حقيقةَ الحلف لما فيه من إعظامِ المحلوف به، ومضاهاتِهِ بالله سبحانه وتعالى، فهذا هو الجوابُ المرضيُّ.

---

(١) ١ / ٤١ : ٩.

(٢) واسم أبي سهيل: نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحيّ، ونافع هذا عمّ مالك بن أنس الإمام وهو تابعي سمع أنس بن مالك. ـ من الأصل ـ

وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل النَّهي عن الحلف بغير الله تعالى، والله أعلم»[١].

وقد نقل الحافظ ابن حجر كلامَ النووي هذا وزاد: " ولأبي داود مثل رواية مسلم لكن بحذف « أو » في قوله: « أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنَّة وأبيه إن صدق»[٢].

ثم قال: إنّ هذه كلمةٌ جاريةٌ على اللّسان لا يقصد بها الحلف كما جرت على لسانهم: « عَقْرَى وحَلْقَى » وما أشبه ذلك.

أو فيه إضمار اسم الرّبّ وكأنّه قال: وربِّ أبيه.

وقيل: هو خاصٌ به ﷺ، ويحتاج هذا القول إلى دليل[٣].

وحكى السُّهيليُّ عن بعض مشايخه أنه قال: " هو تصحيف، وإنما كان: «والله» فقَصُرَتِ اللامان"[٤].

واستنكر القرطبيُّ هذا، وقال: "إنه يَخرِمُ الثّقةَ بالرّوايات الصحيحة"[٥].

وغفل القَرافي فادَّعى أن الرواية بلفظ « وأبيه » لم تصحَّ؛ لأنها ليست في "الموطأ"، وكأنه لم يرتضِ الجواب، فعدل إلى ردِّ الخبر، وهو صحيحٌ لا مرية فيه[٦].

قال البيهقي: " وأمّا الذي رُوِّينا في كتاب الصلاة عن طلحة بن عبيدالله في قصّة الأعرابي أن النبي ﷺ قال: « أفلح وأبيه إن صدق »، فيحتمل أن

---

(١) شرح مسلم (١ / ١٦٨).

(٢) سنن أبي داود (الحديث ٣٢٥٢).

(٣) فتح الباري (١ / ١٠٧).

(٤) الروض الأنف (٤ / ٥٧).

(٥) المفهم (١ / ١٦٠).

(٦) فتح الباري (١ / ١٠٨).

يكون هذا القولُ منه ﷺ قبل النهي.

ويحتمل أن يكون جرى ذلك منه على عادة الكلام الجاري على الألسن، وهو لا يقصد به القسم، كلغو اليمين المعفوِّ عنه.

ويحتمل أن يكون النَّهيُ إنما وقع عنه، إذا كان منه على وجه التوقير له، والتعظيم لحقِّه، دون ما كان بخلافه، ولم يكن ذلك منه على وجه التّعظيم، بل كان على وجه التّوكيد.

ويحتمل أنه كان ﷺ أضمر فيه اسم الله تعالى كأنه قال: لا وربِّ أبيه.

وغيرُه لا يُضمر بل يذهب فيه مذهب التّعظيم لأبيه"[(١)].

قال السّهيليّ في "الروض الأنف" في غزوة خيبر حول شرح:

فاغفِرْ فداءً لك ما أبقينا

ـ مما يتعلق باستعمال الكلمة في غير موضعها ـ قال في ذلك:

« فربَّ كلمةٍ تُرِكَ أَصْلُهَا، واسْتُعْمِلَت كالمَثَلِ في غير ما وُضِعْت له أولاً، كما جاءوا بلفظ القسم في غير موضع القسم، إذا أرادوا تعجُّباً واستعظامًا لأمر، كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث الأعرابي من رواية إسماعيل بن جعفر: « أفلح وأبيه إن صدق»، ومحالٌ أن يقصد ﷺ القسمَ بغير الله تبارك وتعالى، لا سيما برجل مات على الكفر، وإنما هو تعجبٌ من قول الأعرابي، والمتعجَّبُ منه مستعظَم، ولفظ القسم في أصل وضعه لما يُعَظَّم، فاتسع في اللفظ حتى قيل: على هذا الوجه.

وقال الشاعر:

فَإِنْ تكُ ليلى استودعتْنِي أمانةً ... فلا ـ وَأَبي أعدائِها ـ لا أخونُها

---

(١) السنن الكبرى (١٠ / ٢٩).

لم يُرد أن يقسم بأبي أعدائها، ولكنه ضَرْبٌ من التعجُّب.

وقد ذهب أكثرُ شُرَّاح الحديث إلى النّسخ في قوله: « أفلح وأبيه » قالوا: نسخه قوله عليه الصلاة والسلام: « لا تحلفوا بآبائكم »، وهذا قولٌ لا يصحّ، لأنه لم يثبت أن النبي ﷺ كان يحلف قبل النسخ بغير الله، ويقسم بقوم كفار، وما أبعد هذا من شيمته ﷺ، تالله ما فعل هذا قط، ولا كان له بِخُلُق.

وقال قومٌ: رواية إسماعيل بن جعفر مصحَّفة، وإنما هو «أفلح والله إن صدق»، وهذا أيضا منكرٌ من القول، واعتراض على الأثبات العدول فيما حفظوا.

وقد خرَّج مسلم في "كتاب الزكاة" قوله عليه الصلاة والسلام لرجل سأله: «أي الصدقة أفضل؟ فقال: وأبيك لأُنبِّئَنَّكَ، أو قال: لأُخبِرَنَّكَ »، وذكر الحديث[(١)].

وخرَّج في كتاب البر والصلة قوله لرجل سأله: « من أحقُّ الناس بأن أَبرَّه أو قال: أَصِلَه؟ فقال: وأبيك لأُنبِّئَنَّكَ، صِلْ أُمَّك»، الحديث[(٢)].

فقال في هذه الأحاديث ـ كما ترى: « وأبيك » فلم يأت إسماعيل بن جعفر إذاً في روايته بشيءٍ إِمْرٍ، ولا بقولٍ بِدْعٍ، وقد حَمَل عليه في روايته رجلٌ من علماء بلادنا وعظماء محدِّثيها (يعني الحافظ ابن عبد البر)، وغَفَلَ ـ عفا الله عنه ـ عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما، وقد خرَّجهما مسلم بن الحجَّاج.

وفي تراجم أبي داود في كتاب الأَيْمَان في "مصنفه" ما يدل على أنه كان

---

(١) صحيح مسلم (٢ / ٧١٦: ١٠٣٢).
(٢) صحيح مسلم (٤ / ١٩٧٤: ٢٥٤٨).

يذهب إلى قول من قال بالنسخ، وأنَّ القسم بالآباء كان جائزاً.

والذي ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء كما قدَّمنا، ولا قال في الحديث: وأبي، وإنما قال: وأبيه، أو: وأبيك، بالإضافة إلى ضمير المخاطب أو الغائب، وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف إلى معنى التعجب الذي ذكرناه".

هكذا في "الروض الأنف" في غزوة خيبر[١].

قال الحافظ: " وأقوى الأجوبة الأوّلان، وهما:

ـ أن هذا كان قبل النهي.

ـ أو أنها كلمة جارية على اللسان كما تقدم في كلام النووي.

وكونه منسوخا أصح لحديث عُمَرَ، وابنِهِ"[٢].

* * *

(١) الروض الأنف (٦ / ٥٤٨) ـ من الأصل ـ.

(٢) فتح الباري (١ / ١٠٨).

فصل

في ذِكْرِ بعض ما ورد في هذه الكلمة مرفوعاً وموقوفاً ومقطوعاً

فهاكَ أيّها القارىءُ الطالب للحقّ بعض ما ورد في هذه الكلمة مرفوعا أسرده لك بعدما مهّدتُ به على هذه المسألة، ولقد فتّشتُ وسألتُ عمّن ألف في خصوصيتها، فلم أجد مَنْ قَرَعَ بابها قبل قلمي هذا، فأقول وبالله التّوفيق.

• **الأحاديث المرفوعة في المسألة قولا وتقريرا من الشّارع ﷺ.**

١ـ قال أبو داود سليمان بن الأشعث في "سننه": حدثنا عبيدُ الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي السَّفَر، عن الشعبي، عن خارجة بن الصّلت، عن عمّه عِلاقة بن صُحار التّميمي: أنّه مرّ بقومٍ فأتوه، فقالوا: إنّك جئت من عند هذا الرّجل بخير، فارْقِ لنا هذا الرجلَ، فأتوه برجل معتوهٍ في القيود، فَرَقَاه بأمّ القرآن ثلاثة أيّام غدوةً وعشيّةً، وكلّما ختمها جمع بُزَاقَه ثم تفل، فكأنما أُنشِطَ[1] من عِقال، فأعطوه شيئا، فأتى النبي ﷺ فذكر له، فقال النبي ﷺ: «كُلْ فلعمري لمن أكل بِرُقْيةٍ باطلٍ، لقد أكلت بِرُقْيَةِ حقّ»[2].

٢ـ وقال أبو داود أيضا في "سننه": حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن رجل من بني أسد أنه قال: نزلت

---

(١) أُنشِطَ: أي حُلَّ. النهاية في غريب الحديث (مادة نشط ٥/ ٥٧)

(٢) سنن أبي داود (الحديث ٣٤٢٠).

أنا وأهلي ببقيع الغَرْقَد، فقال لي أهلي: اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا شيئا نأكله، فجعلوا يذكرون من حاجتهم، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فوجدت عنده رجلا يسأله ورسول الله ﷺ يقول: لا أجد ما أعطيك، فتولى الرجل عنه وهو مغضب، وهو يقول: لعمري إنك لَتُعْطِي من شئت، فقال رسول الله ﷺ: « يغضب عليَّ أن لا أجدَ ما أُعْطِيهِ؟! من سأل منكم وله أُوقِيَّةٌ أو عِدْلُها، فقد سأل إلحافاً».

قال الأسدي: فقلت: لَلَقْحَةٌ لنا خيرٌ من أوقية، والأوقية أربعون درهما.

قال: فرجعتُ، ولم أسأله.

فقدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك شعير وزبيب، فَقَسَمَ لنا منه ـ أو كما قال ـ حتى أغنانا الله عز وجل.

قال أبو داود: هكذا رواه الثوري كما قال مالك. انتهى[١].

* * *

(١) سنن أبي داود (الحديث ١٦٢٧).

فصل

في الآثار عن الصحابة

وقد تقدم أن سبعةً من الصحابة نطقوا بهذه الكلمة بعد وفاته ﷺ:

منهم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الذي روى حديث النّهي عن الحلف بغير الله.

١ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقّاص، قال: أخبرتني عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجْتُ يوم الخندق، أقفو آثارَ الناس، فسمعت وَئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس، يحمل مِجَنَّهُ، قالت: فجلستُ إلى الأرض، فمرَّ سعد رضي الله عنه وعليه دِرْعٌ من حديد، قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد رضي الله عنه من أعظمِ النَّاس وأطولِهم، قالت: فمرَّ وهو يَرْتَجِزُ ويقول:

لبِّثْ قليلاً يَشهدُ الهيجا جَمَلْ   مَا أحسنَ الموتَ إذا حان الأَجَلْ

قالت: فقمت فاقتحمتُ حديقة، فإذا فيها نفَرٌ من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجلٌ عليه سَبِغَة له ـ تعني المِغْفَرـ، فقال عمر رضي الله عنه: ما جاء بكِ ؟ لعمري واللهِ إنكِ لجريئةٌ، وما يُؤَمِّنُكِ أن يكون بلاء، أو يكون تَحَوُّر، قالت: فما زال يلومني حتى تمنيتُ أنَّ الأرضَ انشقت بي ساعتئذ، فدخلتُ فيها، فرفع الرجل السَّبِغَة عن وجهه، فإذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فقال: يا عمر، ويحك إنك قد

أكثرت منذ اليوم، وأين التَحوُّرُ أو الفرارُ إلا إلى الله"الحديث، ذكره ابن كثير بطوله(١).

٢ـ قال الخطيب البغدادي في "كتابه الموضح": أخبرنا السّكري، أخبرنا جعفر الواسطي، أخبرنا ابن المتوكل، أخبرنا المدائني، قال: قال عبدالله بن فائد وغسان بن عبد الحميد، عن جعفر بن عبد الله بن المسور بن مخرمة، عن أبيه: إنّ عمر بن الخطّاب قال لِمُتَمِّمِ بن نُويرة: أنشدني مَرْثِيتَك أخاك مالكًا فأنشده:

لَعَمْري وما عمري بتأبين هالكٍ ولا جزعًا مني وإن كنت مُوجَعًا(٢)

ومنهم ابن عمر رضي الله عنهما:

٣ ـ فقد جاء عن جُويرية بنِ أسماء، عن نافع بن شيبة قال: "لقي الحسينُ معاويةَ بمكة عند الرَّدم، فأخذ بِخِطَام راحلته فأناخ به، ثم سارَّه طويلا وانصرف، فزجر معاوية الراحلة، فقال له ابنه يزيد: لا يزالُ الرجلُ قد عرض لك، فأناخ بك، قال: دَعْهُ، لعله يَطْلُبُها من غيري فلا يُسَوِّغهُ فيقتُلَه...في كلام طويل إلى أن قال: وقال ابن عمر للحسين: لا تخرج فإن رسول الله ﷺ خُيِّر بين الدّنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بِضْعَةٌ منه ولا تنالُها، ثم اعتنقه وبكى وودّعه، فكان ابن عمر يقول: غَلَبَنا بخروجِه، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عِبْرةً، ورأى من الفتنة وخِذْلان الناس له، ما كان ينبغي له أن يتحرك"(٣).

---

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد (٦/ ١٤١).
وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٢٣).

(٢) الموضح لأوهام الجمع والتفريق (٢/ ١٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما:

٤ ـ قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج القشيري ـ من بني قُشير قبيلة من العرب معروفة ـ النيسابوري، في (باب النساء الغازيات)[١]: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان يعني ابن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن يزيد بن هرمز أن نَجْدة[٢] كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن خمسِ خِلال، فقال ابن عباس: "لولا أن أكتُمَ عِلْمًا ما كتبتُ إليه.

كتب إليه نجدة: أما بعد؛ فأخبرني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسَهْم؟ وهل كان يقتل الصِّبْيان؟ ومتى ينقضي يُتْم اليتيم؟ وعن الخُمْسِ لمن هو؟

فكتب إليه ابن عباس رضي الله عنهما: كتبتَ تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء، وقد كان يغزو بهِنَّ، فيُدَاوِينَ الجرحى، ويُحْذَين من الغَنيمة، وأما بسَهْمٍ فلم يضرب لهنّ.

وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصِّبْيان، فلا تقتل الصِّبْيان.

وكتبتَ تسألني متى ينقضي يُتْم اليتيم ؟ فلعمري إن الرجل لتنبُتُ لحيتُهُ، وإنه لضعيفُ الأخْذِ لنفسه، ضعيفُ العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالحِ

---

(١) صحيح مسلم (١٢/ ١٩٠مع شرح النووي) ـ من الأصل ـ.

(٢) هو نجدة بن عامر الحَرُوري، من رؤوس الخوارج، زائغ عن الحق، ذكره في الضعفاء الجرجاني، وهو ابن عُمير اليماني، خرج باليمامة عقِب موت يزيد بن معاوية، وقدم مكة، وله مقالات معروفة، وأتباع انقرضوا.

وقد ذكر له الحافظ ترجمة في "تهذيب التهذيب"، قُتِل بعد ابن عباس بقليل في سنة ٧٠ هـ.اللسان للحافظ ـ من الأصل ـ.

ما يأخُذُ الناس، فقد ذهب عنه اليُتْم.

وكتبتَ تسألني عن الخُمْس لمن هو ؟ وإنا كنا نقول: هو لنا فأبى علينا قومُنا ذاك"[١] .

٥ـ وأخرج مسلم عن عروة بن الزبير: أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: "إن ناسا أعمى اللهُ قلوبَهم، كما أعمى أبصارَهم، يُفتون بالمتعة ـ يُعرِّض برجلٍ ـ فناداه فقال: إنك لَجِلْفٌ جافٍ، فلعمري لقد كانت المتعة تُفْعَلُ في عهد إمام المتقين ـ يريد رسول الله ﷺ، فقال له ابن الزبّير: فجرِّب بنفسك، فو الله لئن فعلتَها لأرجمَنَّكَ بأحجارِكَ" انتهى[٢] .

والمراد بالرجل ابن عباس.

وأمّا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقد نطقت بـ: لعمري:

٦ ـ قال محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه ـ في باب قوله تعالى: ﴿حتَّى إذا استَيأَسَ الرُّسُلُ﴾[٣]: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شِهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى: "﴿حتَّى إذا استَيأَسَ الرُّسُلُ﴾ قال: قلت أَكُذِبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كُذِّبوا، قلتُ: فقد استيقنوا أن قومهم كَذَّبوهم، فما هو بالظنِّ؟ قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِبوا، قالت: معـاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلتُ: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين

---

(١) صحيح مسلم (٣ / ١٤٤٤: ١٨١٢).

(٢) من مسلم في باب (نكاح المتعة) (١ / ٤٥٢) ـ من الأصل ـ.

(٣) سورة يوسف، الآية (١١٠).

آمنوا بربهم وصدَّقوهم، فطال عليهم البلاءُ، واستأخر عنهم النَّصْرُ، حتى إذا استيأسوا ممن كَذَّبوهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك "[١].

٧ ـ وأخرج مسلم في "صحيحه" عن عروة بن الزبير قال: " قلت لعائشة رضي الله عنها: ما أرى عليّ جُناحاً أن لا أتطوَّف بين الصفا والمروة، قالت: لِمَ ؟ قلتُ: لأن الله عز وجلّ يقول: ﴿إنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِن شَعائِرِ اللهِ﴾[٢]، فقالت: لو كان كما تقول، لكان: فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما، إنما أُنزل هذا في أُناس من الأنصار، كانوا إذا أَهَلُّوا أَهَلُّوا لِمَنَاة في الجاهلية، فلا يحلُّ لهم أن يطوَّفوا بين الصفا والمروة، فلما قَدِمُوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للحج ذكروا ذلك له، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلعمري ما أتمَّ الله حجَّ من لم يطفْ بين الصفا والمروة "[٣].

٨ـ وأخرج الحاكم في "مستدركه" بسنده إلى عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكيراً حدّثه، أن أمه حدثته: " أنها أرسلت إلى عائشة رضي الله عنها بأخيه مَخْرَمة، وكانت تداوي من قَرْحَة تكون بالصِّبْيان، فلما داوته عائشة وفرغت منه، رأت في رجليه خَلْخَالين جديدين، فقالت عائشة: أظننتم أن هذين الخَلْخَالَيْن يدفعان عنه شيئا كتبه الله عليه، لو رأيتُهما ما تَدَاوَى عندي، وما مُسَّ عندي، لعمري لَخَلْخَالان من فضَّة أطهرُ من هذين".

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٤].

---

(١) صحيح البخاري (الحديث ٤٦٩٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٥٨).

(٣) صحيح مسلم (الحديث ١٢٧٧: ٢٦٠).

(٤) المستدرك (٤ / ٢١٧ ـ ٢١٨).

وقال الذهبي في "التلخيص": صحيح سمعه ابن وهب منه[١].

وأما عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه:

٩ـ فقد أخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه" عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: "كانت يمين عثمان بن أبي العاص: لعمري"[٢].

١٠ـ وقال الحافظ ابن حجر في " الإصابة في أسماء الصحابة"[٣]: "ذكر المرزباني في "معجم الشعراء": أن عثمان بن بشر بن دَهْمان كان قد شدَّ[٤] في الجاهلية على عمرو بن معد يكرب فهرب عمرو، فقال عثمان:

لَعَمْرك لولا الليلُ قامتْ مآتمٌ حواسِرُ يَخْمِشْنَ الوجوهَ على عَمْرِو"

١١ـ وروى البزار بسند فيه: مُعَلَّى بن عبد الرحمن الواسطي وهو ضعيف جداً، وقال ابن عدي[٥]: " أرجو أنه لا بأس به"، عن جابر قال: " دخل عليّ بن أبي طالب على فاطمة رضي الله عنها يوم أحد فقال:

أفاطمُ هَاكِ السَّيفَ غيرَ ذَمِيـــمِ فَلسْتُ بِرِعْدِيدٍ ولا بِلَئِيـــمِ

لعمري لقد أَبْليتُ في نصـر أحمدٍ ومرضاتِ ربٍّ بالعباد عليمِ

فقال رسول الله ﷺ: إن كنتَ أحسنتَ القتال، فقد أَحسَنَهُ سهل بن حُنيف وابن الصِّمَّة ـ وذكر آخر فنسيه مُعَلَّى ـ فقال جبريل ﷺ: يا محمد هذا وأبيك المواساة، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل إنه مني، فقال جبريل: وأنا منكما"[٦].

---

(١) بهامش المصدر السابق.

(٢) المصنف (٤ / ١ / ٢٢).

(٣) ٤/ ٢٢١.

(٤) شَدَّ: أي حمل عليه ليقتله. انظر: النهاية في غريب الحديث (شدد" ٢/ ٤٥١).

(٥) الكامل (٦ / ١٣٧١).

(٦) مجمع الزوائد (٦/ ١٢٢) ـ من الأصل ـ. وانظر: كشف الأستار أيضاً (٢/ ٣٢٩: ١٧٩٨).

وأما أسماء بنت عُميس رضي الله عنها:

١٢ ـ فقد ذكر الحافظ الذهبي في "سير النبلاء" أنها فاهت بهذه الكلمة بما لفظه:

"سفيان بن عيينة، عن إسماعيل، عن الشعبي قال: " قَدِمَتْ أسماءُ من الحبشة، فقال لها عمر: يا حبشيَّة، سبقناكم بالهجرة، فقالت: لعمري لقد صَدَقْتَ، كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعم جائعَكم، ويُعلِّمُ جاهلَكم، وكنا البُعَدَاء الطُّرَدَاء، أما والله لأَذكُرَنَّه لرسول الله ﷺ، فأتيتُه فقال: «للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان»"[1].

١٣ـ وكذلك الصحابي الذي جاءه الأسدي يسأل رسول الله ﷺ، فقد أقره ﷺ على النطق بها لما تولى وهو مُغْضَبٌ، حين قال له رسول الله ﷺ: «لا أجد ما أعطيك فقال: لعمري إنك لتعطي من شئت »، الحديث.

تقدم عند أبي داود في باب الأحاديث المرفوعة.

ومنم أبو هريرة رضي الله عنه:

١٤ـ قال عبد الرزاق في (باب الحَلِف بغير الله وايمُ الله ولعمري):

قال: أخبرنا ابن جُرَيْج، قال: سمعت عطاء يقول: "كان خالد بن العاص وشيبة بن عثمان يقولان إذا أقسما: وأبي، فنهاهما أبو هريرة عن ذلك أن يحلفا بآبائهما، قال: فغيّر شيبة، فقال: لعمري، وذلك أن إنسانا سأل عطاء عن "لعمري" وعن "لاها الله إذاً"، أَيهمَا بأسٌ ؟ فقال: لا، ثم حدَّث هذا الحديث عن أبي هريرة وأقول: ما لم يكن حلف بغير الله فلا بأس، فليس

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٨٣).

وأصله في صحيح مسلم (الحديث٢٥٠٢) من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن أسماء بنت عُميس ـ رضي الله عنها ـ.

لعمري بقسم انتهى"[١].

١٥ـ وروى عبد الرزاق أيضا عن الثوري، عن إبراهيم بن مسلم، عن أبي الأحوص قال: قال عبد الله: " من سرَّه أن يلقى الله غدا مسلما، فليُحافظْ على هذه الصلوات المكتوبات حيث يُنادى بهن، فإنهن من سُنَنِ الهدى، وإن الله قد شرع لنبيكم ﷺ سُنَنَ الهدى، ولعمري ما إخال أحدكم إلا وقد اتخذ مسجدًا في بيته، ولو أنكم صلَّيتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلِّفُ في بيته، لتركتم سنةَ نبيِّكم ﷺ، ولو تركتم سنة نبيكم ﷺ لضللتم، ولقد رأيتُنا وما يتخلَّفُ عنها إلا منافقٌ معلومٌ نِفاقُهُ، أو معروفٌ نِفاقُهُ، ولقد رأيت الرجل يُهادى بين الرجلين، حتى يُقام في الصَّفِّ، فما من رجل يتطهر فيحسن الطُّهور فيخطو خَطْوةً يعمد بها إلى مسجدٍ لله تعالى إلا كتب الله له بها حسنة، ورفع له بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئة، حتى إنْ كنَّا لنُقَاربُ في الخُطَا"[٢][٣].

---

(١) المصنف (٨ / ٤٦٩) ـ من الأصل ـ.

(٢) المصنف (١/ ٥١٦: ١٩٧٩).

وأصله في صحيح مسلم (الحديث٦٥٤).

(٣) وقد وجدت في ورقة بخط الشيخ الوالد رحمه الله هذا الأثر:

«إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا ابن أبيِ أويس، حدثنا عبدالرحمن بن أبي الموالي، عن عبدالحكم بن عبدالله بن أبي فروة، أن رجلاً من بني ليث، يُقال له: ابن الأجدع، تزوج جاريةً فهلكت، ولم يدخل بها، فخطب أمَّها، فقالت: نعم، إن كنتُ أحِلُّ لك. فسأل ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أرخص له، ومنهم من نهاه، وقال: إن الله عز وجل قد عزم في الأم، وأرخص في الربيبة، فلما اختلفوا عليه، كتب إلى معاوية فأخبره إرخاص من أرخص له، ونهيَ من نهاه، فكتب إليه معاوية: قد جاءني كتابك، وفهمتُ الذي فيه، وإني لا أُحِلُّ لك ما حرَّم الله عليك، ولا أحرِّم عليك ما أحلَّ الله لكَ، ولعمري إنَّ النساء كثير.

ولم يزد على ذلك فجاء بكتاب معاوية فقرأ على الذين سألهم، قال: صدق معاوية، قال: فانصرف عن المرأة، ولم يتزوجها. المحلى (٩/ ٥٢٩) اهـ.

فلعل الشيخ الوالد أراد بكتابة هذا الأثر إلحاقه بهذه الرسالة، والله تعالى أعلم.

الأحاديث المقطوعة في المسألة

وقد ذكرنا في أول التمهيد أن كلمة: "لعمري" تكلم بها التابعون:

منهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

١ـ فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن أرطاةَ وكان عاملا على البصرة:

" أما بعد:

فقد جاءني كتابك تذكر أن قِبَلَكَ عُمالاً قد ظهرت خيانتُهم، وتسألني أن آذن لك في عذابِهم، كأنك ترى أنّي لك جُنَّةً من دون الله، فإذا جاءك كتابي، هذا فمن قامت عليهم بيّنة فخذهم بذلك، وإلاَّ فأحلفهم دُبْرَ صلاة العصر: بالله الذي لا إله إلاَّ هو، ما اختانوا من مال المسلمين شيئاً.

فإن حَلَفُوا فخلِّ سبيلهم، فإنّما هو مال المسلمين، وليس للشحيح منهم إلاَّ جَهْدَ أيمانهم ولعمري لأن يَلْقَوُا الله بخياناتِهِم، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله بدمائهم، والسلام "[١].

٢ـ وذكر ابن كثير أنّه " لما احتُضِرَ عمر بن عبد العزيز سمع غسّالاً يغسل الثياب قال: من هذا؟ فقالوا: غَسَّال. فقال: يا ليتني كنت غسّالاً، أكسِبُ ما أعيش به يوماً بيوم ولم أَلِ الخلافة، ثم تمثّل فقال:

لعمري لقد عُمِّرتُ في المُلْكِ بُرْهَةً ودانت لي الدنيا بِوَقْعِ البواترِ[٢]

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ برواية مالك بن أنس وغيره ـ لابن عبد الحكم (ص ٥٥) ـ من الأصل ـ.

(٢) جمع باتر: وهو السيف القاطع. (لسان العرب لابن منظور مادة: بتر ٤/ ٣٧).

وأُعطيتُ حُمْرَ المالِ والحُكْمِ والنُّهى ... ولي سلَّمتْ كلُّ الملوكِ الجَبابرِ
وأضحى الذي قد كان مما يسرُّني ... كَحُلْمٍ مضى في المُزْمِنَاتِ الغَوَابِرِ
فيا ليتني لم أُعْنَ بالمُلْـــكِ ليلـــةً ... ولَم أسعَ في لذَّات عيـشٍ نَواضِـرِ

وقد أنشد هذه الأبيات أيضاً معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عند موته"(١).

٣ـ وقال عمر بن عبد العزيز لزوجته فاطمة بنت عبد الملك: « قد علمتِ حالَ هذا الجوهر كلّها، وما صنع فيه أبوك، ومن أين أَصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت؟ ثم أطبعَ عليه، وأجعلَه في أقصى بيت مال المسلمين، وأنفق ما دونه، فإن خَلَصْتُ إليه أنفقْتُه وإن مِتُّ قبل ذلك فلعمري لَيَرُدُّنَّه إليكِ؟ قالت له: افعل ما شئت، ففعل ذلك فمات رحمه الله تعالى، ولم يصل إليه، فردّ ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك، فامتنعت من أخذه وقالت: ما كنت لأتركَهُ ثم آخذُه، فقسَّمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه » انتهى(٢).

٤ـ وقال أيضاً:

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم وكان والي المدينة:

« أما بعدُ، فقد قرأتُ كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قَبْلك من أمراء المدينة من الشَّمْع كذا وكذا؛ يستضيؤن به في مَخْرَجِهم، فابتليتُ بجوابك فيه، ولعمري لقد عهدتُّكَ يا ابنَ أمِّ حزم وأنت تخرج من

---

(١) البداية والنهاية (٩ / ٦٧ـ٦٨).

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ـ برواية مالك بن أنس وغيره ـ لابن عبد الحكم (ص ٥٣) ـ من الأصل ـ.

بيتك في اللّيلة الشاتية المظلمة بغير مصباح، ولعمري لأنت يومئذٍ خير منك اليوم، و لقد كان في فَتَائلِ أهلِكَ ما يُغنيك، والسلام» انتهى[١].

٥ـ وقال أيضاً:

" دخل عمر بن عبدالعزيز على الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ عندي نصيحةً، فإذا خلا لك عقلُك، واجتمع فَهْمُك، فسلني عنها، قال: ما يمنعك منها الآن؟ قال: أنت أعلم، فإذا اجتمع لك ما أقول، فإنك أحقُّ أن تفهم.

فمكث أياماً ثم قال: يا غلام من بالباب؟ فقيل له: ناس، وفيهم عمر بن عبد العزيز، فقال: أدخله، فدخل عليه، فقال: نصيحتَكَ يا أبا حفص، فقال: عمر: إنه ليس بعد الشرك إثمٌ أعظم عند الله من الدم، وإنّ عمّالك يَقتلون، ويَكتبون: إنَّ ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسؤول عنه، والمأخوذ به، اكتب إليهم أنْ لا يَقتل أحدٌ منهم أحداً، حتى يكتب إليك بذنبه، ثم يُشهدَ عليه، ثم تأمرَ بأمرك على أمرٍ قد وضح لك.

قال: بارك الله فيك يا أبا حفص، ومَنَعَ فَقْدَكَ، عليَّ بكتاب، فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم.

فلم يخرج من ذلك إلا الحجَّاج فإنه أمضّه[٢]، وشقّ عليه، وأقلقه، وظنّ أنه لم يكتب إلى أحد غيرِه، فبحث عن ذلك، فقال: من أين دُهينا ؟! أَوْ من أشار على أمير المؤمنين بهذا ؟! فأُخبر أنّ عمر بن عبد العزيز هو الذي فعل ذلك. فقال: هيهات إن كان عمر فلا نَقْضَ لأمره.

---

(١) ص٥٥ ـ من الأصل ـ.

(٢) أمضّه: أي أوجعه. مختار الصحاح (مضض ص٦٢٦)

ثم إنّ الحجّاج أرسل إلى أعرابيّ حَروريٍّ جافٍ من بكر بن وائل، ثم قال له الحجّاج: ما تقول في معاوية؟ فنال منه. قال: ما تقول في يزيد؟ فسبَّه. قال: فما تقول في عبدالملك؟ فَظَلَّمَه. قال: فما تقول في الوليد؟ فقال: أجورُهم حين ولاَّك، وهو يعلم عِدائك و ظُلمَك. قال: فسكت عنه الحجَّاج، واقتنصها منه. ثم بعث به إلى الوليد، وكتب إليه: أنا أحوط لديني، و أرعى لما استرعيتني، وأحفظُ له مِن أن أقتلَ أحداً لم يستوجب ذلك، و قد بعثتُ إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي، فشأنك وإياه.

فدخل الحَرُورِيُّ على الوليد، وعند الوليد أشرافٌ أهل الشام، وعمر فيهم، فقال له الوليد: ما تقول فيّ ؟ قال: ظالم جائر جبّار. قال: ما تقول في عبدالملك؟ قال: جبّار عاتٍ. قال: فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم. قال الوليد لابن الرَّيَّان: اضرب عنقه، فضرب عنقه. ثم قام فدخل منزله، وخرج الناس من عنده فقال: يا غلام اردد عليّ عمر، فردَّه عليه، فقال: يا أبا حفص، ما تقول في هذا؟ أصبْنا فيه أم أخطأْنا ؟ فقال عمر: ما أصبتَ بقتله، ولغيرُ ذلك أرشدُ وأصوبُ؛ كنتَ تسجنُه، حتى يُراجعَ الله عز وجل، أو تدركَه منيتُه، فقال الوليد: شتمني وشتم عبد الملك وهو حَروري، أفتستحلُّ ذلك ؟! قال: لعمري ما أستحلُّه، لو كنتَ سجنتَهُ إن بدا لك، أو تعفو عنه، فقام الوليد مُغْضَباً، فقال ابن الرَّيَّان لعمر: يغفر الله لك يا أبا حفص، لقد راددتَّ أميرَ المؤمنين، حتى ظننتُ أن يأمرَني بضرب عُنُقِكَ، فقال عمر: ولو أمرك كنتَ تفعل؟ قال: إي لعمري، قال عمر: اذهب إليكْ انتهى[1].

---

(١) ص ١١٥ ـ من الأصل ـ.

و منهم قتادة رحمه الله تعالى:

٦ـ قال ابن جرير في "تفسيره" الجليل: حدثنا الحسن، قال أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرابِ مُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(١).

قال: " فما بالُ أقوامٍ يتكلَّفون عِلْمَ الناس: فلان في الجنة، وفلان في النار، فإذا سألتَ أحدَهم عن نفسه، قال: لا أدري، لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تَكلَّفتَ شيئاً ما تَكلَّفَتْهُ الأنبياءُ قَبْلَكَ، قال نبيُّ الله نوحٌ ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَ مَا عِلْمِي بما كانوا يَعْمَلُونَ﴾(٢)، وقال نَبِيُّ الله شعيبٌ ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿بقيةُ اللهِ خيرٌ لكُمْ إنْ كُنْتُم مّؤْمِنِينَ وَ ما أَنا علَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾(٣)" وقال الله لنبيِّه: ﴿لا تَعْلَمُهُم نحن نَعْلَمُهُم﴾(٤) (٥).

ومنهم عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى:

٧ـ فقد أخرج الامام محمد بن إسماعيل البخاري في "صحيحه" في (باب طواف النساء مع الرجال) قال: وقال لي عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم، قال ابن جُرَيْج: أخبرني عطاء ـ إِذْ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال ـ قال: كيف يمنعُهُنَّ، وقد طاف نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجال؟! قلتُ: أبعد الحجاب أو قبلُ ؟ قال: " إي لعمري لقد أدركته بعد

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٠١).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١١٢).

(٣) سورة هود، الآية (٨٦).

(٤) سورة التوبة، الآية (١٠١).

(٥) جامع البيان (١١ / ٩).

الحجاب. قلتُ: كيف يُخالطن الرجال؟ قال: لم يكُنَّ يُخالِطْنَ"[١].

٨ـ وروى عبد الرزاق في "مصنفه": عن ابن جُرَيْج عن عطاء: " قال: قلتُ له: أيحِقُّ على النساء إذا سمعْنَ الأذان أن يُجِبْنَ، كما هو حقٌّ على الرجال؟ قال: لا لعمري"[٢].

* * *

(١) صحيح البخاري (١٦١٨).

(٢) المصنف (٣/ ١٤٧) ـ من الأصل ـ.

فصل في أقوال أئمة

التفسير واللغة في « لعمري »

قال الإمام أبو الفتح ناصر بن عبد السَّيد بن علي المطرِّزي الفقيه الحنفي الخوارزمي المولود سنة ٥٣٨هـ المتوفى سنة ٦١٦هـ في كتابه "المغرب في ترتيب المعرب"[(١)] : " العُمر بالضم والفتح: البقاء، إلا أن الفتح غُلِّب في القسم حتى لا يجوز فيه إلا الفتح، ويُقال: لَعَمْرُكَ ولَعَمْرُ الله لأفعلن كذا، وارتفاعه على الابتداء وخبره محذوف".

وقال أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث": وفي الحديث أنه اشترى من أعرابي حِمْلَ خَبَطٍ، فلما وجب البيع قال له: اختَر، فقال له الأعرابي: "عَمْرَكَ الله بَيِّعًا" أي أسأل الله تعميرك، وأن يطيل عُمُرَك، والعَمْر بالفتح العُمر، ولايُقال في القسم إلا بالفتح، وبيِّعا: منصوب على التمييز أي عَمْرَكَ اللهَ من بَيِّع.

ومنه حديث لقيط: لَعَمْرُ إلهِك هو قسمٌ ببقاء الله ودوامه، وهو رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره: لَعَمْرُ الله قَسَمي، أو ما أقسم به، واللام للتوكيد، فإن لم تأت باللام نصبتَه نصبَ المصادر فقلت: عَمْرَ اللهَ، وعَمْرَكَ اللهَ، أي بإقرارك لله، وتعميرك له بالبقاء"[(٢)].

قال القرطبي في تفسيره: " والعُمْر والعَمْر بضم العين وفتحها لغتان، ومعناهما واحد، إلا أنه لا يستعمل في القسم إلا بالفتح؛ لكثرة الاستعمال

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب (ص ٣٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث مادة (عمر) (٣ / ٢٩٨).

وتقول: عَمْرَكَ الله، أي: أسأل الله تعميرك.

وكره كثير من العلماء أن يقول الإنسان: لعمري؛ لأن معناه وحياتي.

قال إبراهيم النخعي: يكره للرجل أن يقول: لعمري ؛ لأنه حَلِفٌ بحياة نفسِه، وذلك من كلام ضَعَفَةِ الرِّجال، ونحو هذا قال مالك: إن المستضعفين من الرجال والمؤنّثين يُقْسمون بحياتِك وعيشِك، وليس من كلام أهل الذُّكْران.

وإن كان الله سبحانه أقسم به في قصة لوط عليه السلام، فذلك بيان لشرف المنزلة والرفعة لمكانه، فلا يُحمل عليه سواه، ولا يستعمل في غيره.

وقال ابن حبيب: ينبغي أن يُصرف لَعَمْرُكَ في الكلام لهذه الآية.

وقال قتادة: هو من كلام العرب.

قال ابن العربي: وبه أقول، لكنَّ الشرع قد قطعه في الاستعمال، ورد القسم إليه.

قال القرطبي: القسم بـ "لعمرك، ولعمري" في أشعار العرب، وفصيح كلامها كثير.

قال النابغة الذبياني:

لَعَمْري وما عَمْري عليّ بهيِّنٍ ... لقد نَطقتْ بُطْلاً عليّ الأقارعُ[1]

أراد بالأقارع بني قُرَيع بن عوف، وكانوا قد وَشَوْا به إلى النُّعمان.

وقال طَرَفَةُ بن العَبْد:

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لكالطِّوَل المُرْخَى وثِنياه باليدِ[1]

---

(١) مختار الشعر الجاهلي (١/ ١٥٧).

والطِّوَل بكسر الطاء وفتح الواو: الحَبْل.

قوله: وثِنْياه، أي: ما ثُنِي منه.

ثم قال: وقال بعض أهل المعاني: لا يجوز هذا لأنه لا يقال: لله عَمْرٌ، وإنما هو تعالى أَزَلِيّ ذكره الزهراوي"(٢).

وقال أبو حيان في "البحر المحيط": "وهذا الكلام يُوهم أنَّ العَمْر لا يقال إلا فيما له انقطاع؛ وليس كذلك؛ العَمْر والعُمْر البقاء"(٣).

وقال الجوهري في "صحاحه": "قال ابن الأعرابي: أَحْشمتُهُ أغضبته.

وأنشد:

لعمرك إنَّ قُرص أبي خُبيب بطيُّ النُّضْجِ محشـومُ الأكيلِ"(٤).

وقال الجوهري في "صحاحه" أيضاً:

"عَمِرَ الرجل بالكسر يَعْمَرُ عَمْرًا وعُمْرًا على غير قياس، لأن قياس مصدره التحريك أي عاش زمانا طويلا، ومنه قولهم: أطال الله عُمْرك، وعَمْرك، والعُمْر والعَمْر، وهما وإن كانا مصدرين بمعنى واحد، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما؛ وهو المفتوح، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء قلت: لعَمْرُ اللهِ، واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف، والتقدير لعَمْرُ الله قسمي، أو ما أقسم به، فإن لم تأتِ باللام نصبتَه نصبَ المصادر، وقلت: عَمْرَ اللهِ ما فعلتُ كذا، وعَمْرَكَ اللهَ ما فعلتُ كذا، ومعنى لَعَمْر الله،

---

(١) مختار الشعر الجاهلي (١/ ٣١٨).

(٢) إلى هنا انتهى النقل من تفسير القرطبي.

(٣) البحر المحيط (٥ / ٤٦٢).

(٤) الصحاح (حشم ٥/ ١٩٠٠).

وعَمْرَ الله: أَحْلِفُ ببقاءِ الله ودوامِهِ، وإذا قلت: عَمْرَكَ اللهَ فكأنك قلت: بتعميرك اللهَ، أي بإقرارك له بالبقاء.

وقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أَيُّهَا المُنْكِح الثُّريا سُهَيْلاً   عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيانِ(١)

يريد: سألتُ الله أن يطيل عمرك لأنه لم يُرِدْ القسمَ بذلك"(٢).

قال أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي في كتابه "لسان العرب": " العَمْر بالفتح والعُمْر بالضم والعُمُر بضم العين والميم الحياة، يقال: قد طال عَمْره وعُمْره لغتان فصيحتان، فإذا أقسموا فقالوا: لَعَمْرك، فتحوا لا غير، والجمع أَعْمار، وسُمِّي الرجل عَمْرًا تفاؤلا أن يبقى.

والعرب تقول في القسم: لَعَمْري ولعَمْرُك يرفعونه بالابتداء، ويضمرون الخبر كأنه قال: لعَمْرُك قسمي، أو يميني، أو ما أحلف به.

قال ابن جني: ومما يجيزه القياس غير أنّه لم يرد به الاستعمال خبر العَمْر من قولهم: لعَمْرك لأقومنَّ، فهذا مبتدأ محذوف الخبر، وأصله لو أُظهر خبره: لَعَمْرُك ما أقسم به، فصار طول الكلام بجواب القسم عِوَضًا من الخبر.

وقيل: العَمْر هاهنا الدِّين، وأيًا كان فإنه لا يستعمل في القسم إلا مفتوحا"(٣).

وفي التنزيل العزيز: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٤)، لم يُقْرأ إلا بالفتح.

---

(١) انظر: البيت في ديوانه (ص ٥٠٣)، والكامل للمبرد (٢/ ٧٨٠).

(٢) الصحاح ـ مادة: عمر ـ (٢/ ٧٥٦).

(٣) لسان العرب ـ مادة: عمر ـ (٤ / ٦٠١).

(٤) سورة الحجر: الآية ٧٢.

وقال أبو حيان: "قال أبو الهيثم النحوي: لعمرك: لدينك الذي تَعْمُر"[١].

وقال ابن الأعرابي: عمرتُ ربي أي عبدتُه، وفلان عامرٌ لربّه أي عابد.

قال[٢]: ويُقال: تركتُ فلاناً يَعْمُرُ ربَّه أي يعبدُه، فعلى هذا لعمرك: لعبادتك.

وقال الزَّجَّاج: ألزموا الفتح القسم؛ لأنه أخفُّ عليهم، وهم يُكثرون القسم بِلَعَمْرِي، ولَعَمْرُكَ، فَلَزِمُوا الأخفّ"[٣].

وقد تقدم من كلام القرطبي أن قتادة قال: لعمري ولعمرك من كلام العرب.

قال ابن العربي: "وبه أقول لكن الشرع قطعه في الاستعمال وردَّ القسم إليه"[٤].

وقال ابن منظور: "روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُم﴾ الآية أي لحياتك قال: وما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة النبي ﷺ.

وقال: قال أبو الهيثم: النحويون يُنكرون هذا، ويقولون: معنى لعمرك لدينك الذي تَعمُر، وأنشد بيت عمر بن أبي ربيعة المتقدم.

قال: عَمْرَكَ اللهَ عبادتَك الله فنصب، وأنشد:

عمركِ اللهَ ساعةً حَدِّثِينَا وذَرينا من قولِ من يُؤذينا

فأوقع الفعل على الله عز وجل في قوله: عَمْرَكَ الله.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٤٦٢).

(٢) أي ابن الأعرابي.

(٣) معاني القرآن (٣ / ١٨٣).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٣ / ١١٣١).

وقال الأخفش في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُم﴾[1] الآية: وعَيْشِك، وإنما يريد العُمْر[2].

وقال أهل البصرة: أضمر له ما رفعه لَعَمْرُكَ المحلوفُ به.

وقال الفرَّاء: الأيمان ترفعُها جواباتُها.

قال الأزهري: وتدخل اللام في لَعَمْرُكَ، فإذا أدخلتها رفعت بها بالابتداء، فقلت: لَعَمْرُكَ وَلَعَمْرُ أَبِيكَ فإذا قلتَ: لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرَ نصبتَ الخير وخفضت؛ فمن نصب أراد أن أباك عَمَرَ الخيرَ، يَعْمُرُهُ عَمْرًا وعِمَارة، فنصب الخير بوقوع العَمْرِ عليه، ومن خفض الخير جعله نعتا لأبيك"[3].

وقال المبرِّد ـ في قوله: "عَمْرَكَ اللهَ" ـ: " إن شئت جعلت نصبَه بفعل أضمرتَه، وإن شئت نصبته بواو حذفته: وعَمْرِكَ[4] الله، وإن شئت كان على قولك: عَمَّرْتُك اللهَ تعميرًا، ونشدتُك الله نَشِيداً، ثم وضعْتَ عَمْرَك في موضع التَّعمير، وأنشد فيه:

عمَّرتُكِ اللهَ إلا ما ذكرتِ لنا ... هل كنتِ جارتَنا أيام ذي سَلَمِ

يريد ذكَّرتُكِ اللهَ"[5].

وقال الأزهري: "وعَمْرَكَ اللهَ مثل ناشدتك اللهَ"[6].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٧٢.

(٢) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٣٨٠).

(٣) تهذيب اللغة ـ مادة: عمر ـ (٢/ ٣٨١)، وانظر: لسان العرب ـ مادة عمر ـ (٤/ ٦٠١-٦٠٢).

(٤) قوله: "بواو حذفته وعمرك الخ" هكذا في الأصل. كذا في حاشية لسان العرب (٤/ ٦٠٢).

(٥) البيت، والتفسير الذي بعده في "الكامل" للمبرد (٣ / ١٤٤٥)، وبقية النص انظر المصدر السابق.

(٦) تهذيب اللغة ـ مادة: عمر ـ (٢/ ٣٨٢).

قال أبو عبيد: سألت الفراء لم ارتفع لَعَمْرُكَ؟ فقال: على إضمار قسم ثان، كأنه قال: وعَمْرِكَ فَلَعمرُك عظيمٌ، وكذلك لَحَيَاتُكَ مثله.

قال: والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ لَيَجمعنَّكم﴾[1] الآية، كأنه أراد واللهِ ليجمعنكم فأضمر القسم.

قال المبرِّد: وفي لغة وَعَمْلُكَ يريدون: لعمرك.

ومنه قول عُمارة بن عَقِيل الحنظلي:

وعملك إن الطائر الواقع الذي   تعرَّض لي من طائر لصدوقُ

وتقول: إنك عَمْري لظريفٌ.

وقال ابن منظور: العرب تقول: عَمْرَكَ اللهَ افعل كذا، وألا فعلت كذا، وألاما فعلت بالزيادة بالنصب، وهو من الأسماء الموضوعة في موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل المتروكِ إظهارُه، وأصله من عَمَّرْتُك اللهَ تعميرا، فحذفت زيادته فجاء على الفعل، وأُعَمِّرُكَ اللهَ أن تفعل كذا، كأنك تُحلِّفه بالله وتسأله بطول عُمرِهِ قال الشاعر:

عَمَّرْتُكَ اللهَ الجليلَ فإنَّني   أَلْوِي عليك لَوَ انَّ لُبَّكَ يَهتدي

قال الكِسائي: عَمْرَكَ اللهَ لا أفعل ذاك، نُصِبَ على معنى عَمَرْتُكَ اللهَ أي: سألت الله أن يُعَمِّرك، كأنه قال: عَمَّرتُ اللهَ إيَّاك.

قال: ويقال: إنه يمين بغير واو، وقد يكون عَمْرَ اللهِ وهو قبيح، وعَمِرَ الرجلُ يَعْمَرُ عَمَرًا وعَمارةً وعَمْرًا، وعَمَرَ يَعْمُرُ، ويَعْمُرُ الأخيرة عن سيبويه، كلاهما: عاش وبقي زمانا طويلا.

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٧.

قال لَبيد:

وعَمَرْتُ حَرْسًا قبل مجرى داحِسٍ   لو كان للنفس اللَّجوجِ خُلودُ

وأنشد محمد بن سلاَّم كلمة جرير:

لئن عَمِرَت تَيْمٌ زمـــاناً بغِرَّةٍ   لقد حُدِيَتْ تَيْمٌ حُدَاءً عَصَبْصَبَا[1]

ومنه قولهم: أطال الله عَمْرَكَ وعُمْرَكَ"[2].

قال الحافظ ابن عبد البر في"الاستيعاب": "قال عمرو بن الأهتم التميمي:

ذَريني فإنَّ البخلَ يا أمَّ هَيْـثمٍ   لصالح أخلاق الرجال سروقُ

لَعَمْرُكِ مَا ضَاقَتْ بلادٌ بأهلِهَا   ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيـقُ"[3].

وقال الحافظ ابن حجر :" قال هشام بن الكلبي: حدثني جعفر بن كلاب أن عمر بن الخطاب ولَّى علقمة بن عُلاثةَ العامري حَوْران[4]، فنزلها إلى أن مات وخرج إليه الحُطيئة فوجده قد مات، وأوصى له بجائزة، فرثاه بقصيدة منها:

فما كان بيني لو لقيتُك سالِـماً   وبين الغنى إلا ليالٍ قلائـلُ

لَعَمْري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ   بِحَوْرانَ أمسى أدركتْهُ الحبائلُ"[5]

وأقوال الشعراء في هذه الكلمة كثيرة.

---

(١) ديوان جرير (ص ١٨).

(٢) لسان العرب (٤ / ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٣) الاستيعاب (٢ / ٥٣١).

(٤) منطقة واسعة في جنوب دمشق، فيها قرىً ومزارع كثيرة، من أهم مدنها بُصرى وأذرعات. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣١٧)

(٥) الإصابة (٢/ ٤٩٨).

فصل في بيان أقوال أئمة المذاهب في الكلمة المسؤول عن حكمها

١ـ أما الإمام مالك ففي "المدونة الكبرى"[١] رواية الإمام سُحنُون بن سعيد التَّنُوخي، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك رحمه الله قال سُحنُون: "قلتُ: أرأيتَ قوله: لعمري أتكون هذه يميناً ؟ قال: قال مالك: لا تكون يميناً".

وقال الحطَّاب في "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" لأبي المودة الجندي التركي المالكي ما نصه: " وقوله: لعمري، أو هو زانٍ، أو سارق أو قال: والصلاةِ والصيامِ والحجِ، أو قال: هو يأكل لحم الخنزير والميتة، أو يشرب الدم أو الخمر، أو يترك الصلاة، أو عليه لعنةُ الله أو غضبُه، أو أدخلَهُ اللهُ النار، وكلُّ ما دعا به على نفسه لم يكن بشيء من هذا يمينا".

٢ـ وأما الإمام إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني فقد قال الموفَّق بن قدامة في "المغني"[٢]:

" قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: وقد سُئِل عن الرفع: إي لعمري، ومن يشك في هذا ؟! كان ابن عمر إذا رأى من لا يرفع حَصَبَه، وأمره أن يرفع.

وقال في موضع آخر في نفس الكتاب وإن قال: لَعَمْري أو لَعَمْرُك أو عَمْرُك فليس بيمين في قول أكثرهم.

---

(١) المدونة الكبرى (٢/ ١٠٦).

(٢) المغني (١٣/ ٤٥٧).

وقال الحسن في قوله: لعمري عليه الكفارة.

ثم قال[١]: والدليل على أنه ليس بيمين أنه أقسم بحياة مخلوق، فلم تلزمه كفارة كما لو قال: وحياتي، وذلك لأن هذا اللفظ يكون قسما بحياة الذي أضيف إليه العَمْر، فإن التقدير لعمرك قَسَمي أو ما أقسم به، والعَمْر الحياةُ والبقاءُ".

وقال أبو عبد الله محمد بن مُفْلِح في كتاب "الفروع": "وإن قال لعمري، أو قطع الله يديه ورجليه، أو أدخله الله النار إن فعل كذا، فذلك لغو، نص عليه الإمام أحمد، ولا يلزمه إبرار القسم في الأصح".

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في "مختصر الإنصاف": "وإن قال لعمري أو لعمرك فليس بيمين في قول الأكثر.

وقال الحسن في قول: لعمري كفارة"[٢].

وبمثل هذا أفتى حفيده الشيخ عبد اللطيف في "منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس العراقي"[٣] حيث قال: "إن المذهب والأكثر لا يرى أن لعمري، أو لعمرك يمين، وانتفاء الكفارة لانتفاء اليمين.

وأما قول الحسن فمرجوح كما تقدم، وقد يكون يوجب الكفارة؛ لمعصيةِ القائلِ وفُجُورِه، مع أن اليمين غير مقصودة بها، بل هذا يجري على ألسنتهم من غير قصد كقوله: عَقْرَى حَلْقَى، وقوله: ثَكِلَتْكَ أُمُّك.

بل هو غير معلوم وغير مفهوم من كلام أهل العلم والإيمان، وأئمة هذا

---

(١) أي ابن قدامة.

(٢) ص ٤٨٣.

(٣) ص٣٠٩.

الشأن ـ أنه يمين، بل صريح كلامهم نفي هذا، وأنه ليس بقسم.

ثم قال: وليس الغرض اليمينَ الشرعيَّة، وتشبيهَ غيرِ الله تعالى به في التعظيم حتى يرِدَ عليه أن الحلف بغير اسمه تعالى وصفاته عز وجل مكروهٌ، كما صرَّح به النووي في "شرحه على مسلم"، بل الظاهر من كلام الحنفية أنه كُفْرٌ إن كان باعتقاد أنَّه حَلِفٌ يجب البرُّ به، وحرام إن كان بدونه، كما صرَّح به بعض الفضلاء.

٣ـ الأحناف: أما المذهب الحنفي فقد قال العيني في "عمدة القاري شرح البخاري"[1]: " وإذا قال: لعمري، فقال الحسن البصري: عليه الكفارة إذا حنث فيها، وسائر الفقهاء لا يرون فيها كفارة، لأنها ليست عندهم يميناً" انتهى.

* * *

(١) عمدة القاري (٢٣ / ١٨٦).

خاتمة المطاف

لقد تبينَ ممَّا تقدَّم من النصوص الدَّالة على أنَّ كلمة « لعمري » ليست يميناً شرعيةً تجب الكفارة بها، تبين من ذلك أن اليمين الشرعية هي اليمين التي تجب الكفارة على من حَلَفَ بها إذا حَنِثَ.

أما ما ذكره ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن: " من أنَّ أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يعرف من السلف فيه نزاع أن « لعمري » في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1]، قوله: إنَّ هذا قسمٌ من الله بحياة رسوله ﷺ، وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته، وهـذه مزية لا تُعرف لغيره.

ولم يوافق الزمخشري على ذلك فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط، وأنه من قول الملائكة فقال: هو على إرادة القول، أي: قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على ما فهمه السلف لا أهل التعطيل والاعتزال.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لَعَمْرُكَ، أي: وحياتِك، قال: وما أقسم الله تعالى بحياة نبي غيره.

والعَمْرُ بفتح العين المهملة، والعُمْر بضمها واحدٌ إلا أنهم خَصُّوا القسم بالمفتوح؛ لإثبات الأخف؛ لكثرة دوران الحَلِفِ بها على ألسنَتِهِم.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٧٢.

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤٥٦).

وأيضا فإن العُمْر حياة مخصوصة، فهو عُمْر شريف عظيم، أَهْلٌ أن يقسم به لمزيَّتِهِ على كل عُمْر من أعمار بني آدم، ولا ريب أن عُمْره وحياتَه ﷺ من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يقسم به، والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات" انتهى[١].

فهذا الكلام من الإمام ابن القيم يُحمل على أنه إنما أراد أن هذه الكلمة قسمٌ لغةً، وإلا فإن الأحاديث الصحيحة المتقدِّمة تمنع وتنهى عن الحلف بغير الله من المخلوقات، فإن ذلك من أعظم المحرمات، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، هذا كله في غير قسم الله تعالى بما شاء من مخلوقاته، فإنه يفعل ما يشاء، ولا يُسألُ عما يفعل وهم يسألون.

وقد تقدم في النصوص التي سردناها عن الأئمة أن هذه الكلمة ليست من الأيمان الشرعية التي تجب الكفارة بها عند الحِنْث، بل هي محمولة على أحد الوجوه التي تقدمت في أول الرسالة:

أولا: حملها على حذف مضاف، وقد نُقِل ذلك عن بعض أهل العلم فيكون التقدير: « لَوَاهبُ عَمْري »، كما في أمثالها مما أُقْسم فيه بغير الله ـ على قولٍ ـ كقوله تعالى: والشمس، والليل، والقمر.

وثانيا: أن يكون المراد بها وبأمثالها ذكر صورة القسم، لتأكيد مضمون الكلام وترويجه فقط ؛ لأنه أقوى من سائر المؤكِّدات، وأسلم من التأكيد بالقسم بالله تعالى لوجوب البَرِّ به، وليس الغَرَضُ اليَمينَ الشرعية، وتشبيهَ غير الله تعالى به في التعظيم، بل الظاهر من كلام الأحناف أنها كُفْرٌ إن كان يعتقد أنه حلف يجب البرُّ به، وحرامٌ إن كان بدون ذلك كما صرح به بعض الفضلاء.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٤٢٩).

فعلى هذا فَذِكْرُ صورةِ القَسَمِ على أحدِ الوجوهِ المذكورةِ لا بأس به؛ ولهذا شاع استعمالُ هذه الكلمة بين العلماء بإجماعهم كما تقدمت عليه النصوص.

واللهُ أعلم، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبِهِ هداةِ الأُمَم.

بقلم الرَّاجي عَفْوَ ربِّه الباري حمَّادِ بنِ محمد الأنصاري.





كَشْفُ السِّتْرِ
عَمَّا وَرَدَ في السَّفَرِ إِلَى القَبْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمدٍ، وآلِهِ وصحبِه أجمعين.

وبعدُ:

فقد ورد إليّ سؤالٌ صورتُه:

وَقَعَ بَين شخصين نِزاعٌ، هل يجوز لشخصٍ أن ينويَ السفرَ لمجرَّدِ زيارة قبر النبي ﷺ دون المسجد؟ أفتونا، والله يحفظكم.

والجواب:

إنَّ زيارة القبور كان منهيّاً عنها في أول الإسلام لِقُرْبِ الناس آنذاك من عبادة الأصنام، ثم نُسِخَ ذلك بقوله ﷺ: «كنتُ نَهَيتُكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنَّها تُذكِّرُكم الآخرة»(١).

وأُبيحت الزيارة للرجال دون النساء، وبقيت في حق النساء مُحَرَّمةً إلى يوم القيامة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود والترمذي وغيرهما: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور» الحديث(١)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (رقم: ٩٧٧)، وأبو داود (رقم: ٣٢٢٥)، والترمذي (رقم: ١٠٥٤)، والنسائي (٤/ ٨٩)، وأحمد (٥/ ٣٥٦)، وغيرهم من حديث بريدة.

(٢) قال الشيخ الوالد ـ رحمه الله تعالى وغفر له: حديث صحيح من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح هذ؛ قيل: باذام مولى أم هانئ، وقيل: ميزان البصري، فعلى كلٍّ من القولين فالحديث صحيح، لأن باذام إذا روى عنه محمد بن جحادة فحديثه صحيح، وهذه الرواية من روايته عنه، بخلاف ما إذا روى عنه الكلبي وأمثاله، وأما على القول بأن أبا صالح هذا هو ميزان البصري فلا خلاف في صحة هذه الرواية، لأنه ثقة وليس في سنده انقطاع، ولا تدليس، ولا إرسال. (كذا في هامش الطبعة السابقة).

كما أنَّ شَدَّ الرَّحل إلى قبر مخصوص مُحَرَّمٌ؛ لحديث أبي هريرة في الصحيحين: « لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...» الحديث[٢].

وفي هذا الحديث الأخير مشروعيةُ شدِّ الرحل إلى أحد المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

وأما ما سوى هذه المساجد الثلاثة فقد دلَّ هذا الحديث الصحيح على أنه لا يجوز شد الرحل إليه بِمُجَرَّدِهِ، وذلك إذا كان يقصد الزائر مجرَّدَ زيارة قبر النبي ﷺ دون المسجد، وأما إذا قصد المسجد ثم زار القبر الشريف فهذا مشروع؛ لما تقدم من مشروعية زيارة القبور للرجال.

ولم يرد عن النبي ﷺ نص صحيح في جواز شدِّ الرحال إلى قبر مخصوص، سواءً كان قبرَه ﷺ أو قبرَ غيرِه، فَمِنْ ثَمَّ لم يُنقل عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولا عن أحد من التابعين لهم بإحسان أنه شَدَّ رَحْلاً لمجرَّدِ قَصْدِ زيارة قبره، ولا لمجرد زيارة قبر غيره.

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم: ٣٢٣٦)، والترمذي (رقم: ٣٢٩)، والنسائي (٤/ ٩٥)، وابن ماجه (رقم: ١٥٧٥)، من طريق أبي صالح عن ابن عباس مرفوعا.
وأبو صالح هذا: قيل: هو باذام مولى أم هانئ.
وله شاهدان أحدهما: حديث أبي هريرة: أخرجه الترمذي (رقم: ١٠٥٦)، وابن ماجه (رقم: ١٥٧٦)، من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عنه مرفوعا: (لعن الله زوارات القبور).
وحديث حسان بن ثابت: أخرجه ابن ماجه (رقم: ١٥٧٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢٩)، وأحمد (٣/ ٤٤٢-٤٤٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، من طريق عبدالرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور).

(٢) أخرجه البخاري (رقم: ١١٨٩)، ومسلم (رقم: ١٣٩٧).

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا: «من عمل عملا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»[١]، فالخيرُ في اتباع السلف، والشرُّ في ابتداع الخلف.

هذا وقد استدل بعض المتأخرين ممن ينتمي إلى العلم على مشروعية مجرد قصد زيارة القبر الشريف أو غيره بأدلة إمَّا موضوعة أو ضعيفة جداً، لا تَثْبُتُ بمثلها الأحكام الشرعية، كما هو معلوم عند أهل التحقيق والمعرفة بالحديث، أذكرها مع بيان بطلانها أو ضعفها بما قاله أئمة الشأن، فأقول بعد الاستعانة بالله:



(١) أخرجه مسلم (رقم: ١٧١٨).

أدلة المجيزين لشد الرحل وعدم قابليتها للاستدلال بها على دعواهم

أربعة عشر حديثا

١ ـ «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ له شفاعتي».

أخرجه أبو الشيخ، وابن أبي الدنيا، عن ابن عمر، وهو في "صحيح ابن خزيمة"، وأشار إلى تضعيفه[١]، وقال: "في القلب من سنده شيء، وأنا أبرأ إلى الله من عهدته"[٢].

قلت: فيه مجهولان:

أ ـ عبد الله بن عمر العُمَري، قال أبو حاتم: مجهول[٣].

وقال غيره: ضعيف عابد.

ب ـ موسى بن هلال البصري العبدي، قال أبو حاتم: مجهول[٤].

وقال العُقَيلي: "لا يصح حديثه، ولا يُتابع عليه ـ يعني هذا الحديث."[٥].

وقال الذهبي: "وأنكرُ ما عنده حديثه عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، .. فذكر هذا الحديث"[٦].

---

(١) انظر: المقاصد الحسنة (رقم: ١١٢٥).

(٢) انظر: التلخيص الحبير (٢/ ٢٦٧)، لسان الميزان (٦/ ١٣٥).

(٣) اعتمد الوالد الشيخ في ذكر قول أبي حاتم هذا على ما نقله المناوي في "فيض القدير" (٦/ ١٤٠) والصواب في حال عبدالله العمري أنه معروف بالضعف، وقد نقل ابن أبي حاتم عن أبيه في ترجمت عبدالله العمري، أنه قال: يُكتب حديثه، ولا يُحتجُّ به. الجرح والتعديل (٥/ ١١٠)

(٤) الجرح والتعديل (٨/ ١٦٦).

(٥) الضعفاء (٤/ ١٧٠).

(٦) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٢٦).

وفي رواية: «مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ له شفاعتي».

٢ـ « من حجَّ فزار قَبْري بعدَ وفاتي كان كَمَنْ زارني في حَياتي».

أخرجه الطبراني، والبيهقي[١]، عن ابن عمر.

وفيه حَفْص بن سليمان القارئ:

قال الإمام أحمد بن حنبل: متروك الحديث[٢].

وقال البخاري: تركوه[٣].

وقال ابن خِرَاش: كذّاب، كان يضع الحديث[٤].

وذكر الذهبي هذا الحديث من مُنْكراتِهِ بما لفظه: "وفي ترجمته في كتاب "الضعفاء" للبخاري تعليقاً: ابن أبي القاضي، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر مرفوعا: «من حَجَّ وزارني بعد موتي ...» الحديث[٥].

٣ـ « مَنْ زَارَني بالمدينة مُحْتَسِبًا كنتُ لَهُ شَهِيدًا أو شفيعًا يوم القيامة».

أخرجه البيهقي عن أنس[٦].

وفيه أبو المثنى سليمان بن يزيد الكَعْبي:

قال الذهبي: متروك.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ٤٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٦)، وفي شعب الإيمان (٨/ ٩٢ـ٩٣).

(٢) العلل (٢٢٩٨).

(٣) التاريخ الكبير (٢/ ٣٦٣).

(٤) ميزان الاعتدال (١/ ٥٥٨).

(٥) المصدر السابق (١/ ٥٥٩).

(٦) في شعب الإيمان (٨/ ٩٥).

وقال أبو حاتم: منكر الحديث[١].

وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به[٢].

٤ـ «مَنْ حَجَّ ولم يَزُرْني فقد جَفَاني».

قال السخاوي في "المقاصد"[٣]: "لا يصحُّ، أخرجه ابن عدي في "الكامل"، وابن حبان في "الضعفاء"، والدارقطني في "العلل"، و"غرائب مالك"، عن ابن عمر مرفوعاً.

وقال الذهبي في "الميزان"[٤]: "بل هو موضوع".

٥ـ «من زار قبري ـ أو قال: من زارني ـ كُنتُ له شفيعًا أو شهيدًا، ومن مات بأحد الحَرَمَين بَعَثَهُ الله من الآمنين يومَ القيامة».

أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده[٥] عن عمر بن الخطاب.

وفيه مجهول، وسنده كما يلي:

قال أبو داود: حدثنا سوَّار بن ميمون أبو الجرَّاح العبدي، قال: حدثني رجل من آل عمر، عن عمر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ... الحديث.

٦ـ « من زارني بعد مَوْتي، فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمَيْنِ بُعِثَ من الآمنين يومَ القيامة».

أخرجه الدارقطني في "سننه"، وابن عساكر عن حاطب[٦].

---

(١) الجرح والتعديل (٤/ ١٤٩).

(٢) المجروحين (٣/ ١٥١).

(٣) المقاصد الحسنة (رقم: ١١٧٨).

(٤) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٦٥).

(٥) مسند أبي داود الطيالسي (رقم: ٦٥).

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧٨)، من طريق هارون بن ابي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب.

وفيه هارون أبو قَزَعَة أو ابن أبي قَزَعَة:

قال البخاري: لا يتابع على هذا الحديث[(١)].

وشيخ أبي قَزَعَة أيضا مجهول.

وقد ذكر الذهبي في "الميزان"[(٢)] حديث حاطب هذا، وحديث عمر الذي قبله من منكرات هارون بن أبي قَزَعَة.

٧ـ «من زارني وزار أبي إبراهيم في عامٍ واحدٍ دَخَلَ الجنَّة».

قال النووي في "المجموع"[(٣)]: "حديث موضوع، لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث".

٨ـ «من جاءني زائرًا لم تَنْزِعْهُ حاجةٌ إلا زيارتي، كان حقًا عليَّ أن أكونَ له شفيعًا يومَ القيامة».

أخرجه ابن النَّجّار في "الدرة الثمينة في تاريخ المدينة"[(٤)]، والدارقطني[(٥)].

وفيه مَسْلَمَة بن سالم:

قال الذهبي في "ديوان الضعفاء"[(٦)]: "فيه تَجَهُّم".

وقال ابن عبد الهادي: مجهول الحال، لم يُعرف بنقل العلم، ولا يَحِلُّ

---

(١) انظر: الضعفاء للعقيلي (٤/ ٣٦٣)، الكامل لابن عدي (٧/ ٢٥٧٧).

(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٥).

(٣) المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٦١).

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٤٣)، من طريق مسلمة بن سالم، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن أبيه مرفوعا.

(٥) في الأفراد والغرائب (كما في أطرافه لابن طاهر ٣/ ٣٧٦).

(٦) ديوان الضعفاء (ص ٣٨٥).

الاحتجاجُ بخبره، وهو شبيهُ موسى بن هلال العَبْدي المتقدم[١].

٩- «من لم يَزُرْ قبري فقد جَفَاني».

رواه ابن النَّجَّار في "تاريخ المدينة" بلا سند بصيغة التمريض، ولفظه: "ورُوي عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ .... الحديث"[٢].

قال ابن عبد الهادي: هذا الحديث من الموضوعات المكذوبة على علي بن أبي طالب[٣].

قلت: وفي سنده النُّعْمان بن شِبْل الباهلي، كان متَّهَمًا.

وقال ابن حبان: يأتي بالطَّامات[٤].

وذكره الذهبي في "الميزان"[٥].

وفي سنده أيضا: محمد بن الفضل بن عطية المديني، كذَّاب مشهور بالكذب، ووَضْعِ الحديث.

قال الذهبي في "الميزان"[٦]: قال أحمد: حديثه حديث أهل الكذب[٧].

وقال ابن معين: الفضل بن عطية ثقة، وابنه محمد كذَّاب[٨].

وقال الذهبي: مناكير هذا الرجل كثيرة، لأنه صاحب حديث[٩].

---

(١) الصارم المنكي (ص٣٦).

(٢) الدرة الثمينة (ص١٤٤).

(٣) الصارم المنكي (ص١٥١).

(٤) المجروحين (٣/ ٧٣).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٦٥).

(٦) ميزان الاعتدال (٤/ ٦).

(٧) العلل (٢/ ٥٤٩).

(٨) انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٧٥).

(٩) ميزان الاعتدال (٤/ ٧).

وقال أيضا: قال الفلاس: كذّاب[١].

وقال البخاري: سكتوا عنه، رماه ابن أبي شيبة بالكذب[٢].

وقد روي هذا الحديث عن علي مرفوعا[٣]، بسند فيه عبد الملك بن هارون بن عنترة، وهو متّهم بالكذب ووَضْعِ الحديث.

قال يحيى: كذّاب[٤].

وقال أبو حاتم: متروك، ذاهب الحديث[٥].

وقال السعدي: كذاب[٦].

وقال الذهبي: واتُّهِمَ بوضع حديث: «من صام يومًا من أيام البيض عدل عشرة آلاف سنة»[٧].

ولهذا الكذاب ـ أعني عبد الملك بن هارون ـ له بلايا كثيرة تراجع في "الميزان"[٨] للذهبي.

١٠ـ «من أتى زائرًا لي وَجَبَتْ له شَفَاعتي».

أخرجه يحيى الحسيني عن بكير بن عبد الله مرفوعا.

وقال ابن عبد الهادي: "هذا حديث باطل، لا أصل له، مع أنه ليس فيه

---

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ٦).

(٢) انظر: التاريخ الكبير (١/ ٢٠٨)، ميزان الاعتدال (٤/ ٦).

(٣) انظر: الصارم المنكي (ص ١٥١ـ١٥٢).

(٤) تاريخ الدوري (٢/ ٣٧٦).

(٥) الجرح والتعديل (٥/ ٣٧٤).

(٦) انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦٦).

(٧) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦٧).

(٨) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦٦ـ٦٦٧).

دليل على محل النزاع، وهو السفر إلى القبر"[١].

١١ـ «من لم تُمْكِنْهُ زيارتي فَلْيَزُرْ قبرَ إبراهيم الخليل».

قال ابن عبد الهادي: "هذا من الأحاديث المكذوبة والأخبار الموضوعة، وأدنى من يُعَدُّ من طلبة العلم يَعْلَمُ أنه حديث موضوع، وخبر مُفْتَعَل مصنوع، وإِنَّ ذِكْرَ مثلَ هذا الكذب من غير بيانٍ لحاله ـ لقبيحٌ بمن ينتسب إلى العلم"[٢].

١٢ـ «من حَجَّ حَجَّةَ الإسلام، وزارَ قَبْرِي، وغَزَا غَزْوَةً، وصلَّى علَيَّ في بيت المقدس، لم يَسْأَلْهُ اللهُ فيما افْتُرِضَ عليه»[٣].

رواه أبو الفتح الأزدي في الجزء الثاني من "فوائده" بسنده إلى أبي سهل بدر بن عبدالله المِصِّيصِي، عن الحسن بن عثمان الزيادي.

قال الذهبي: "حديث بدر، عن الحسن بن عثمان الزيادي باطل ـ يعني هذا الحديث، وقد رواه عنه النعمان بن هارون"[٤].

هذا مع أن أبا الفتح الأزدي ضعيف.

وقال ابن الجوزي: "كان حافظاً، ولكن في حديثه مناكير، وكانوا يُضَعِّفُونه"[٥].

وقال الخطيب: "متهم، بوضع الحديث"[٦].

---

(١) الصارم المنكي (ص١٥٣).

(٢) الصارم المنكي (ص٥٣).

(٣) انظر: الصارم المنكي (ص١٣٩ـ١٤١).

(٤) ميزان الاعتدال (١/ ٣٠٠).

(٥) الضعفاء لابن الجوزي (٢/ ٥٣).

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٤).

ضَعَّفَه البرقاني، وأهل الموصل لا يَعُدُّونَه شيئًا"[١].

١٣ـ «مَنْ زارني حتَّى ينتهيَ إلى قبري كنتُ له يومَ القيامة شهيدًا أو قال: شفيعاً».

أخرجه العُقَيلي في "الضعفاء"[٢] عن ابن عباس مرفوعا، ومن طريقه: أخرجه ابن عساكر.

هذا حديث موضوعٌ على ابن جريج.

قال ابن عبد الهادي: "قد وقع تصحيفٌ في متنه وإسناده، أما التصحيف في متنه، فقوله: « من زارني»، من الزيارة، وإنما هو: «مَنْ رآني في المنام كان كَمَن رآني في حياتي»، هكذا في كتاب العُقَيلي في نسخة ابن عَساكر: «من رآني»، من الرؤيا، فعلى هذا يكون معناه صحيحا لقوله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني؛ لأنَّ الشيطان لا يَتمثَّلُ بي».

وأما التصحيف في سنده فقوله: "سعيد بن محمد الحضرمي"، والصواب: "شعيب بن محمد"، كما في رواية ابن عساكر.

فعلى كل حال فهذا الحديث ليس بثابت، سواءً كان بلفظ الزيارة أو الرؤيا ؛ لأنّ راويه فَضالة بن سعيد بن زُمَيل المزني شيخ مجهول، لا يعرف له ذكر إلا في هذا الخبر الذي تفرد به، ولم يتابع عليه"[٣].

وقال الذهبي: "قال العُقَيلي: حديثه غير محفوظ، حدثناه سعيد بن محمد الحضرمي، حدثنا فضالة، حدثنا محمد بن يحيى، عن ابن جُرَيج، عن عطاء،

(١) انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢٣).
(٢) الضعفاء للعقيلي (٣/ ٤٥٧).
(٣) الصارم المنكي (ص١٥٠).

عن ابن عباس مرفوعا: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي».

وقال الذهبي: هذا موضوع على ابن جُرَيج[1].

١٤ـ « ما من أحدٍ من أُمَّتي له سَعة ثم لم يَزُرْني فليس له عُذْر».

أخرجه ابن النجَّار في "تاريخ المدينة" عن أنس[2].

وفيه سمعان بن المهدي:

قال الذهبي: "سمعان بن المهدي، عن أنس بن مالك ـ حيوانٌ لا يُعرف، له نسخةٌ مكذوبة، رأيتُها، قَبَّح الله من وَضَعَها"[3].

وقال ابن حجر في "اللسان"[4]: "وهذه النسخة من رواية محمد بن المقاتل الرازي، عن جعفر بن هارون الواسطي، عن سمعان، فذكر النسخة، وهي أكثر من ثلاثمائة حديث". اهـ

قلت: هذه أربعة عشر حديثا يَستدلُّ بها القائلون على جواز شَدِّ الرَّحْل إلى القبر، وهذا جملة ما احتج به من أجاز شدَّ الرحل إلى زيارة القبر الشريف بمجرَّدِهِ.

فقد تَبيَّن لك أنَّ جميعَ هذه الأخبار ليس فيها حديث صحيح، ولا حسن، بل كلُّها ضعيفة جدا، أو موضوعة لا أصل لها، كما تقدم لك عن أئمة هذا الشأن مُفَصَّلاً، فلا تغترَّ بكثرة طُرُقِها وتعدُّدِها، فكم من حديث له طرقٌ أضعافُ هذه الطُرُقِ التي سَرَدْناها عليك، ومع ذلك فهو موضوع عند

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٨ـ٣٤٩).

(٢) الدرة الثمينة لابن النجار (ص١٤٣ـ١٤٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٣٤).

(٤) لسان الميزان (٣/ ١١٤).

أهل هذا الباب، لأنَّ الكثرةَ لا تُفيد إذا كان مدارها على الكذَّابين، أو المتهمين، أو المتروكين، أو المجهولين، كما سمعت في هذه الأحاديث، فإنها لا تخلو من كذَّاب، أو متهم، أو متروك، أو مجهول لا يُعرف أبدًا، ومثل هذا لا يصلح للتقوية كما هو معلوم عند أهل هذا الفن، هذا إذا لم يكن من الصحيح ما يبطله، فكيف وهو موجود ومعلوم في الصحيح كما تقدم من منع شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم"[1]:

"لم يثبُتْ عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص، ولا رَوَى في ذلك شيئا، لا أهلُ الصحيح، ولا السنن، ولا الأئمة المصنِّفُون في المسانيد، كالإمام أحمد وغيره، وإنَّما رَوَى ذلك مَنْ جَمَعَ الموضوع وغيره.

وأجلُّ حديث روي في ذلك حديث رواه الدارقطني، وهو ضعيف باتفاق أهل العلم.

بل الأحاديث المروية في زيارة قبره ﷺ كقوله: «من زارني وزار أبي إبراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة»، و«من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي»[2]، و«من حجَّ ولم يزرني جفاني»، ونحو هذه الأحاديث ـ مكذوبة موضوعة".

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٧٢ـ٧٧٣).

(٢) رُوي هذا أيضاً في حديث طويل عن عثمان بن مظعون، وفي سنده ضعيف، وكذاب ومجاهيل، فالكذَّاب القاسم العُمري، قال أحمد: كان يكذب ويضع.
ومع الأسف ذكره ابن الجوزي في "التلبيس"، كعادته في كتبه، من ذكر الموضوعات دون بيان (ص٢١٩). ـ حاشية من الأصل ـ

قلت: هذا هو الصواب الذي يجب أن يُدان الله به، ومن كان عنده حديثٌ صحيحٌ في هذا الموضوع ـ أعني في جواز شدِّ الرَّحْل إلى قبر مخصوص ـ فعليه البيان.

وأما هذه الأحاديث فهي كما قدَّمتُ إما أحاديث موضوعة مكذوبة، وإما أحاديث ليست في شدِّ الرحل، بل هي في الزيارة المشروعة المُجْمَعِ عليها.

وفي هذه الزيارة نصوص صحيحة صريحة[1]، تُغْني عن هذه البواطل، التي لا يصح الاحتجاج بها في ثبوت حكم من الأحكام الشرعية كائنا ما كان، بل ولا تجوز روايتها إلا مع بيان أنها موضوعة أو ضعيفة لا تصلح للاحتجاج بها؛ لئلا يَدْخُلَ في قوله ﷺ : «من حدَّث عني بحديثٍ يُرَى أنَّه كَذِبٌ فهو أحدُ الكاذبين»[2] عند مسلم وغيره عن المغيرةِ بنِ شُعبةَ، وسَمُرةَ ابنِ جُنْدُبٍ مرفوعاً بألفاظ متعددة.

واللهُ أعلمُ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وسلَّمَ.

* * *

(١) كحديث: « كنتُ نَهَيْتُكُم عن زيارة القبور، فزوروها فإنَّها تُذَكِّرُكُم الآخرة».

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٩)، من حديث سمرة بن جندب، ومن حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنهما ـ.

تَعْرِيفُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِصِحَّةِ حَدِيثِ

إِنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام، على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

فبمناسبة إنكار الإمام ابنِ خُزَيْمَة رحمه الله تعالى لحديث الصورة في كتاب "التوحيد"[١] له، الذي أخرجه ابن أبي عاصم[٢] وغيره، وقلَّدَهُ من قلده في ذلك، بناءً على أنه أي ابن خزيمة لم يقف له على سند ثابت، فبمناسبة هذا الإنكار منه رأيت أن أُبيِّنَ في هذه الأوراق ما جاء عن الأئمة في هذا الحديث، مع بيان طُرُقِهِ الدالَّة على ثبوتِهِ وصحتِهِ، وقبل الإمام ابن خزيمة في إنكار حديث الصورة ـ الإمام مالك كما سيأتي عنه في محلّه إن شاء الله .

وقد ذكرنا هناك أن الإمام مالكاً أنكر هذا الحديث لأمرين:

أولا: لعدم بلوغ الرواية الصحيحة إليه .

وثانيا: على فرض بلوغِها إليه أنه أنكره سَدًّا للذريعة، وإلا فحديث الصورة بجميع طرقه ليس بأغرب من أحاديث اليد والرجل والقدم والعينين، كما ذكره أديب أهل السنة ابن قتيبة الدينوري، فقد صرَّح في كتابه "مختلف الحديث" بقوله: « والذي عندي ـ والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجبَ من اليدين والأصابع والعين، وإنما وَقَعَ الإِلْفُ لتلك لمجيئها في القرآن، وَوَقَعَتْ الوَحْشَة من هذه لأنها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا

---

(١) التوحيد (١/ ٨٧).

(٢) سيأتي تخريجه.

نقول في شيء منه بكيفية ولا حَدّ»[١] .

وحفاظاً على السنة النبوية، والعقيدة السلفية من التلاعب بهما، أذكر فيما يلي الطرق الثابتة لحديث الصورة، مع بيان من خرجه ومن صححه .

فأقول وبالله أصول:

الكلام على حديث الصورة ينحصر فيما يلي:

أ ـ متنه .

ب ـ سنده .

ج ـ من خرجه .

د ـ من صححه .

هـ ـ خلاصة البحث .

فهاك متنَه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تُقبِّحوا الوجه؛ فإن ابن آدم خُلِق على صورة الرحمن » .

قال ابن أبي عاصم في كتاب "السنة"[٢]: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُقبِّحوا الوجوه؛ فإن ابن آدم خُلِق على صورة الرحمن ».

سند آخر[٣]: حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا ابن

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢١).

(٢) السنة (١/ ٢٢٩ رقم ٥١٧).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٣٠ رقم ٥٢١).

لهيعة، عن أبي يونس سُليم بن جُبير، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن»[(١)] .

وقال الدارقطني في كتاب "الصفات"[(٢)]: حدثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الطوسي، حدثنا علي بن إشكاب، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تُقَبِّحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل ».

سند آخر[(٣)]: حدثنا إسماعيل بن العباس الورَّاق،حدثنا علي بن الحرب، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، حدثنا ابْنُ لَهِيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا ضَرَبَ أَحَدُكم فليجتنبْ الوَجْهَ، فإن صورةَ الإنسان على صورة الرحمن عز وجل».

وقال ابن بطة في "إبانته الكبرى": ["حدثنا أحمد بن سليمان النجاد، حدثني محمد بن جعفر، حدثنا أبو بكر المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله كيف نقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: « خلق الله آدم على صورته »، قال: أما الأعمش فيقول: عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: « إن الله خَلَق آدم على صورة الرحمن »، فنقول كما جاء الحديث .

---

(١) أخرجه ابن بطة كما في المختار من الإبانة (٣/ ٢٦٠ رقم ١٨٩)، من طريق ابن لهيعة به مثله.

(٢) كتاب الصفات (ص ٦٤ رقم ٤٨).

(٣) كتاب الصفات (ص٦٥ رقم ٤٩).

وسمعت أبا عبد الله وذكر له بعضُ المحدثين قال: خلقه على صورته، قال: على صورة الطين، فقال: هذا كلام الجهمية .

حدثنا أبو بكر أحمد بن علي السلماني، حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسي، حدثنا إسحاق بن منصور ـ يعني الكوسج ـ، قال: قلت لأحمد: «لا تُقَبِّحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح، قال ابن راهويه: صحيح، ولا يدعه إلا مبتدع، أو ضعيف الرأي .

حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء، حدثنا أبو نصر عصمة بن أبي عصمة، قال: حدثنا أبو طالب، قال سمعت أبا عبد الله يقول: من قال إنَّ الله تعالى خلق آدم على صورة آدم، فهو جَهْمِيٌّ، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟!

حدثني أبو صالح، حدثنا محمد بن داود أبو جعفر البُصْرَوي، حدثنا أبو الحارث الصائغ، قال: قلت لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله، قلت لرجل: لا تقول إن وجه الله ليس بمخلوق، فقال: لا إلا أن يكون في الكتاب نص، فارتعد أبو عبد الله، وقال: أستغفرالله، سبحان الله، هو الكفر بالله، أُحَدِّثُك في أنَّ وَجْهَ الله ليس بمخلوق؟!"[١] .

وقال ابن بطة أيضا بعد ذكر خبر الصورة ما نصّه: " وكل ما جاء من هذه الأحاديث وصَحَّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَفَرضٌ على المسلمين قَبولُها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجبٌ على من قَبِلَهَا، وصَدَّقَ بها أن لا يَضْرِبَ لها المقاييس، ولا يَتحمَّل

(١) المختار من الإبانة (٣/ ٢٦٤ـ٢٦٧).

لها المعاني والتفاسير، لكن تُمَرُّ على ما جاءت، ولا يقال فيها: لِمَ ، ولا كيف، إيمانًا بها وتصديقا، ونقف من لفظها ورواتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهي بنا، كما قال المصطفى نبينا صلى الله عليه وسلم، بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقير، ولا تفتيش، والله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فإن الذين نقلوها إلينا، هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعنُ عليهم والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك، فالله حسيبه والمنتقم منه بما هو أهله"[1]][2].

قال الذهبي ـ في ترجمة أبي الزِّناد عبد الله بن ذكوان ـ: " قال العقيلي[3]: حدثنا مِقْدام بن داود،حدثنا الحارث بن مسكين وابن أبي الغَمْر، قالا: أنبأنا ابن القاسم، قال: سألت مالك بن أنس عمن يحدث بالحديث الذي قالوا: «إن الله خلق آدم على صورته»، فأنكر ذلك مالك إنكارا شديدا، ونهى أن يحدث به أحد، قيل له: إن ناسا من أهل العلم يتحدثون به فقال: من هم ؟ فقيل: محمد بن عجلان عن أبي الزناد، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء، ولم يكن عالما، ولم يزل أبو الزناد عاملا لهؤلاء، حتى مات، وكان صاحب عُمَّال يَتَّبِعُهُم"[4] .

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة: " وكان مالك يُعَظِّم أن يُحَدِّثَ أحدٌ

---

(١) المختار من الإبانة (٣/ ٢٤٤).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه الشيخ الوالد رحمه الله بخطه في نسخته من مطبوعة مجلة الجامعة السلفية.

(٣) الضعفاء (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٩).

بهذه الأحاديث التي فيها: « أن الله خلق آدم على صورته »، وضعَّفها"[١].

وقال الذهبي: " إن هذا الحديث لم ينفرد به ابن عجلان، كما قال مالك بن أنس، فقد رواه همَّام، عن قتادة، عن أبي أيوب المراغي، عن أبي هريرة .

ورواه شعيب، وابن عيينة، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة .

ورواه معمر، عن همَّام، عن أبي هريرة .

ورواه جماعة كالليث بن سعد وغيره، عن ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة .

ورواه شعيب أيضا وغيره عن أبي الزناد، عن موسى بن أبي عثمان، عن أبي هريرة.

ورواه جماعة أيضا عن ابن لهيعة، عن الأعرج، وأبي يونس، عن أبي هريرة .

ورواه جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، وله طرق أخر .

قال حَرْبٌ: سمعتُ إسحاقَ يقول: صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢]، فذكر ما تقدم .

وقال الكوسج: " سمعت أحمد بن حنبل يقول: هذا الحديث صحيح"[٣] .

وقال الذهبي: " وهو مخرج في الصحاح، وأبو الزِّناد فعمدةٌ في الدين، وابن عجلان صدوق من علماء المدينة وأجلائهم ومفتيهم، وغيره أحفظ منه.

---

(١) أصول السنة (ص ٧٥).

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٩-٤٢٠).

(٣) تقدم ذكره في كلام ابن بطة.

أما معنى حديث الصورة، فنَرُدُّ عِلْمَهُ إلى الله ورسوله، ونَسْكُتُ كما سَكَتَ السلفُ، مع الجَزْمِ بأنَّ الله ليس كمثله شيء[1] .

وقال الذهبي أيضا في ترجمة حمدان بن الهيثم: "وقد أتى بشيء منكر عن أحمد بن حنبل في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: « إن اللهَ خَلَقَ آدمَ عَلَى صُورَتِه »، زعم أنه قال: صوَّر الله صورة آدم قبل خلقه على تلك الصورة، فأما أن يكون خلق الله آدم على صورته فلا، فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] .

ويدل على بطلان روايته هذه ما رواه حمدان بن علي الورَّاق، الذي هو أشهر من حمدان بن الهيثم وأقدم، أنه سمع أحمد بن حنبل، وسأله رجل عن حديث: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ على صُورَةِ آدَم »، فقال أحمد: فأين الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: « إن الله خَلَقَ آدمَ على صورةِ الرحمن »، ثم قال أحمد: وأيّ صورة لآدم قبل أن يُخْلَق .

وقال الطبراني: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: قال رجل لأبي: إنَّ فلانًا يقول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله خلق آدم على صورته »، فقال: على صورة رجل، فقال أبي: كذب، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا .

وقيل: إن أبا عمر بن عبد الوهاب هجر أبا الشيخ لمكان حكاية حمدان، وقال: إن أردت أن أسلم عليك، فأخرج من كتابك حكاية حمدان بن الهيثم[3] .

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٠).

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) ميزان الاعتدال (١/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

وقال الحافظ في الفتح: "« على صورة الرحمن » هذه الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في كتاب "السنة"، والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم أيضا من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول ـ وهو أن الضمير في قوله: « على صورته » للمضروب ـ قال: « من قاتلَ فليجتنبِ الوجهَ فإنَّ صورةَ وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن »، فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء، من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله"[1].

وقال في باب الاستئذان: "وقيل: الضمير في قوله: « على صورته » لله، وتَمَسَّك قائل ذلك بما ورد في بعض طرق هذا الحديث: « على صورة الرحمن» .

والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته: من العلم، والحياة، والسمع، والبصر، وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يُشْبِهُها شيء"[2].

ثم ذكر الحافظ كلام حَرْبٍ الكِرْمَاني عن إسحاق بن راهويه، الذي تقدم في صحته .

وكذلك قال: "قال إسحاق الكوسج: سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح.

وقال الطبراني في كتاب "السنة": حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال رجل لأبي: إن رجلا قال: خلق اللهُ آدمَ على صورتِهِ، أي على صورة

---

(١) فتح الباري (٥/ ١٨٣).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣).

الرجل، فقال الإمام أحمد: كذب، هو قول الجهمية[1].

وقال الحافظ أيضا: " وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة: « على صورة الرحمن »، ثم قال المازري: وعلى تقدير صحتها، فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى .

قال الحافظ رَدًّا على المازَرِي في إنكاره صحتها: قلتُ: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في "السنة"، والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات.

وأخرجها ابن أبي عاصم أيضا من طريق أبي يونس عن أبي هريرة، بلفظ يردُّ التأويل الأول[2]، فذكر ما تقدم آنفا اهـ.

وأخرج هذا الحديث أيضا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتابه "الشريعة"[3] من طريق الأعمش، عن حَبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر .

ثم قال: " هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمانُ بها، ولا يُقال فيها كيف ؟ ولِمَ ؟، بل تُستقبلُ بالتسليم والتصديق، وتركِ النظَرِ، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين .

ثم قال: حدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: حدثنا أبو بكر المرُّوذي، قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والأسماء، فصححها، وقال: قد تلقتها العلماء بالقبول، نُسلِّم الأخبار كما جاءت .

---

(١) فتح الباري (٥/ ١٨٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الشريعة (ص ٣١٤).

وقال الآجُرِّي: سمعت أبا عبد الله الزُبَيْرِي، وقد سُئل عن معنى هذا الحديث، فَذَكَرَ مثل ما قيل فيه، ثم قال أبو عبد الله: نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كما جاءت، ونُؤمن بها إيماناً، ولا نقول: كيف، ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انْتُهِيَ بنا، فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبارُ كما جَاءت " انتهى[(١)].

وقال ابن قُتيبة في "مختلف الحديث" ـ بعد كلام ذَكَرَ فيه جميعَ التأويلات التي قيلت في هذا الحديث ـ قال: " والذي عندي ـ والله تعالى أَعلَم ـ أَنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعينين، فإنما وقع الإِلْف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوَحْشَةُ من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نُؤْمِنُ بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد"[(٢)].

وقد قال قبل هذا الكلام: " فإن صحَّتْ روايةُ ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ـ يعني « على صورة الرحمن » ـ فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تأويل ولا تنازع فيه"[(٣)] انتهى.

نعم، فقد تبين مما ذكرنا أعلاه أن هذا الحديث صححه أئمة الحديث الإمام أحمد بن حنبل، وزميله إسحاق بن راهويه، والحافظان الذهبي، وابن حجر العسقلاني، وكفى بهؤلاء قُدْوَةً في هذا الشأن، وليس مع من أنكر صحة هذا الحديث حُجَّةٌ يُدْلي بها إلا عدم إلفه لهذه اللفظة، كما قال ابن قتيبة، والله أعلم .

وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ، وآله وصحبِهِ، ومن تبعهم إلى يومِ الدِّين .

---

(١) الشريعة (ص ٣١٤ ـ ٣١٥).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢١).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٢٠)

تعليق الشيخ تقي الدين الهلالي على ما جاء في هذه الرسالة وكلامه في المسألة

أقول قد أجاد أخونا الأستاذ حماد بن محمد الأنصاري، نزيل المدينة النبوية - فيما جمعه من الأحاديثِ، وأقوالِ العلماء في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته »، وقد استوفى الكلامَ، حتى تَبيَّن الحقُّ لكلِّ مُنْصِفٍ، وقامت الحجَّةُ على كلِّ مُتَعَسِّف، من نُفاةِ الصفات، الذين يُشَبِّهون الله تعالى بالمعدومات .

وقد ظهر لي أن أضيف إلى كلامه حديثا آخر في هذا المعنى رواه البخاري، ونصه بعد السند: عن أبي هريرة رضي الله عنه: « أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يومَ القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تُضَارُّون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: هل تُضَارُّون في الشمس ليس دونها سَحَاب ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يَجْمَعُ الله الناسَ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبدُ شيئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتَّبِعُ من كان يعبدُ الشَّمسَ الشَّمسَ، ويَتَّبِعُ من كان يعبدُ القَمَرَ القَمَرَ، ويَتَّبِعُ من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتيَنَا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته، فيقول: أنا رَبُّكم، فيقولون: أنت ربنا فَيَتَّبِعُونَه »[1] الحديث .

قال محمد تقي الدين الهلالي عفا الله عنه: تضمن هذا الحديث الشريف ثلاثَ صفات لله عز وجل:

---

(١) صحيح البخاري (١٣/ ٤١٩ رقم ٧٤٣٧ - مع الفتح -).

أولها: إتيان الله تعالى .

وثانيها: الصورة .

وثالثها: رؤيتهم له بأبصارهم .

وقد غَصَّ بذلك نفاةُ الصِّفات المعطلة الجهمية، وتَخطَّفَتْهُم شياطينُهم، فأخذوا يَهْرِفونَ ويَهْذِرون بأنواع من التأويلات الباطلة، التي تُضْحِكُ الثَّكْلَى، وتَكْشِفُ عن تَمَكُّنِ البدعةِ من قلوبهم، وسَرَيَانِهَا في عُرُوقهم ودمائِهِم، وصَدَقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين شَبَّهَ البِدْعَةَ بداء الكَلَبِ، لا يترك عِرْقًا ولا مَفْصِلاً إلا سَرَى فيه.

والحقُّ الذي عليه أهل السنة، من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ومن تبعهم بإحسان الإيمانُ بكل ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه، أو وصفه به رسولُه صلى الله عليه وسلم، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، فيقولون: إن لله وجها وعينين ويدين وقدمين وأصابع، وكذلك له صورة وعلم وسمع وبصر وغير ذلك من الصِّفات، لا تُشْبِهُ صفاتِ الخَلْق.

وهذا الذي نعتقدُه ونَدينُ الله به، حتى نلقاه إن شاء الله، ومن أراد أن يقفَ على تخبُّطِ المبتدعين وهذيانهم، فلينظر شرح هذا الحديث في "فتح الباري"[1]. انتهى.

* * *

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٢٧ـ٤٢٨).

تُحْفَةُ القَاري في الرَّدِّ على الغُمَاري

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نَحمدُه ونستعينُه ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اطلعتُ على رسالة صغيرة كتبها شخص باسم عبد الله بن محمد بن الصديق الغُماري الحسني، وسماها " إتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين والأولياء "(١) يدعو فيها إلى التوسل بذوات الصالحين مستدلاً على دعواه فيها بخمسة أحاديث مرفوعة، وبخمسة آثار موقوفة، وَعَقَّبَ على كل واحدٍ منها بأنه صحيح، وأنها دالة كلها على مرامه.

هذا وقد أُلّفت رسائل كثيرة في الرد على مثل هذه الرسالة، منها:

ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية(٢).

ـ وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ زيني دحلان للشيخ السهسواني(٣).

ـ وغاية الأماني في الرد على النبهاني للآلوسي(٤).

---

(١) طبع بمصر بالمطبعة الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٥٣ هـ.

(٢) طبع عدة مرات، من أحسنها تحقيق فضيلة الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي ـ مطبعة لينة عام ١٤٠٩ هـ.

(٣) طبع بمطابع نجد التجارية بالرياض سنة ١٣٩٥هـ.

(٤) طبع بمطابع نجد التجارية بالرياض.

ـ ومنهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس للشيخ عبد اللطيف[١].

ـ وتأسيس التقديس في الرد على ابن منصور للشيخ عبد اللطيف.

وغير ذلك كثير.

فمشاركةً لهؤلاء الأعلام في الذبّ عن السنة المطهرة، وحفاظاً على العقيدة السلفية من أن يَعبثَ بها كلُّ لاعب، رأيت من الواجب عليّ بيان الحق نحو الأخبار والآثار التي لبّس بها الغُماري على العامة، فوضعت قلمي على هذه الأوراق مستعينا بالله وحده، فإذا تلك الأخبار والآثار على قسمين:

ـ قسم دالٌّ على مرامه، ولكنه ضعيف جداً أو موضوع.

ـ وقسم خارج عن الموضوع على فرض صحته.

وقد قدمت الكلام على الأحاديث المرفوعة التي ساقها في رسالته الصغيرة التي تقدمت الإشارة إليها، وكذلك ما ساق في أصل رسالته هذه "الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين"[٢].

ثم قفَّيته بالكلام على ما أورده من الآثار الموقوفة، وسميت هذه الرسالة بـ "تحفة القاري في الرد على الغُماري".

فإليك أيها القارئ أدلةَ الغُماري التي لا تنطلي إلا على الأغمار، لأنك إذا نظرت إليها تجد أن أسانيدها كلَّها لا تخلو من كذَّاب، أو متهم بالكذب، متروك الحديث، أو مجهوله، تنقطع أعناقُ الإبل دون أن يُعرف، إضافةً إلى أنه أورد فيها حديث عمر في "الصحيحين"، وحديث الأعمى في "السنن" مع أنهما خارجان عن الموضوع، كما ستقرؤه ـ إن شاء الله ـ في محله.

---

(١) طبع أكثر من مرة، آخرها نشر: دار الهداية، بالرياض، عام ١٤٠٧هـ.

(٢) طبع بمطبعة العهد الجديد لصاحبها كامل مصباح عام ١٣٧٤ هـ ـ الطبعة الثانية.

١ـ الحديث الأول من أحاديث الغماري:

قال: " أخرج الطبراني في معجمه الكبير والأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

(لما ماتت فاطمة بنت أسد، أمُّ عليٍّ رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيبا وتُطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة.

ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سَكَبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه، فألبسها إياه، وكفَّنَها ببُرْدٍ فوقَه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامةَ بنَ زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وأخرج تُرابَه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقِّنْها حجتها، ووسِّع عليها مُدْخَلَها، بحقِّ نبيك، والأنبياءِ الذين من قبلي، فإنك أرحم الرحمين.

وكبَّر عليها أربعاً وأدخلها اللحد، هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهم)[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٥١ رقم ٨٧١)، وفي الأوسط (رقم ١٨٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢١)، من طريق روح بن صلاح عن سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أنس مرفوعا.
وقال الطبراني: تفرد به روح بن صلاح.

قال: " قال الهيثمي: « رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح، وقد وثّقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف »[(١)].

قال: فالحديث صحيح، وله طرق منها:

- عن ابن عباس، عند أبي نعيم في "المعرفة"، والديلمي في "مسند الفردوس"، بإسناد حسن، كما قال الحافظ السيوطي ". انتهى كلام الغماري[(٢)].

قلت: قال الحافظ ابن حجر في "اللسان": « إن روح بن صلاح ذكره ابن يونس في "تاريخ الغرباء"، وقال: هو من أهل الموصل، قدِم مصر، وحدث بها، رويت عنه مناكير.

وقال الدارقطني: ضعيف في الحديث[(٣)].

وقال ابن ماكولا: ضعّفوه، سكن مصر[(٤)].

وقال ابن عدي - بعد أن أخرج له حديثين: وله أحاديث كثيرة في بعضها نُكْرة[(٥)] »[(٦)].

وقال الذهبي في "الديوان": « روح بن صلاح عن ابن لهيعة، قال ابن عدي: ضعيف[(٧)] »[(٨)].

---

(١) وعبارة الهيثمي: " وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله الصحيح". مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٧).

(٢) إتحاف الأذكياء (ص ٢ - ٤).

(٣) المؤتلف والمختلف (٣/ ١٣٧٧).

(٤) الإكمال (٥/ ١٥).

(٥) الكامل (٣/ ١٠٠٦).

(٦) لسان الميزان (٢/ ٤٦٥).

(٧) الكامل (٣/ ١٠٠٥).

(٨) ديوان الضعفاء والمتروكين (١/ ٢٩٤).

وقال السهسواني في "الصيانة"[١]: « روح ضعيف، ضعفه ابن عدي، وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال، كما في "فتح المغيث"[٢] للسخاوي.

ولااعتداد بذكر ابن حبان له في "الثقات"[٣]، فإن قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرف كما في "الميزان"[٤].

وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه، فإنه داخل في القسم المتسمح.

قال السخاوي: وقسم متسمح كالترمذي والحاكم[٥].

وقال السيوطي في "التدريب": وهو متساهل، فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحاً ولا تضعيفاً حكمنا بأنه حسن، إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعف[٦].

وقال البدر ابن جماعة: والصواب أن يتتبع ويحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الضعف أو الصحة[٧].

ووافقه العراقي، وقال: إن حكمه عليه بالحسن فقط تحكم[٨].

---

(١) صيانة الإنسان (ص ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٢) فتح المغيث (٤/ ٣٦٤).

(٣) الثقات (٨/ ٢٤٤).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ١٧٥).

(٥) فتح المغيث (٤/ ٣٦٤).

(٦) تدريب الراوي (١/ ١١٣).

(٧) التقييد والإيضاح (ص ١٨).

(٨) المصدر السابق (ص ١٨).

فقول الحاكم وابن حبان عند التعارض لا يقام له وزن، حتى ولو كان الجرح مبهما لم يذكر له سبب، فكيف مع بيانه، كما هو الحال في ابن صلاحٍ هذا.

فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيفه، وبيَّنوا أن السببَ روايتُه المناكير، فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكرا لا يحتج به، فلا يَغْتَرُّ بعد هذا بتوثيق من سبق ذكره ـ إلا جاهل أو مُغْرِض.

فحديث أنس هذا الذي تبين أنه ضعيف، أوهم الغماري أنه صحيح بتمسكه بتوثيق ابن حبان والحاكم لروح بن صلاح، وقد بيَّنا ضعفه وعدم اعتداد العلماء بتوثيق المذكورين فتذكَّر!.

ولم يكتف بهذا التلبيس، بل قال عقبه: " ولهذا الحديث طرق منها:

عن ابن عباس عند أبي نعيم في "المعرفة" والديلمي في "الفردوس" بإسناد حسن، كما قاله الحافظ السيوطي ".

فهذا كذب منه على ابن عباس رضي الله عنهما وربما على السيوطي أيضا، فليس في حديث ابن عباس موضع الشاهد من حديث أنس، وهو قوله: (بحق نبيك والأنبياء الذين قبلي، فإنك أرحم الراحمين).

قال ابن الأثير في "أسد الغابة"(١) ما نصه: « أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء إجازة بإسناده، عن أبي بكر بن أبي عاصم، حدثنا عبد الله بن شبيب ابن خالد القيسي، حدثنا يحيى بن إبراهيم بن هانئ، أخبرنا حسين بن زيد بن علي، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه، واضطجع في قبرها، وجزَّاها خيرا).

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥١٧).

وروى عن ابن عباس نحو هذا وزاد: (فقالوا: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ؟ قال: إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرَّ بي منها، إنما ألبستُها قميصي لتُكسى من حُلَلِ الجَنَّة، واضطجعت في قبرها لِيُهَوَّنَ عليها عذابُ القبر) ».

وقال ابن عبد البر: « روى سعدان بن الوليد السابري عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: (لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعتَ ما صنعتَ بهذه ؟ فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها لِيُهَوَّن عليها) »[1].

ورواه الطبراني في "الأوسط"[2] أيضا بدون هذا الشاهد مثل رواية ابن عبد البر، وقال الهيثمي: « وفيه سعدان بن الوليد، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات »[3].

ولفظه في "المجمع": « عن ابن عباس قال: (لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب خَلَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قميصَه وألبسها إياه، واضطجع في قبرها، فلما سوَّى عليها التراب، قالوا: يا رسول الله، رأيناك صنعتَ شيئا لم تصنعْه بأحد، فقال: إني ألبستُها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم ٦٩٣٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (رقم٢٨٩، ٧٧٨٢)، من طريق سعدان بن الوليد السابري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(٣) مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٧).

معها في قبرها ليُخَفَّفَ عنها من ضَغْطةِ القبر، إنها كانت أحسنَ خَلْق الله إليَّ صَنيعاً بعد أبي طالب) »[١].

وليس في هذه الروايات عن ابن عباس ذكر للشاهد الذي تقدم في حديث أنس رضي الله عنه.

ـ وعند الطبراني في "الكبير"[٢] من حديث أبي أمامة: (أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض، وبكل حق هو لك وبحقِّ السائلين عليك).

قلتُ: قال الهيثمي في "المجمع": « وفيه فضّال بن جبير، وهو ضعيف مجمع على ضعفه»[٣].

وقال الذهبي في "الميزان": « قال ابن عدي: عامة أحاديثِهِ غير محفوظة[٤].

وقال ابن حبان: لا يحلُّ الاحتجاج به بحال، يروي أحاديث لا أصل لها[٥]»[٦].

هكذا في "الفوائد المجموعة" للشوكاني رحمه الله.

ـ وعن ابن عباس قال: (سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، قال: سأل بحق محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، إلا تبت عليّ، فتاب عليه)[٧].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٣١٦ ـ ٣١٧).

(٣) مجمع الزوائد (١٠/ ١١٧).

(٤) الكامل (٦/ ٢٠٤٧).

(٥) كتاب المجروحين (٢/ ٢٠٤).

(٦) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٧).

(٧) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (رقم ٧٨٥)، من طريق حسين الأشقر عن عمرو بن =

قلتُ: قال الدارقطني: « تفرد به عمرو بن ثابت أبو المقدام بن هرمز الكوفي، يُكنى أبا ثابت[١].

وقد قال يحيى: إنه لا ثقة ولا مأمون[٢].

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات[٣]».

وقال الذهبي في "الميزان"[٤]: قال النسائي: متروك الحديث[٥].

وقال أبو داود: رافضي .

وقال عبد الله بن المبارك: لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فإنه كان يسبُّ السلف[٦].

وفي "سؤالات الآجري": سأل أبا داود عنه أنه قال: رافضي خبيث، وهو الشؤم ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة[٧].

وذكره ابن عرَّاق في الوضاعين، وقال: « عمرو بن ثابت بن أبي المقدام،

ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦١) لابن النجار.

وفي سنده: عمرو بن ثابت.

وحسين الأشقر، وهو الكوفي، قال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال النسائي والدارقطني: ليس القوي. (انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٥٣١).

(١) انظر الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٣١).

(٢) تاريخ الدوري (٢/ ٤٤٠).

(٣) كتاب المجروحين (٢/ ٧٦).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٤٩).

(٥) ضعفاء النسائي (رقم ٤٥٠).

(٦) انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢١/ ٥٥٥).

(٧) سؤالات الآجري (٢/ ٢٤٤، ٣٤١)، وانظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٥٥٧).

قال ابن حبان: روى الموضوعات عن الثقات »[١].

وذكره الفتَّني أيضا في "قانون الضعفاء"، وقال: « متروك، قال يحيى: عمرو بن ثابت لا ثقة ولا ثابت»[٢].

ثم إن الله تعالى قد بيَّن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فدعا بها هو وحواء بقوله تعالى: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفسَنَا وَإِن لم تَغْفر لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[٣]، وهذا أقوى رد للمتن الذي رواه هذا الوضاع المجوسي الأصل من غلاة الروافض.

٢ـ الحديث الثاني:

" حديث الأعمى[٤] عند الترمذي والنسائي في "عمل اليوم والليلة" وابن ماجه "[٥].

---

(١) تنزيه الشريعة (١/ ٩٢).

(٢) قانون الموضوعات والضعفاء (ص ٢٨٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٨/٤)، والترمذي في جامعه (رقم ٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه (رقم ١٣٨٥)، والنسائي في عمل الليوم والليلة (رقم ٦٥٨، ٦٥٩)، وابن خزيمة في صحيحه (رقم ١٢١٩)، والطبراني في الكبير (رقم ٨٣١١/ ٢)، والحاكم (١/ ٣١٣، ٥١٩، ٥٢٦)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٦٦ـ ١٦٧)، وفي الدعوات (رقم ٢٠٤)، من حديث عثمان بن حنيف.

وعند أحمد والترمذي وابن ماجه: (إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت... اللهم شفعه فيه).

وفي سنده أبو جعفر الخطمي وهو صدوق كما في التقريب (رقم ٥٢٢٥)، وقد اختلف عليه في سنده ومتنه.

وقد توسع في تخريجه والكلام على بعض ألفاظه شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٨٥ـ١٩٩).

(٥) إتحاف الأذكياء (ص ٤).

وهذا الحديث على القول بصحته فليس فيه مستمسك على دعواه، لأن الأعمى إنما توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره في "قاعدة التوسل والوسيلة"[١].

وَذَكَرَ أن العزّ بن عبد السلام أوقف القول بجواز التوسل به صلى الله عليه وسلم على صحة الحديث[٢].

ولكنه لا يدل على التوسل بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم، بل إنما يدل على التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم للأعمى، لقوله صلى الله عليه وسلم للأعمى: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت».

ولقول الأعمى في آخر دعائه: «اللهم فشفعه فيّ».

وسيأتي بسط الكلام على هذا الحديث عن قريب إن شاء الله عند الكلام على حديث الطبراني في توسل عثمان بن حنيف.

٣ـ الحديث الثالث:

" أخرج الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيَّان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ في كتابه "ثواب الأعمال"، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه: «أن أبا بكر رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أتعلم القرآن ويتفلتُ مني، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك، وعيسى كلمتك وروحك، وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود،

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٨٥، ١٩٦ ـ ١٩٨، ٢٤١).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٨٥).

وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين...»[١] الحديث"[٢].

لم يزد الغماري على قوله في هذا الحديث: " وهو ضعيف لضعف عبد الملك، ولأن فيه انقطاعا بين أبيه وبين أبي بكر، كما قال الحافظ العراقي في "المغني"[٣]"[٤].

قلت: قصَّر في البحث، أو أراد التلبيس كما هو عادته، لأن عبدالملك بن هارون بن عنترة، قال فيه السعدي: «دَجَّال كذَّاب»[٥].

وقال يحيى بن معين أيضا: « كذَّاب»[٦].

وقال أبو حاتم: « متروك ذاهب الحديث »[٧].

وقال ابن حبان: « يضع الحديث، وهو الذي يقال له عبد الملك بن أبي عمرو»[٨].

وقال الذهبي: « واتُّهم بوضع الحديث »[٩].

وكذلك ابن عراق ذكر في الكذابين[١٠] ما قاله السعدي وابن حبان فيه.

---

(١) ذكره رزين العبدري في جامعه، ونقله عنه ابن الأثير في جامع الأصول (٤/ ٣٠٢ رقم ٢٣٠٢)، وعزاه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٧٤) لأبي الشيخ.
وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٦٤ فما بعدها).

(٢) إتحاف الأذكياء (ص ٥).

(٣) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (٢/ ٢٧٤).

(٤) إتحاف الأذكياء (ص ٥).

(٥) الشجرة في أحوال الرجال للجوزجاني (رقم ٨٠).

(٦) تاريخ الدوري (٢/ ٣٧٦).

(٧) الجرح والتعديل (٥/ ٣٧٤).

(٨) كتاب المجروحين (٢/ ١٣٣).

(٩) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦٧).

(١٠) تنزيه الشريعة (١/ ٨٢).

وقال الفتني في "قانون الضعفاء": « عبد الملك بن هارون الشيباني كذَّاب دجَّال يضع »[١].

وقال الحافظ في "اللسان": « قال صالح بن محمد: عامة حديثه عن أبيه كذب، وأبوه هارون ثقة.

وقال الحاكم في "المدخل": روى عن أبيه أحاديث موضوعة[٢].

وقال أبو نعيم: يروي عن أبيه مناكير[٣] »[٤].

وأبوه هارون بن عنترة الشيباني الكوفي، قال الحافظ في "التقريب": « لا بأس به»[٥].

وقال الدارقطني: « يُحتج به، وأبوه يُعتبر به، وأما ابنه عبد الملك فمتروك يكذب». كذا في "الميزان"[٦].

٤ـ الحديث الرابع:

" قال الطبراني في "الصغير": حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصَّدَفي المصري، حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفِهْري، حدثنا عبد الله بن إسماعيل

---

(١) قانون الموضوعات والضعفاء (ص٢٧٦).

(٢) المدخل إلى الصحيح (رقم ١٢٩).

(٣) كتاب الضعفاء (رقم ١٣٢).

(٤) لسان الميزان (٤/ ٧٢).

(٥) تقريب التهذيب (رقم ٧٤٣٦).

(٦) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٥).

ولكن نقل الذهبي أيضا في الميزان (٢/ ٦٦٦) في ترجمة ابنه عبد الملك عن الدارقطني أنه قال فيه: ضعيف.

وفي كتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ٢٨٩): " عبد الملك بن هارون بن عنترة الكوفي عن أبيه، وأبوه أيضا متروك".

المدني، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أذنب آدم صلى الله عليه وسلم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش، فقال: أسألك بحق محمد إلا غفَرتَ لي...» الحديث[١].

ورواه الحاكم في "المستدرك"[٢] أيضا قال: حدثنا عمرو بن محمد بن منصور العدل، حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، حدثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر به"[٣].

ففي هذا الحديث آفات كثيرة سكت عنها الغُماري، لأنها لا تتلائمُ مع غَرَضِهِ من التلبيس، منها:

١ـ أن الذهبي قال في "الميزان": « عبد الله بن مسلم، أبو الحارث الفِهْري، روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قَعْنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلا فيه: (يا آدم لولا محمد ما خلقتك) »[٤].

وقال في تلخيص "المستدرك": « بل هو موضوع وعبد الرحمن واه»[٥].

وقال أيضا: « رواه عبد الله بن مسلم الفهري ـ ولا أدري من ذا ـ عن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم ٦٥٠٢)، وفي الصغير (٢/ ٨٢).

(٢) مستدرك الحاكم (٢/ ٦١٥).

وأخرجه الآجري في الشريعة (ص ٤٢٧)، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر موقوفا عليه.

(٣) إتحاف الأذكياء (ص ٧).

(٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٤).

(٥) تلخيص المستدرك (٢/ ٦١٥).

إسماعيل بن مسلمة عنه »[١].

قال الحافظ في "اللسان"[٢]: « لا أستبعد أن يكون هو عبد الله بن مسلم بن رشيد.

وقد ذكره ابن حِبَّان[٣] من المتهمين بوضع الحديث، لايحل كتب حديثه، وهو شيخ لا يعرفه أصحابنا، وإنما ذكرته لئلا يحتج به أحد من أصحاب الرأي، لأنهم كتبوا عنه فيتوهم مَن لم يتبحر في العلم أنه ثقة، وهو الذي روى عن أبي هُدْبة نسخة كأنها معمولة.

وضبط الخطيب أباه بالتشديد وجده بالتصغير ».

قلت: وإسماعيل بن مسلمة هذا صدوق يخطئ[٤].

وفيه أيضا مجاهيل كما قال الهيثمي في المجمع: « رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم »[٥].

وقال الطبراني[٦]: « لا يُروى عن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به أحمد بن سعيد المدني الفِهْري عن عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن جده».

٢ـ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: « سأل رجل عبد الرحمن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) لسان الميزان (٣/ ٣٥٩ـ٣٦٠).

(٣) كتاب المجروحين (٢/ ٤٤).

(٤) انظر: تقريب التهذيب (رقم ٤٩١).

(٥) مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٣).

(٦) المعجم الصغير (٢/ ٨٣).

ابن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن أبيه: أن سفينة نوح طافت بالبيت، وصلت خلف المقام ركعتين ؟ قال: نعم »[١].

وقال محمد بن عبد الله: سمعت الشافعي يقول: « ذَكَرَ رجلٌ لمالكٍ حديثاً، فقال: من حدَّثك به ؟ فذكر إسنادًا له منقطعًا، فقال: اذهب به إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ يُحَدِّثْك به عن أبيه عن نوح عليه السلام»[٢].

وقال في "الصارم":

" قال الحاكم أبو عبد الله: « روى عبد الرحمن عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصَّنعة أن الحمل فيها عليه»[٣].

وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فضعيف غير محتج به عند أهل الحديث.

قال الفلاس: «لم أسمع عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه »[٤].

وقال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: « ضعيف »[٥].

وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: « ليس حديثه بشيء »[٦].

وقال البخاري وأبو حاتم الرازي: « ضَعَّفه علي بن المديني جداً»[٧].

وقال أبو داود وأبو زرعة والنسائي والدارقطني: « ضعيف »[٨].

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٥٦٥).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ١١٨)، وكتاب المجروحين (٢/ ٥٨).

(٣) المدخل إلى الصحيح (ص ١٥٤).

(٤) الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٣)، وتهذيب الكمال (١٧/ ١١٦).

(٥) الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٣).

(٦) تاريخ الدوري (٢/ ٢٢).

(٧) التاريخ الكبير (٥/ ٢٨٤)، والجرح والتعديل (٥/ ٢٣٤).

(٨) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (رقم ٣٧٧)، والجرح والتعديل (٥/ ٢٣٤)، والضعفاء والمتروكون للدارقطني (رقم ٣٣١)، وتهذيب الكمال (١٧/ ١١٧).

وقال ابن حبان: « كان ممن يقلب الأخبار، وهو لا يعلم حتى كَثُرَ ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحقّ الترك »[(١)].

وقال الحاكم أبو عبد الله: « روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأمَّلها من أهل الصنعة أَنَّ الحَمْلَ فيها عليه ».

وقال ابن خزيمة: « عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه »[(٢)].

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: « حدَّث عن أبيه، لا شيء»[(٣)(٤)].

وما ذكرناه في هذا المكان من كلام أئمة هذا الشأن في بيان حال عبد الرحمن وحال الفِهْري فيه كفاية لمن له أدنى معرفة بهذا الشأن فكيف يسُوغُ لأحدٍ الاحتجاج بحديث في إسناده مثل هذين الضعيفين المشهورين بالضعف ومخالفة الثقات، اللذين لو كان أحدهما وحده في طريق الحديث لكان محكوما عليه بالضعف وعدم الصحة، فكيف إذا كانا مجتمعين في الإسناد ؟ !

وقال ابن عبد الهادي: « وإني لأتعجب من السُّبْكي كيف قلَّد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل، وفيه قول الله لآدم: (ولولا محمد ما خلقتك)، مع أنه حديث غير صحيح، ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبدالرحمن بن زيد بصحيح، بل هو

---

(١) كتاب المجروحين (٢/ ٥٧).

(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٩).

(٣) كتاب الضعفاء (رقم ١٢٢).

(٤) الصارم المنكي لابن عبد الهادي (ص ٣٤).

مفتعل على عبد الرحمن، ولو كان صحيحا إلى عبدالرحمن لكان ضعيفا غير محتج به، لأن عبد الرحمن لسوء حفظه هو رجل صناعته العبادة والتقشف ليس من أَحْلاس الحديث »[1].

ثم قال [الغماري]: « قلتُ: وكذا جميع مَن ضعَّفه مثلُ أحمدَ، والنسائيِّ، وابنِ سعد، وابن حبان، إنما ضعفوه لسوء حفظه ولغفلته، مع وصف بعضهم له بالصلاح والعبادة.

فملخص ما يقال في حديثه هذا أنه ضعيف فقط ليس بصحيح كما قال الحاكم، ولا بموضوع كما قال الذهبي، وكيف يكون موضوعا وقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وهو ملتزم أن لا يخرج في كتبه حديثا موضوعا، كما ذكره الحافظ السيوطي في "اللالئ" راداً به على ابن الجوزي إذ أورد في الموضوعات من طريق ابن شاهين حديثا هو عند البيهقي في "الأسماء والصفات".

وبهذا امتازت كتب البيهقي على سائر الكتب ممن لم يلتزم أصحابها الصحة.

وقد طعن في الحديث ابن تيمية أيضا كما نقله التقي السبكي في "شفاء السقام"، ولم نشتغل برد كلامه لكونه معنى كلام الذهبي »[2].

انتهى كلام الغماري الذي إن دل على شيء، فإنما يدل على المغالطة، إذ تقدم أن عبد الرحمن بن زيد يروي عن أبيه أحاديث موضوعة، وهذا الحديث من جملتها.

هذه أدلته المرفوعة على جواز التوسل بذوات الصالحين مع بيان عدم صلاحيتها للاستدلال بها على ما يريد.

---

(١) الصارم المنكي (ص ٣٦).

(٢) إتحاف الأذكياء (ص ٧).

الآثار التي دلس بها الغماري على مطلوبه

١ـ منها: "ما رواه الحاكم في "المستدرك" والبيهقي في "الدلائل"[١]، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كانت يهود خيبر تقاتل غَطَفَان، فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأميّ، الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمن، إلا نصرتنا عليهم. فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غَطَفَان، فلمَّا بُعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله: ﴿وكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ علَى الذينَ كَفَرُوا﴾[٢]، يعني وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد، إلى قوله: ﴿فلعنةُ اللهِ عَلَى الكافِرِينَ﴾»"[٣].

ثم قال الغماري ـ تلبيسا كعادته: "هذا إسناد ضعيف لضعف عبدالملك بن هارون"[٤].

قلت: هذا الأثر فيه الكذاب عبد الملك بن هارون بن عنترة، وقد تقدم الكلام عليه في الأخبار المرفوعة.

قال الحاكم في "المستدرك": « أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب من حديثه ».

وقال الذهبي في "التلخيص": « قلت: لا ضرورة في ذلك فعبدالملك متروك هالك»[٥].

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٢٦٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧٦).

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٣) إتحاف الأذكياء (ص ٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) تلخيص المستدرك (٢/ ٢٦٣).

وعقب الحافظ ابن حجر على هذا الكلام في كتابه « العجاب في بيان الأسباب»[(١)]، بقوله: « قلت: وأي ضرورة تحوج إلى إخراج حديث مَن يقول فيه يحيى بن معين: كذاب ـ في المستدرك على البخاري ومسلم؟! ما هذا إلا اعتذار ساقط».

[قال الغماري]: لكن للأثر طرق، فأخرج أبو نعيم في "الدلائل" من طريقي عطاء، والضحاك عن ابن عباس قال: «كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا، يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأميّ إلا نصرتنا عليهم، فينصرون فلما جاءهم ما عرفوا ـ يريد محمداً صلى الله عليه وسلم ـ، ولم يشكُّوا فيه كفروا به».

وأخرج أبو نعيم أيضا من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: (كان يهود المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا مَن يليهم من مشركي العرب؛ من أسدٍ، وغَطَفانَ، وجُهَينةَ، وعُذْرَة، يستفتحون عليهم ويستنصرون، يدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون: ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك، وبكتابك الذي تنزل عليه، الذي وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان) اهـ[(٢)].

قال أبو نعيم في "الدلائل": « حدثنا حبيب بن الحسن، قال حدثنا محمد بن يحيى المروزي، قال: حدثنا أحمد بن أيوب، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق أنه قال: بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس، وعن سعيد بن

---

(١) العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٨٣).

(٢) إتحاف الأذكياء (ص ٨).

جبير عن ابن عباس: (أن يهود كانوا يستفتحون على الأَوس والخَزْرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعَثه، فلما بعثه الله عز وجل من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبِشْر بن البراء بن مَعْرُور أخو بني سلمة: يا معشرَ اليهود، اتقوا الله وأسلموا، وقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، وإنَّا أهل الشرك، وتُخْبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلاَّم بن مِشْكم: ما هو بالذي كنا نذكر لكم، ما جاءنا بشيء نعرفه، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: ﴿ولمَّا جَاءَهم كِتَابٌ مِن عِند اللهِ مُصَدِّقٌ لما مَعَهم وكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحونَ على الذينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفوا كَفَروا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ »[١].

وقال ابن جرير: « حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا يونس بن بُكَير، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جُبَير أو عكرمة عن ابن عباس: (أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه...) الحديث »[٢].

قال: « حُدِّثتُ عن المِنْجَاب، قال: حدثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (في قوله تعالى: ﴿وكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُون عَلَى الذينَ كَفَرُوا﴾، قال: كانوا يستظهرون يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، وليس كذلك يكذبون) »[٣].

---

(١) دلائل النبوة (١/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٢) جامع البيان (١/ ٤١١).

(٣) جامع البيان (١/ ٤١٢).

قال العلائي في "المراسيل": « الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير كان شعبة يُنكر أن يكونَ لقي ابن عباس، وروى عن يونس بن عبيد أنه قال: ما رأى ابن عباس قط.

وعن عبد الملك بن ميسرة أنه لم يلقه، إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير.

وروى شعبة عن مُشَاش أنه قال: سألت الضحاك لقيت ابن عباس؟ قال: لا.

وقال الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يسأل: الضحاك لقي ابن عباس؟ قال: ما عَلْمُت، وقيل له: فَمِمَّن سمع التفسير ؟ قال: يقولون: سمعه من سعيد بن جبير »[١].

و[٢] أما قوله تعالى: ﴿وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُون على الذينَ كَفَرُوا﴾ الآية، فكانت اليهود تقول للمشركين: سوف يبعث هذا النبي ونقاتلكم معه، فنقتلكم، لم يكونوا يقسمون على الله بذاته، ولا يسألون به، بل يقولون: اللهمَّ ابعث هذا النبي الأميّ لنتبعه ونَقْتُل هؤلاء معه.

هذا هو النقل الثابت عند أهل التفسير، وعليه يدل القرآن الكريم فإنه تعالى قال: ﴿وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُون﴾، والاستفتاح: الاستنصار، وهو طلب الفتح والنصر، فطلب الفتح والنصر به هو أن يُبعثَ فيقاتلون معه، فبهذا يُنصرون، ليس هو بإقسامهم به وسؤالهم به، إذ لو كان كذلك لكانوا

---

(١) جامع التحصيل (ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٢) من هنا بداية النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية من كتابه "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" (ص ٢٢٤ ـ ٢٣١).

إذا سَأَلوا أو أَقْسموا به نُصروا، ولم يكن الأمر كذلك، بل لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نصر الله مَن آمن به وجاهد معه على من خالفه.

وما ذكره بعض المفسرين من أنهم كانوا يُقْسمون به أو يسألون به، فهو نقل شاذ مخالف به للنقول الكثيرة المستفيضة المخالفة له، وقد ذكرنا طرفا من ذلك في «دلائل النبوة»، وفي كتاب « الاستغاثة الكبير ».

وكتب السيرة ودلائل النبوة والتفسير مشحونة بذلك.

قال أبو العالية وغيره: (كان اليهود إذا استنصروا بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نغلب المشركين ونَقْتُلَهم، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات: ﴿فلَمَّا جَاءَهم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به﴾ الآية)[١].

وروى محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن رجالٍ من قومه قالوا: (مما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله وهداه ـ ما كنا نسمعُ من رجال يهود وكُنَّا أهلَ شرك، وأصحابَ أوثان، وكانوا أهلَ كتاب، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شُرور، فإذا نِلْنَا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: قد تقارب زمانُ نبي يُبعث الآن، فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم، كثيرا ما كُنَّا نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله محمدا رسولا من عند الله أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات في البقرة:

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١/ ٤١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٢).

﴿ولَمَّا جَاءهم كتابٌ مِن عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ الآيات)[١].

ولم يذكر ابن أبي حاتم وغيره ممن جمع كلام مفسري السلف إلا هذا، وهذا لم يذكر فيه السؤال به أحد من السلف، بل ذكروا الإخبار به أو سؤال الله أن يبعثه.

فقد روى ابن أبي حاتم عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحون عَلَى الذينَ كَفَرُوا﴾، قال: (يستظهرون، يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، وليسوا كذلك يكذبون)[٢].

وروى معمر عن قتادة: (في قوله تعالى: ﴿وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحون عَلَى الذين كَفَرُوا﴾ قال: كانوا يقولون: إنه سيأتي نبي، ﴿فَلَمَّا جَاءَهم ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾)[٣].

وروى بإسناده عن ابن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد قال: أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعَثِه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبِشْر بن البراء بن مَعْرُور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى‌الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال سلاَّم بن مِشْكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام (١/ ٢١١)، وجامع البيان (١/ ٤١٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧٥).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١)، وانظر: جامع البيان (١/ ٤١٢).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١).

تعالى من قولهم: ﴿ولماَّ جاءَهم كِتَابٌ مِن عنْدِ اللهِ﴾ الآيات)[١].

وروى بإسناده عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: (كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي، الذي نجده مكتوبا عندنا، حتى نعذِّب المشركين ونَقْتُلَهم، فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه من غيرهم كفروا به، حسداً للعرب، وهو يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعالى: ﴿فلَمَّا جَاءَهم مَا عَرفُوا كفَروا بِه﴾)[٢].

وأما الحديث الذي يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (كانت يهود خيبر تقاتل غَطَفَان، فلما التقوا هُزِمت اليهود، فعاذت بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأميّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غَطَفَان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿وكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحون عَلَى الذين كَفَروا﴾ الآية)[٣].

وهذا الحديث رواه الحاكم في "مستدركه" وقال: أدّت الضرورة إلى إخراجه.

وهذا مما أنكره عليه العلماء، فإن عبد الملك بن هارون من أضعف الناس، وهو عند أهل العلم بالرجال متروك، بل كذّاب.

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٢)، وقد سبق قريبا.

(٢) المصدر السابق، وقد تقدم.

(٣) تقدم تخريجه.

وقد تقدم ما ذكره يحيى بن معين وغيره من الأئمة في حقه.

قلت: وهذا الحديث من جملتها[1]، وكذلك الحديث الآخر الذي يرويه عن أبي بكر كما تقدم في الأحاديث المرفوعة.

ومما يُبَيِّنُ ذلك أن قوله تعالى: ﴿وكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحون عَلَى الذين كَفَروا﴾ الآية، إنما نزلت باتفاق أهل التفسير والسير في اليهود المجاورين للمدينة أولاً، كبني قَيْنُقَاع وبني قُرَيْظَة والنَّضِير، وهم الذين كانوا يحالفون الأوس والخزرج، وهم الذين عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، ثم لما نقضوا العهد حاربهم، فحارب أولاً بني قينقاع، ثم النضير ـ وفيهم نزلت سورة الحشر ـ ثم قريظة عام الخندق.

فكيف يقال: نزلت في يهود خيبر وغطفان ؟ فإن هذا من كذاب جاهل لم يحسن كيف يكذب.

ومما يبين ذلك أيضا أنه ذكر فيه انتصار اليهود على غطفان لما دعوا بهذا الدعاء، وهذا مما لم ينقله أحد غير هذا الكذاب، ولو كان هذا مما وقع لكان مما تتوفر دواعي الصادقين على نقله.

ومما ينبغي أن يعلم أن مثل هذا اللفظ لو كان مما يقتضي السؤال به والإقسام به على الله تعالى لم يكن مثل هذا مما يجوز أن يعتمد عليه في الأحكام، لأنه:

ـ أولا لم يثبت.

ـ وليس في الآية ما يدل عليه.

ـ ولو ثبت لم يلزم أن يكون هذا شرعاً لنا.

---

(١) أي من جملة الأحاديث التي أُنكرت عليه.

فإن الله تعالى قد أخبر عن سجود إخوة يوسف وأبويه له، وأخبر عن الذين غَلَبُوا على أهل الكهف أنهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِمْ مَسْجِداً﴾[١]، ونحن «قد نهينا عن بناء المساجد على القبور»[٢].

ولفظ الآية إنما فيه: ﴿كَانُوا يَسْتَفْتِحون عَلَى الذين كَفَروا فَلَمَّا جَاءَهم ما عَرَفوا كَفَروا بِه﴾، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحوا فَقد جَاءَكُم الفَتْح﴾[٣]، والاستفتاح طلب الفتح، وهو النصر.

ومنه الحديث المأثور (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين)[٤].

أي يستنصر بهم أي بدعائهم، كما قال: « وهل تُرزقون وتُنصرون إلا بضعفائكم، بصلاتهم ودعائهم وإخلاصهم »[٥].

وهذا قد يكون بأن يطلبوا من الله تعالى أن ينصرهم بالنبي المبعوث في

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٠)، ومسلم (رقم ٢٢)، وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر مثل ما صنعوا).

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٩.

(٤) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٤٨)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٦٩ـ٢٧٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٣٠١)، من طريق أمية بن بن عبد الله بن خالد بن أسيد، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين). وإسناده ضعيف، أمية بن عبد الله بن خالد ليس له صحبة، كما قال ابن عبد البر وابن حجر، ولهذا قال ابن عبد البر: والحديث مرسل. (انظر: الاستيعاب (١/ ٦٤)، والإصابة لابن حجر (١/ ١٢٧)، وراجع التوسل للألباني ص١١٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٩٦).

آخر الزمان، بأن يُعَجِّل بَعْثَ ذلك النبي إليهم لينتصروا به عليهم، لا لأنهم أقسموا على الله وسألوا به، ولهذا قال تعالى: ﴿فلَمَا جَاءهُم ما عَرَفوا كَفَروا بِه﴾.

فلو لم تَرِدِ الآثارُ التي تدل على أن هذا معنى الآية، لم يَجُزْ لأحد أن يحمل الآية على ذلك المعنى المتنازع فيه بلا دليل، لأنه لا دلالة فيها عليه، فكيف وقد جاءت الآثار بذلك.

وأما ما تقدَّم ذكره عن اليهود من أنهم كانوا يُنصرون، فقد بينا أنه شاذ، وليس هو من الآثار المعروفة في هذا الباب، فإن اليهود لم يُعرف أنها غَلَبتِ العرب، بل كانوا مغلوبين معهم، وكانوا يحالفون العرب فيحالف كل فريق فريقا، كما كانت قريظة حُلَفاء الأوس، وكانت النضير حُلَفاء الخزرج.

وأما كون اليهود كانوا ينتصرون على العرب فهذا لا يعرف، بل المعروف خلافه، والله تعالى قد أخبرنا بما يدل على ذلك، فقال تعالى: ﴿ضُرِبَت عَلَيْهِم الذِّلَّةُ أَيْنما ثُقِفُوا إلا بِحَبْلٍ مِن اللهِ وحَبْلٍ مِن النَّاسِ﴾ [1]، لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على العرب ولا غيرهم، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام.

والذلة ضُرِبَتْ عليهم من حين بعث المسيح عليه السلام فكذَّبوه، قال تعالى: ﴿يا عيسى إنّي مُتَوَفّيك﴾ [2] الآية، وقال: ﴿يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللهِ كمَا قال عِيسى بنُ مَريَمَ للحَوارِيِّين﴾ إلى آخر السورة[3].

وكانوا قد قتلوا يحيى بن زكريا وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٣) سورة الصف الآية ١٤.

والسلام، قال تعالى: ﴿وضُرِبتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ وباءُوا بِغَضَبٍ مِن اللهِ ذلك بأنَّهم كَانُوا يَكْفُرُون بِآيَاتِ اللهِ ويَقْتُلونَ النَّبِيِّينَ بغَيرِ الحَقِّ ذلك بِمَا عَصَوا وكَانُوا يَعْتَدون﴾[1][2].

٢ـ الأثر الثاني:

" وأخرج الدارمي في "مسنده"[3] في باب ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته قال:

حدثنا أبو النعمان، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عمرو بن مالك النُّكْري، حدثنا أبو الجَوْزاء أوس بن عبد الله، قال: (قَحِطَ أهل المدينة قَحْطاً شديدا، فشكوا إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كُوىً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سَقْفٌ.

قال: ففعلوا، فَمُطِرْنا مطراً حتى نَبَتَ العُشْب، وسَمِنَت الإبل، حتى تَفَتَّقَت من الشَّحْم، فسُمِّيَ عام الفَتْق).

وقال علي بن محمد القاري في "شرح المشكاة"[4]: « قيل في سبب كشف قبره أنه صلى الله عليه وسلم كان يُستشفع به عند الجَدْب فتمطر السماء، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به، فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب ».

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٢) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٢٤ ـ ٢٣١).

(٣) سنن الدارمي (١/ ٤٣).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٤٨٨).

قال الغماري: "وإسناده لا بأس به، أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي البصري الملقب بعارم ثقة من رجال الصحيحين، وسعيد بن زيد هو أخو حماد بن زيد، قال ابن معين: ثقة.

وعمرو بن مالك النكري ثقة من رجال الأربعة، وأبو الجوزاء ثقة من رجال الستة"[١]. انتهى كلامه.

قلت: فيه أربع آفات:

١ـ أبو النعمان عارم، قد اختلط في آخر عمره[٢].

٢ـ أبو الجوزاء أوس بن عبد الله، قال البخاري: « في إسناده نظر، ويختلفون فيه»[٣].

قال الحافظ في "التهذيب": « إنما قاله عقب حديث رواه له في "التاريخ" من رواية عمرو بن مالك النكري، والنكري ضعيف عنده »[٤].

وقال الحافظ في "التهذيب" أيضا: « وقول البخاري: « في إسناده نظر » يريد أن أبا الجوزاء لم يسمع من عائشة وابن مسعود وغيرهما، لا أنه ضعيف عنده، وأحاديثه مستقيمة، وحديثه عند مسلم عن عائشة في الافتتاح بالتكبير.

وذكر ابن عبد البر في "التمهيد" أيضا أنه لم يسمع من عائشة »[٥].

قال الحافظ في "التقريب": « ثقة يرسل كثيرا »[٦].

---

(١) إتحاف الأذكياء (ص ١٠ ـ١١).

(٢) نص على اختلاطه البخاري وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم. (انظر: التاريخ الكبير (١/ ٢٠٨)، والجرح والتعديل (٨/ ٥٩)، وكتاب المجروحين (٢/ ٢٩٤).

(٣) التاريخ الكبير (٢/ ١٧)، وانظر: تهذيب الكمال (٣/ ٣٩٣).

(٤) تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٥).

(٥) المصدر السابق.

(٦) تقريب التهذيب (رقم ٥٧٧).

٣ـ وعمرو بن مالك النكري، « صدوق له أوهام »، قاله في "التقريب"[(١)].

قال ابن حبان: « يعتبر حديثه من غير رواية ابنه، يخطئ ويغرب»[(٢)].

٤ـ سعيد بن زيد، أخو حماد بن زيد « صدوق له أوهام »[(٣)].

وقال ابن حبان: « كان صدوقاً حافظاً ممن كان يخطئ في الأخبار ويهم في الآثار، حتى لا يحتج به إذا انفرد »[(٤)]. انتهى من "التقريب" وأصله.

٣ـ الأثر الثالث:

ذكر الغماري الحكاية التي ذكرها القاضي عياض في "الشفا" فيما جرى بين مالك وأبي جعفر المنصور، وقال بعد ذكرها بسندها ما نصه: "وقد زعم ابن تيمية على عادته في التسرع إلى الإطلاقات الكاذبة أن هذا الأثر مكذوب على الإمام مالك، وردّ عليه جماعة من العلماء مبينين خطأه وجهله، منهم عصريه السبكي في "شفاء السقام"، وكذا محمد بن عبد الباقي الزرقاني، قال في "شرح المواهب" ـ عَقِبَ نقلِ صاحبها عنه ما نقلناه ما لفظه: « هذا تَهَوُّرٌ عجيب؛ فإن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه "فضائل مالك" بإسناد لا بأس به.

وأخرجه القاضي عياض في "الشفا" من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه، فمن أين أنها كذب، وليس في إسنادها وضاع ولا كذاب».

وقال الخفاجي في "نسيم الرياض"[(٥)] ـ بعد تخريج عياض للأثر المذكور:

(١) المصدر السابق (رقم ٥١٠٤).

(٢) الثقات (٧/ ٢٢٨)، وانظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٩٦).

(٣) تقريب التهذيب (رقم ٢٣١٢).

(٤) كتاب المجروحين (١/ ٣٢٠).

(٥) نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض (٣/ ٣٩٨).

« وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من أن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به أحد، ولم يرو إلا في حكاية مفتراة على مالك، يعني هذه القصة التي أوردها المصنف، ولله دره حيث أوردها بسند صحيح، وذكر أنه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه، فقوله: إنها كذب مَحْضٌ مجازفة من تُرَّهاتِهِ »"[١].

هذا كله كلام الغُماري، وهو كلام رجل إمَّعة كل من يمشي معه، وإلا فهذه الحكاية من نظر في سندها جزم بأنها مفتراة وكذب، وهي كما يلي:

رواها القاضي عياض في "الشفا" عن غير واحد بإسناد غريب منقطع مظلم، فإليك سندها:

قال القاضي عياض في "الشفا"[٢]: « حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه، قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمرو بن دِلهاث، حدثنا أبو الحسن علي بن فِهْر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد، قال:

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لا تَرْفَعوا أَصْوَاتَكم فَوقَ صَوتِ النَّبي﴾[٣] الآية،

---

(١) إتحاف الأذكياء (ص ١١ـ١٢).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٤٠ ـ ٤١).
(٣) سورة الحجرات: الآية ٢.

ومدح قوما فقال: ﴿إِن الذينَ يَغُضُّون أَصْواتَهم عِنْد رَسول الله﴾[١] الآية، وذم قوما فقال: ﴿إِن الذينَ يُنَادونَك مِن وَراءِ الحُجُراتِ﴾[٢] الآية، وإن حرمته ميتا كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة، وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: ولِمَ تَصْرِفُ وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام، بل استقبله واستشفع فيه فيشفعه الله فيك».

هذه هي الحكاية المكذوبة مع سندها المظلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وهذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حُمَيد الرازي لم يُدْرِك مالكاً، لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفي ابن حُميد سنة ثمان وأربعين ومائتين، ولم يخرج من بلده في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه.

وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذبه أبو زرعة وابن وارة[٣].

وآخر من روى "الموطأ" عن مالك هو أبو مصعب الزبيري، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وآخر من روى عن مالك على الإطلاق أبو حذيفة أحمد بن إسماعيل السهمي، توفي سنة تسع وخمسين ومائتين.

وفي الإسناد المذكور أيضا من لا تعرف حاله »[٤].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٤.

(٣) انظر: كتاب المجروحين (٢/ ٣٠٤).

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٢٢ ـ ١٢٤).

قال ابن عبد الهادي في "الصارم المُنْكِي في الرد على السُّبْكِي"[(١)]:

«والمعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وهذه الحكاية التي ذكرها القاضي عياض، ورواها بإسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه... وإسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يُتهم بالكذب، وعلى من يُجهل حاله، وابن حُميد ضعيف كثير المناكير، غير محتج بروايته، ولم يسمع من مالك شيئا ولم يلقه، بل روايته عنه منقطعة غير متصلة.

قال إسحاق بن منصور: « أشهد على محمد بن حُميد، وعُبيد بن إسحاق العطَّار بين يدي الله أنهما كذابان »[(٢)].

وقال أبو زرعة: « كان يكذب »[(٣)].

وقال ابن حبان: « ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات، ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده »[(٤)].

فإذا كانت هذه حال ابن حميد عند أئمة هذا الشأن، فكيف يقول السبكي في حكاية روايتها منقطعة: « إسنادها جيد »، مع أن في طريقها إليه مَن ليس بمعروف.

وقد قال السبكي ـ بعد أن ذكرها وتكلم على رواتها: « فانظر هذه الحكاية وثقة رواتها وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك ». هكذا قال السبكي.

---

(١) الصارم المنكي (٢٥٥ ـ ٢٥٨).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٦٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) كتاب المجروحين (٢/ ٣٣).

والذي حمله هو ومقلّدوه على ارتكاب هذا السَّقْطَة قِلَّةُ علمه بهذا الشأن وارتكاب هواه.

والذي ينبغي أن يقال: فانظر إلى هذه الحكاية وضعفها، وانقطاعها، ونكارتها، وجهالة بعض رواتها، ونسبة بعضهم إلى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء ».

هذا كلام الحافظين الناقدين في هذه الحكاية المفتراة التي تدور بين متهم بالكذب وبين مجاهيل لا يمكن للغماري وغيره أن يعرفهم.

وأذكر هنا كلام الحُفَّاظ الآخرين الذي يؤيد كلام الحافظين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن عبد الهادي حول ابن حميد الرازي، فأقول:

إن ابن حميد الرازي ذكره برهان الدين الحلبي في "كشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث"، وقال: « قال صالحُ جَزَرَة: كنا نتهم ابن حميد في كل شيء يحدثنا به، ما رأيت أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض.

وقال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك الرازي يقول: دخلت على محمد ابن حميد، وهو يركب الأسانيد على المتون »[(١)].

وقال الذهبي في "الميزان": « قال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو أخذت الإسناد عن ابن حميد، فإن أحمد بن حنبل أحسن الثناء عليه، فقال: إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه لما أثنى عليه أصلاً.

وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني، وقد حدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين، وآخر أصحابه

---

(١) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث (ص ٣٦٧).

البغوي وابن جرير، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين »[١].

وذكره ابن عراق[٢] أيضا في الكذابين، وقال فيه كما قال البرهان وغيره.

وقال البخاري في الجزء الأول من "تاريخه الكبير": « محمد بن حميد أبو عبد الله الرازي، سمع يعقوب القُمِّي وجريرا، فيه نظر، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين »[٣].

وسُئل أبو عبد الله عن محمد بن حميد الرازي لماذا تكلم فيه ؟ فقال: لأنه أكثر على نفسه ».

وقال ابن أبي حاتم الرازي في "الجرح": « قال ابن معين: ابن حميد ثقة ليس به بأس رازي كيس، وهذه الأحاديث التي يحدث بها ليست هي من قِبَله، إنما هي من قِبَلِ الشيوخ الذين يحدث بها عنهم.

وقال أبو حاتم: سألني ابن معين عن ابن حميد من قَبلِ أن يَظهر منه ما ظهر، فقال: أي شيء تنقمون عليه ؟ فقلت: يكون في كتابه الشيء، فنقول: ليس هذا هكذا، إنما هو كذا وكذا، فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول. قال ابن معين: لبئس هذه الخصلة، قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القُمِّي، ففرقنا الأوراق بيننا ومعنا أحمد بن حنبل، فسمعناه ولم نر إلا خيرا »[٤].

هذا قبل أن يعرفه أحمد وابن معين، كما يدل عليه كلام ابن خزيمة الذي تقدم آنفاً.

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠ ـ٥٣١).

(٢) تنزيه الشريعة (١/ ١٠٤).

(٣) التاريخ الكبير (١/ ٦٩ـ٧٠).

(٤) الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٢).

٤ـ الأثر الرابع:

" قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستري، حدثنا الفضل بن الموفَّق أبو الجهم، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك...)الحديث[1].

ثم قال الغماري: ورواه أحمد عن يزيد بن هارون، والطبراني في "الدعاء" عن بشر بن موسى، عن عبد الله بن صالح العجلي، وابن خزيمة في "كتاب التوحيد" من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، ومن طريق أبي خالد الأحمر، وأبو نُعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكوفي، خمستهم عن فُضَيل بن مرزوق[2] به، فزال ما يخشى من ضعف الفضل بن موفَّق بمتابعة هؤلاء له.

ولم يبق إلا النظر في حال فضيل وشيخه.

فأما فُضَيل فثقة، كما قال ابن عيينة وابن معين وغيرهما، وروى له مسلم والأربعة، وأكبر ما عيب به تشيعه، وليس ذلك بعائبه على ما تقرر في هذا الشأن.

وأما عطية: فقال ابن سعد[3]: كان ثقة إن شاء الله، وقال الحافظ السيد

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (رقم ٧٧٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٨٥)، والطبراني في الدعاء (رقم ٤٢١)، من طريق فضيل بن مرزوق به نحوه.

(٢) انظر: نتائج الأفكار لابن حجر (١/ ٢٧١ـ٢٧٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٤).

محمد مرتضى الحسيني: هو صدوق في نفسه، حسَّن له الترمذي عدة أحاديث انفرد بها.

وقال الغماري: فهذا الحديث حسن، كما قال الحافظ العراقي في المغني.

هذا، وللحديث طريق آخر عن بلال رضي الله عنه، قال ابن السني في "عمل اليوم والليلة"[١]: « حدثنا ابن منيع، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي ابن ثابت الجَزَري، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله، عن بلال مؤذّن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحقّ السائلين عليك...) الحديث ».

ثم قال الغماري: ولم أجد في التوسل بهم ـ يعني الصالحين ـ حديثا أصرح من هذا الحديث، وغيره من الأحاديث ليس صريحا مثله.

ثم ذكر حديث الأبدال"[٢]. انتهى كلام الغماري.

قلت: هذا كله كلام الغماري حول الخبر الذي حاول أن يلبس به على العامة، موهما أنه وجد ضالته، وإلا ففي الخبر أمران لم يتناولهما الغماري؛ لأن تناوله لهما يَنْقُضُ عليه ما يريد من التلبيس:

أ ـ في سنده ضعيف وهو فضيل بن مرزوق.

قال الحافظ: « صدوق يَهِم، ورمي بالتشيع »[٣].

---

(١) عمل اليوم والليلة (رقم ٨٤)، وفي سنده الوازع بن نافع، وسيأتي الكلام عليه.

(٢) إتحاف الأذكياء (ص ١٣ ـ ١٤).

(٣) تقريب التهذيب (رقم ٥٤٣٧).

وقال ابن حبان: « منكر الحديث جداً، كان ممن يخطئ على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات »[١].

وقال الذهبي في "الميزان": « عطية أضعف من فُضَيْل بن مرزوق.

وقال أبو عبد الله الحاكم: فضيل بن مرزوق ليس من شرط الصحيح، عيب على مسلم إخراجه في الصحيح.

وروى أحمد بن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف »[٢].

واختلف فيه قول ابن معين كما قال ابن شاهين في ثقاته[٣].

وقال أبو حاتم: « صدوق صالح الحديث، يهم كثيرا، يكتب حديثه، ولا يحتج به»[٤]. كذا في التهذيب.

وقال ابن عدي: إذا وافقه الثقات يحتج به[٥].

وفي روايته هذا الحديث لا يُعلم أحد تابعه إلا من لا يعتد بمتابعته.

ب ـ الفضل بن الموفق بن أبي المُتَّئِد الكوفي « فيه ضعف »، قاله في التقريب[٦].

وقال الذهبي في "الميزان": « ضعفه أبو حاتم »[٧].

---

(١) كتاب المجروحين (٢/ ٢٠٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٣) تاريخ أسماء الثقات (رقم ١١٢٢)، وانظر: ذكر من اختلف العلماء ونقاد الحديث فيه لابن شاهين (رقم ٣٤).

(٤) الجرح والتعديل (٧/ ٧٥).

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦٢) ولم نقف على هذا القول في الكامل.

(٦) تقريب التهذيب (رقم ٥٤٢٠).

(٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦٠).

وكذا في "الترغيب والترهيب" للمنذري و"الكاشف"[١] للذهبي و"التلخيص" للحافظ.

فإن قلت: قد وثّقه ابن حبان[٢] كما ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب".

قلت: لا اعتداد بتوثيق ابن حبان إذا تفرد به.

قال الذهبي في ترجمة عمارة بن حديد:

« ولا يفرح بذكر ابن حبان له في الثقات، فإن قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرفه »[٣].

ونص الحافظ في "التهذيب"[٤]: « قال أبو حاتم[٥]: كان شيخا صالحاً، ضعيف الحديث، وكان قرابةً لابن عيينة.

له عند ابن ماجه حديث أبي سعيد في القول إذا خرج إلى الصلاة».

جـ ـ عطية بن سعد العوفي « صدوق يُخْطِئ كثيرا، كان شيعيا مدلسا »، قاله في التقريب[٦].

وقال الإمام أحمد: « بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي، فيأخذ عنه التفسير، كان يكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد، يعني يوهم أنه الخدري، فهذا تدليس أي تدليس»[٧].

---

(١) الكاشف (رقم ٣٨٢٠).
(٢) كتاب الثقات (٩/ ٦).
(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ١٧٥).
(٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٨٨).
(٥) الجرح والتعديل (٧/ ٦٨).
(٦) تقرب التهذيب (رقم ٤٦١٦).
(٧) انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١٤٧).

قال في "توضيح الأفكار": « فإن صادف شهرة راو ثقة يمكن أخذ ذلك الراوي عنه، فمفسدته أشد، كما وقع لعطية العوفي في تكنية محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد، فكان إذا حدث عنه يقول: حدثني أبو سعيد، فيوهم أنه أبو سعيد الخدري، لأن عطية كان قد لقيه وروى عنه، وهذا أشد ما بلغنا من مفسدة تدليس الشيوخ »(١).

وقد اجتمع في عطية من وجوه الضعف ثلاثة: تدليس، وعدم الضبط،وكثرة الخطأ، كما صرح بذلك الحافظان ابن القيم في "الهدي"(٢) والحافظ ابن حجر في "التقريب"(٣)، و"طبقات المدلسين"(٤).

فعلى كل حال فالذين جرحوا عطية أكثر ممن وثقه، ومن المعلوم أن الجرح المبين مقدم على التعديل، فالذين جرحوه خمسة عشر من النقاد:

١ـ أبو حاتم(٥).

٢ـ وسالم المرادي(٦).

٣ـ وأحمد(٧).

٤ـ وهشيم(٨).

---

(١) توضيح الأفكار (١/ ٣٧٢).

(٢) زاد المعاد (٥/ ٦٢٧).

(٣) تقدم قريبا.

(٤) تعريف أهل التقديس (ص ١٣٠).

(٥) الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٣).

(٦) انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٧٩).

(٧) تهذيب الكمال (٢٠/ ١٤٧).

(٨) الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٣)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٤٧).

٥ـ ويحيى[1].

٦ـ والنسائي[2].

٧ـ والبيهقي[3].

٨ـ والثوري[4].

٩ـ وابن عدي[5].

١٠ـ وعبد الحق الإشبيلي[6].

١١ـ والذهبي[7].

١٢ـ والمنذري.

١٣ـ والحافظ ابن القيم[8].

١٤ـ والحافظ ابن حجر[9].

١٥ـ والدارقطني[10].

وأما الموَثِّقُون، فمنهم ابن معين على قول، والترمذي.

---

(١) الكامل (٥/ ٢٠٠٧).

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين (رقم ٥٠٥).

(٣) السنن الكبرى (٧/ ٣٦٩).

(٤) الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٣)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٤٧).

(٥) الكامل (٥/ ٢٠٠٧).

(٦) بيان الوهم والإيهام لابن القطان (١/ ٥٨٧).

(٧) الكاشف (رقم ٣٨٢٠).

(٨) زاد المعاد (٥/ ٦٢٧).

(٩) تقريب التهذيب (رقم ٤٦١٦).

(١٠) العلل (١١/ ٢٩١).

فابن معين قال فيه: صالح، كما في "الميزان"[١].

وهذه اللفظة في المرتبة السادسة من مراتب التوثيق، فهي توثيق لين، وحكمه أن يكتب حديثه للاعتبار، فهذا التوثيق لا ينافي القول بالضعف.

وأما الترمذي فلم يصرح بتوثيقه، نعم حسَّن له غيرَ حديث، وتحسينُه لا يدل على أن عطية ممن يحتج بحديثه في كل موضع، فإنه ربما يحسن الحديث لمجيئه من طريق أخرى، ولاحتمال أن يكون التحسين في موضع قد ثبت عند الترمذي تصريح عطية بالتحديث فيه، فإن عطية مدلس كما تقدم، وحديث المدلس إنما يقبل إذا صرح بالتحديث، على أن الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين، ولذا لم يعتمد العلماء عليه في هذا الباب، وردوا على تصحيحه وتحسينه في غير موضع.

فإن قلت: إن الحافظ ابن حجر قال في "تخريج الأذكار للنووي": «وفي كتاب "الصلاة" لأبي نعيم عن فُضَيل، عن عطية قال: حدثني أبو سعيد، فذكره، لكن لم يرفعه، وقد أَمِن بذلك تدليس عطية العوفي»[٢].

فالجواب: أنه لا يحصل الأمن من تدليس عطية بهذا، فإن عطية تقدم أنه يُكَنِّي محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد، فكان إذا حدث عنه يقول: حدثني أبو سعيد، فيوهم أنه أبو سعيد الخدري[٣].

والأشبه أن هذا الحديث موقوف.

قال الذهبي في "الميزان"[٤] في ترجمة عبد الله بن صالح العجلي الكوفي:

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٨٠).

(٢) نتائج الأفكار (١/ ٢٧٣).

(٣) انظر: كتاب المجروحين (٢/ ١٧٦).

(٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٤٧).

« وله عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم بحقّ السائلين عليك...) الحديث.

قال: خالفه أبو نُعيم، ورواه عن فُضيل فما رفعه[(١)].

قال أبو حاتم[(٢)]: وقفه أشبه ».

والموقوف ليس بحجة عند المحققين[(٣)].

وقد صدَّر المنذري[(٤)] هذا الحديث في باب الترغيب في المشي إلى المساجد بلفظ: «رُوِي »، وأهمل الكلام عليه في آخره، وهذا عنده دلالة للإسناد الضعيف، كما قال في ديباجة الكتاب[(٥)].

وصرح النووي في "الأذكار"[(٦)] بضعفه.

فبطل قول الغماري أنه بسند صحيح.

وهذا كله مع أن الحديث خارج عن الموضوع، لأن الغماري ساقه مستدلا به على التوسل بالذوات، فليس في هذا الحديث توسل بالذوات، بل هو توسل بحقّ تفضَّل الله به على من سأله ودعاه وحده، وهو الإجابة في قوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[(٧)].

---

(١) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢١١)، من طريق وكيع عن فضيل عن عطية عن أبي سعيد موقوفا عليه.

(٢) علل الحديث (٢/ ١٨٤).

(٣) هذا إن صح، فكيف وسنده لاتقوم به حجة كما تقدم بيانه.

(٤) الترغيب والترهيب (١/ ٢١٥).

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٧).

(٦) الأذكار (ص٨٣).

(٧) سورة غافر: الآية ٦٠.

وأما الشاهد[١] الذي فرح به الغماري، فهو من رواية الوازع بن نافع العقيلي:

قال فيه ابن معين: « ليس بثقة »[٢].

وقال البخاري: « منكر الحديث »[٣].

وقال النسائي: « متروك »[٤].

وقال أحمد: « ليس بثقة ». قاله في الميزان[٥].

٥ـ الأثر الخامس:

حدثنا إبراهيم بن علي الباهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح السمان عن مالك قال: (أصاب الناسَ قَحْطٌ في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، استسق الله لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: ائت عمر، فأقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم يُسقون، وقل له: عليك بالكَيْس الكَيِس، فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه)[٦].

---

(١) يشير إلى حديث بلال المتقدم.

(٢) تاريخ الدوري (٢/ ٦٢٧).

(٣) التاريخ الكبير (٨/ ١٨٣).

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين (رقم ٦٣٠).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢٧).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٣١ـ٣٢)، والخليلي في الإرشاد (١/ ٣١٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧)، من طريق أبي صالح عن مالك الدار.

وقال الخليلي: ومالك الدار مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تابعي قديم، متفق =

قال الحافظ[١]: إسناده صحيح.

وأخرجه البيهقي في "الدلائل" بإسناد صحيح.

وقال الحافظ في "الفتح"[٢]: وقد روى سيف في "الفتوح" أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة "[٣]. انتهى كلام الغماري.

قلت: في هذا الأثر مالك بن عياض الداري، ذكره البخاري في "التاريخ"[٤] وسكت عنه.

وكذلك ابن أبي حاتم ذكره في "الجرح والتعديل" بما نصه: « مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب، روى عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وروى عنه أبو صالح السمان، سمعت أبي يقول ذلك »[٥]، وسكت عنه أيضا[٦].

وكل من سكت عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل فهو مجهول.

عليه، أثنى عليه التابعون، وليس بكثير الرواية، روى عن أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما، وقد انتسب ولده إلى جُبْلان ناحية، حدثنا محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي أبو بكر النيسابوري، حدثنا عبد الله بن محمد بن الحسن الشرقي، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، قال: قلت لعلي بن عثام العامري الكوفي: لِمَ سمي مالك الدار؟ قال: الداري المتطبب.

نقله الشيخ الوالد بخطه في حاشية نسخته المطبوعة.

(١) فتح الباري (٢/ ٤٩٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٩٥ـ ٤٩٦).

(٣) إتحاف الأذكياء (ص ١٠).

(٤) التاريخ الكبير (٧/ ٣٠٤).

(٥) الجرح والتعديل (٨/ ٢١٣).

(٦) وقال الخليلي: ويقال إن أبا صالح سمع من مالك الدار هذا الحديث، والباقون أرسلوه عنه. (الإرشاد ١/ ٣١٦).

فإنه قال في "الجرح والتعديل" ما نصه: « وَقَصَدْنا بحكاياتنا الجرح والتعديل في كتابنا هنا إلى العارفين به، العالمين له، متأخراً بعد متقدم، إلى أن انتهت بنا الحكاية إلى أبي، وأبي زرعة رحمهما الله، ولم نحك عن قوم تكلموا في ذلك لقلة معرفتهم به، ونَسَبْنا كل حكاية إلى حاكيها، والجواب إلى صاحبه، ونظرنا في اختلاف أقوال الأئمة في المسئولين عنهم، فحذفنا تناقضَ قول كل واحد منهم، وألحقْنا بكل مسئول عنه ما لاق به وأشبهه من جوابهم، على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل، كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من رُوي عنه العلم؛ رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن مُلْحِقُوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى »[1]. انتهى.

وقد قال الأخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة": « وهذه القصة غير ثابتة، وقد أوهم المؤلف صحتها محرّفا لكلام بعض الأئمة، مقلداً في ذلك بعض ذوي الأهواء قبله»[2]، وقد وعد بتفصيل ذلك في رسالة له أفردها في هذا الموضوع[3].

وفي هذه القصة أيضا أن سيف بن عمر الضَّبِّي الأسدي المعروف، هو الذي روى في "فتوحه" أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث، فعُلم بهذا أن الأثر المذكور ليس فيه أن الجائي أحد الصحابة، بل الذي روى أن الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف، فإن سيفاً صاحب الفتوح الذي روى هذا الكلام الأخير:

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٣٨).

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٩٩).

(٣) انظر: التوسل للألباني (ص ١٣٠ فما بعدها).

قال فيه يحيى: « فُلَيْس خير منه »[١].

وقال أبو داود: « ليس بشيء »[٢].

وقال أبو حاتم: « متروك »[٣].

وقال ابن حبان: « اتهم بزندقة »[٤].

وقال ابن عدي: « عامة حديثه منكر »[٥].

هكذا في "الميزان"[٦] للذهبي.

وقال الحافظ في "التقريب": « ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان في القول فيه »[٧].

وقال الخزرجي في "الخلاصة": « ضعَّفوه »[٨].

وقال البرهان في "الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث": « سيف كالواقدي.

وقال مكحول البيروتي[٩]: سمعت جعفر بن أبان قال: سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبي تميمي، كان يقول: حدثني رجل من بني تميم، وكان سيف

---

(١) الكامل لابن عدي (٣/ ١٢١٧).

(٢) سؤالات الآجري(١/ ٢١٤).

(٣) الجرح والتعديل (٤/ ٢٧٨).

(٤) كتاب المجروحين (١/ ٣٥٤).

(٥) الكامل (٣/ ١٢٧٢).

(٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٥).

(٧) تقريب التهذيب (رقم٢٧٢٤).

(٨) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (١/ ٤٣٦).

(٩) المصدر السابق (ص ٢٠٥).

يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة »[١].

وقال ابن عراق في الكذابين: « سيف بن عمر متهم بالزندقة ووضع الحديث»[٢].

وقال الفتني في "قانون الضعفاء": « متروك، اتهم بالوضع والزندقة»[٣].

فعلى هذا فهذا الأثر كما قال الأخ الألباني غير ثابت، لا سيما وهو منام، والمنام لا تثبت به الأحكام الشرعية، إلا إذا كان من نبي.

وأما ما قاله ابن سعد في "الطبقات"[٤] من أن مالك الدار مولى عمر بن الخطاب معروف، فهذه الكلمة لا تفيد شيئا، لأنه ـ أعني ابن سعد ـ لم يذكر في ترجمته من روى عنه إلا أبا صالح السمان حيث قال ما نصه: « مالك الدار مولى عمر بن الخطاب، وقد انتموا إلى جبلان من حمير، وروى عنه أبو صالح السمان وكان معروفاً ».

فمن المعلوم أن المعروف هو الذي روى عنه اثنان فأكثر، وإلا فهو مجهول العين والحال معاً إذا لم يوثق، فحديثه في قسم الضعيف، إلا إذا وثقه غير من روى عنه، وكذلك إذا وثقه من روى عنه إذا كان أهلا لذلك على القول الأصح[٥].

٦ـ ومنها الأثر السادس:

" ما رواه الطبراني في "الكبير"، قال: حدثنا طاهر بن عيسى بن قريش (وفي نسخة قيرس) المصري المقري، حدثنا أصبغ بن الفرج، حدثنا ابن وهب

---

(١) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث (ص ٢٠٤).

(٢) تنزيه الشريعة (١/ ٦٦).

(٣) قانون الموضوعات والضعفاء (ص ٢٦٢).

(٤) الطبقات الكبرى (٥/ ١٢).

(٥) انظر: نزهة النظر لابن حجر (ص ٥٠).

ـ يعني عبدالله ـ عن أبي سعيد المكي ـ يعني شبيب بن سعيد، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخَطْمي المدني، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف، عن عمه عثمان بن حُنَيف: (أن رجلا كان يَختلِفُ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر إلى حاجته، فلقي ابن حُنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت المِيضَأة فتوضأ، ثم ائت المسجدَ فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك، فتقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأجلسه معه على الطِّنْفِسة فقال: حاجتك ؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حُنَيف فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أَوَ تصبر؟، فقال: يا رسول الله، فإنه ليس لي قائد، وقد شق عليّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط)[١].

---

(١) المعجم الكبير (٩/ ١٧ ـ ١٨ رقم ٨٣١١).

ورواه في "المعجم الصغير"[(١)] من هذا الطريق بهذا اللفظ.

ثم قال: « لم يروه عن روح بن القاسم إلا شَبيب بن سعيد أبو سعيد المكي، وهو ثقة، وهو الذي يروي عنه أحمد بن شَبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأَيْلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخَطْمي، واسمه عمير بن يزيد، وهو ثقة، تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة، والحديث صحيح »[(٢)].

وأقره على هذا التصحيح الحافظان المنذري[(٣)] ونور الدين الهيثمي[(٤)(٥)].

انتهى كلام الغماري.

قلت: في هذا الحديث آفتان:

- إحداهما: شَبيب بن سعيد التميمي الحبطي أبو سعيد البصري.

قال الذهبي في "الميزان"[(٦)] والحافظ في "التهذيب"[(٧)]: « قال ابن عدي: حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير، وقال: لعل شبيبا لما قدم مصر في تجارته، كتب عنه ابن وهب من حفظه فغلط ووهم، وأرجو أن لا يتعمد الكذب[(٨)].

وقال ابن المديني: ثقة، وكتابه كتاب صحيح ».

---

(١) المعجم الصغير (١/ ١٨٣ـ ١٨٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٨٤).

(٣) الترغيب والترهيب (١/ ٤٧٦).

(٤) مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٩).

(٥) إتحاف الأذكياء (ص ٨ ـ ١٠).

(٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٢).

(٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٠٧).

(٨) الكامل (٤/ ١٣٤٧).

وقال الحافظ في "التقريب": « شَبيب بن سعيد التميمي الحبطي أبو سعيد لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب »[(١)].

- والثانية: فيه أيضا طاهر بن عيسى بن قريش أو ابن قيرس، أستاذ الطبراني مجهول لا يعرف بالعدالة.

قال الشيخ سليمان صاحب كتاب "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد"[(٢)]: « قال الذهبي: " طاهر بن عيسى بن قيرس أبو الحسين المصري المؤدب عن سعيد بن أبي مريم ويحيى بن بكير وأصبغ بن الفرج، وعنه الطبراني، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين"[(٣)].

ولم يذكر فيه الذهبي جرحاً ولا تعديلا، فهو إذا مجهول الحال لا يجوز الاحتجاج بخبره لا سيما فيما يخالف نصوص الكتاب والسنة ».

و"[(٤)] قال الطبراني: « تفرد به عثمان بن عمر، عن شعبة ».

وهذا من الطبراني إخبار منه بمبلغ علمه، ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة، وذلك إسناد صحيح، يبين أن عثمان لم ينفرد به.

وطريق ابن وهب هذه تؤيد ما ذكره ابن عدي، فإنه لم يحرر لفظ الرواية كما حررها ابن شبيب، بل ذكر فيها أن الأعمى دعا بمثل ما ذكره عثمان بن حنيف في هذا الأثر، وليس كذلك، بل في حديث الأعمى أنه قال: (اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه، أو قال: في نفسي)، وهذه لم يذكرها ابن وهب في

---

(١) تقريب التهذيب (رقم ٢٧٥٤). وهذا الأثر من رواية ابن وهب عنه.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٢١١ـ٢١٢).

(٣) تاريخ الإسلام (ص ١٦٩، وفيات ٢٩١ ـ ٣٠٠).

(٤) من هنا بداية النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

روايته هذه، فَيُشْبِهُ أنه أن يكونَ حَدَّثَ ابنَ وهب به من حفظه، كما قال ابن عدي فلم يتقن الرواية.

قال ابن أبي خيثمة: وأبو جعفر ـ الذي حدث عنه حماد بن سلمة في حديث الأعمى ـ اسمه عمير بن يزيد، وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة.

ثم ذكر الحديث من طريق عثمان بن عمر عن شعبة، وهذه الطريق فيها: (فشَفِّعني في نفسي)، مثل طريق روح بن القاسم، وفيها زيادة أخرى وهي قوله: (وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك)، أو قال: (فعل مثل ذلك).

وهذه قد يقال: إنها توافق قول عثمان بن حُنَيف، لكنَّ شعبةَ وروحَ بن القاسم أحفظُ من حماد بن سلمة، واختلاف الألفاظ يدل على أن مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنى.

وقوله:(وإن كانت حاجة فعل مثل ذلك) قد يكون مدرجا من كلام عثمان لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يقل: (وإن كانت لك حاجة فعلت مثل ذلك)، بل قال: (وإن كانت حاجة فعل ذلك).

وبالجملة فهذه الزيادة لو كانت ثابتة لم تكن فيها حجة، وإنما غايتها أن يكون عثمان بن حُنيف ظن أن الدعاء يُدعى ببعضه دون بعض، فإنه لم يأمره بالدعاء المشروع، بل ببعضه، وظن أن هذا مشروع بعد موته صلى الله عليه وسلم ـ على فرض صحة هذا الأثر ـ.

ولفظ الحديث المعروف يناقض ذلك، فإن في الحديث أن الأعمى سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له، وأنه عَلَّم الأعمى أن يدعو، وأمره في الدعاء أن يقول: (اللهم فشَفِّعْه فيّ)، وإنما يدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي

صلى الله عليه وسلم داعيا شافعاً له، بخلاف مَن لم يكن كذلك، فهذا يناسب شفاعته، ودعاءه للناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم.

وفيه أيضا أنه قال: (وشفعني فيه).

وليس المراد أن يشفع للنبي صلى الله عليه وسلم في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كنا مأمورين بالصلاة والسلام عليه، وأمرنا أن نسأل الله له الوسيلة.

فسؤال الأمة له الوسيلة هو دعاء له صلى الله عليه وسلم، وهو معنى الشفاعة، ولهذا كان الجزاء من جنس العمل، فمن صلى عليه، صلى عليه الله، ومن سأل الله له الوسيلة المتضمنة لشفاعته، شفع له صلى الله عليه وسلم، كذلك الأعمى سأل منه الشفاعة فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة، وهو كالشفاعة في الشفاعة، فلهذا قال: (اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه).

وذلك أن قبول دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذا من كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه، ولهذا عُدّ من آياته ودلائل نبوته، فهو كشفاعته يوم القيامة في الخلق، ولهذا أمر الأعمى أن يقول: (فشفعه فيّ وشفعني فيه) بخلاف قوله: (وشفعني في نفسي)، فإن هذا اللفظ لم يروه أحد إلا من هذا الطريق الغريب.

وأما قوله: (وشفعني فيه)، فإنه رواه عن شعبة رجلان جليلان عثمان بن عمرو وروح بن عبادة، وشعبة أجل من روى حديث الأعمى.

ومن طريق عثمان بن عمرو، عن شعبة رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه[1].

---

(١) انظر: جامع الترمذي (رقم ٣٥٧٨)، سنن ابن ماجه (رقم ١٣٨٥)، عمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ٦٥٨، ٦٥٩).

ورواه الإمام أحمد في "المسند"[1] عن روح بن عبادة عن شعبة.

فكان هؤلاء أحفظ للحديث.

مع أن قوله: (وشفعني فيه) إن كان محفوظا مثل ما ذكرناه وهو أنه طلب أن يكون شفيعا لنفسه، مع دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولو لم يدع له النبي صلى الله عليه وسلم كان سائلا مجردا كسائر السائلين.

ولا يُسمى مثل هذا شفاعة، وإنما تكون الشفاعة إذا كان هناك اثنانِ يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفّع غيره.

فهذه الزيادة فيها عدة علل:

- أولا: انفراد راويها بها عمن هو أكبر وأحفظ منه.

- ثانيا: إعراض أهل السنن عنها.

- ثالثا: اضطراب لفظها.

- رابعا: أن راويها عُرِفَ له عن روح أحاديثُ مُنْكرة.

ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة، فلا حُجة فيها، إذ الاعتبار بما رواه الصحابي، لا بما فهمه، إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل على ما فهمه بل على خلافه.

ومن المعلوم أن الواحد بعد موته صلى الله عليه وسلم إذا قال: (اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه) مع أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع له ـ كان هذا كلاما باطلا، مع أن عثمان بن حُنيف لم يأمر صاحب الحاجة أن يسأل

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد (٤/ ١٣٨).

النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا، ولا أن يقول: (فشفعه فيّ) ولم يأمره بالدعاء المأثور عل وجهه، وإنما أمره ببعضه وليس هناك من النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة، ولا ما يظنّ أنه شفاعة، فلو قال بعد موته: (فشفعه فيّ) لكان كلاماً لا معنى له، ولهذا لم يأمر به عثمان صاحب الحاجة، كما أنه لم يأمره بالدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل الذي أمره به ليس مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومثل هذا لا تثبت به شريعة، كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في جنس العبادات، أو الإباحات، أو الإيجابات، أو التحريمات، إذا لم يُوَافِقْه غيرُه من الصحابة عليه، وكان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم يخالفه لا يوافقه، لم يكن فعل ذلك الصحابي سنةً يجب على المسلمين اتباعُها، بل غايته أن يكون مما يسوغ فيه الاجتهاد، ومما تنازعت فيه الأمة، فيجب رده إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم.

ولهذا نظائر كثيرة مثل: ما كان ابن عمر يدخل الماء في عينيه في الوضوء[١]، ويأخذ لأذنيه ماء جديدا[٢].

وكان أبو هريرة يغسل يديه إلى العضد في الوضوء، ويقول: من استطاع أن يطيل غرته فليفعل، وروي عنه أنه كان يمسح عنقه ويقول: هو موضع الغُلّ.

فإن هذا وإن استحبه طائفة من العلماء اتباعا لهما، فقد خالفهما في ذلك آخرون، وقالوا: سائر الصحابة لم يكونوا يتوضؤون هكذا، والوضوء الثابت

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (١/ ١٧٧).
(٢) السنن الكبرى (١/ ٦٥).

عنه صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين وغيرهما من غير وجه ليس فيه أخذ ماء جديد للأذنين، ولا غسل ما زاد على المرفقين والكعبين، ولا مسح العُنُق، ولا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من استطاع أن يطيل غرته فليفعل)، بل هذا من كلام أبي هريرة جاء مدرجا في بعض الأحاديث، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنّكم تأتون يوم القيامة غراً مُحَجَّلين من آثار الوضوء»[(١)].

وكان صلى الله عليه وسلم يتوضأ حتى يشرع في العضد والساق، قال أبو هريرة: (من استطاع أن يطيل غرته فليفعل).

وظن مَن ظن أن غسل العضد من إطالة الغُرَّة، وهذا لا معنى له، فإن الغُرَّة في الوجه لا في اليد والرجل، وإنما في اليد والرجل الحَجَلة، والغُرَّةَ لا يمكن إطالتها، فإن الوجه يغسل كله لا يغسل الرأس، ولا غرة في الرأس، والحجلة لا يستحب إطالتها وإطالتها مُثْلَة.

وكذلك ابن عمر كان يتحرى أن يسير مواضع سير النبي صلى الله عليه وسلم، وينزل مواضع منزله، ويتوضأ في السفر حيث رآه يتوضأ، ويصب فضل مائه على شجرة صب عليها، ونحو ذلك مما استحبه طائفة من العلماء، ورأوه مستحبا ولم يستحب ذلك جمهور العلماء، كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل وغيرهم، ولم يفعلوا مثل ما فعل ابن عمر، ولو رأوه مستحبا لفعلوه كما كانوا يتحرون متابعته والاقتداء به.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ١٣٦)، ومسلم في صحيحه (رقم ٢٤٦) وغيرهما.

وذلك لأن المتابعة أن يُفعل مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلاً على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يلتمس الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة خلف أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما.

وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده مثل أن ينزل بمكانٍ ويصلي فيه، لكونه نزله لا قصداً لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه، فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين، بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب.

كما ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة، عن سليمان التيمي، عن المَعْرُور بنِ سُوَيد قال: (كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة، ثم أتى على مكان، فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم، فاتخذوها كنائسَ وبِيعًا، فمن عَرَضَتْ له الصلاةُ فليصلِّ، وإلا فليمضِ)[1].

---

(١) انظر البدع والنهي عنها لابن وضاح (رقم ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥)، ومصنف عبد الرزاق (٢/ ١١٨ـ١١٩).

وقد جاء عن ابن عمر ما يوافقه: ففي صحيح البخاري (رقم ٢٩٥٨)، عن نافع عن ابن عمر قال: (رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله)، أي خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله لئلا يفتتن بها بعض الناس. انظر (فتح الباري ٦/ ١١٨).

فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه، بل صلى فيه لأنه موضع نزوله، رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب، التي هلكوا بها، ونَهَى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصورة، ومتشبه باليهود والنصارى بالقصد الذي هو عمل القلب.

وهذا هو الأصل فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل.

ولهذا لما اشتبهت على كثير من العلماء جلسة الاستراحة: هل فَعَلَهَا استحبابا أو لحاجة عارضة؟ تنازعوا فيها.

وكذلك نزوله بالمُحَصَّب عند الخروج من منى، لما اشتبه عليهم هل فعله، لأنه كان أسمح بخروجه أو لكونه سنة ؟ تنازعوا في ذلك.

ومن هذا وضعُ ابن عمر يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وتعريفُ ابن عباس بالبصرة[١]، وعمرو بن حريث بالكوفة، فإن هذا لما لم يكن يفعله سائر الصحابة، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شرعه لأمته، ممالم يمكن أن يقال: هذا سنة مستحبة.

بل غايته أن يقال: هذا مما ساغ فيه اجتهاد الصحابة، أو مما لا يُنكر على فاعله، لأنه مما يسوغ فيه الاجتهاد، لا لأنه سنة مستحبة سنها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.

---

(١) انظر: مصنف عبد الرزاق (٤/٣٧٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٥/١١٧ـ ١١٨)، والتعريف اجتماع الناس يوم عرفة في المساجد والدعاء بها أو تخصيص قراءة القرآن في ذلك اليوم.

أو يقال في التعريف: إنه لا بأس به أحياناً لعارض إذا لم يجعل سنة راتبة، هكذا يقول أئمة العلم في هذا وأمثاله، تارة يكرهونه، وتارة يسوغون فيه الاجتهاد، وتارة يرخصون فيه إذا لم يتخذ سنة، ولا يقول عالم بالسنة أن هذه سنة مشروعة للمسلمين.

فإن ذلك إنما يقال فيما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ ليس لغيره أن يسن ولا أن يُشَرِّع، وما سَنَّهُ خلفاؤُه الراشدون فإنما سَنُّوه بأمره، فهو من سنته، ولا يكون في الدين واجباً إلا ما أوجبه، ولا حراماً إلا ما حرمه، ولا مستحباً إلا ما استحبه، ولا مكروهاً إلا ما كرهه، ولا مباحاً إلا ما أباحه.

وهكذا في الإباحات كما استباح أبو طلحة أكل البَرَدِ وهو صائم(١).

واستباح حذيفة السحور بعد ظهور الضوء المنتشر، إلا أن الشمس لم تَطْلُعْ، وغيرهما من الصحابة لم يقل بذلك، فوجب الرد إلى الكتاب والسنة.

وكذلك الكراهة والتحريم مثل كراهة عمر وابنه للطيب قبل الطواف بالبيت(٢).

وكراهة من كره من الصحابة فَسْخَ الحجِّ إلى التمتع، أو التمتع مطلقا(٣)، أو رأى تقدير مسافة القصر بحدٍّ حدّه، وأنه لا يقصر بدون ذلك(٤)، أو رأى

(١) مسند أحمد (٣/ ٢٧٩).

(٢) انظر: موطأ مالك (رقم ٩٥٨)، وصحيح البخاري (رقم ٢٧٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم (رقم ١٢١٧، ١٢٢١).

(٤) انظر: الموطأ (١/ ١٤٧ـ١٤٨)، ومصنف عبد الرزاق (٢/ ٥٢٤ ـ٥٣٢)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٣ـ٤٤٦).

أنه ليس للمسافر أن يصوم في السفر[١].

ومن ذلك قول سلمان: إن الرِّيق نَجِسٌ[٢].

وقول ابن عمر أن الكتابيَّةَ لا يجوز نِكَاحُها[٣].

وتوريث معاذ ومعاوية للمسلم من الكافر[٤].

ومنع عمر وابن مسعود للجُنُبِ أن يتيمم[٥].

وقول علي وزيد وابن عمر في المفوِّضة أنه لا مهر لها إذا مات الزوج[٦].

وقول علي وابن عباس في المتوفَّى عنها الحامل أنها تَعْتَدُّ إلى أبعد الأجلين[٧].

وقول ابن عمر وغيره: لا يجوز الاشتراط في الحج[٨].

وقول ابن عباس وغيره في المتوفى عنها ليس عليها لزومُ المنزل[٩].

وقول عمر وابن مسعود أن المبتوتة لها السكنى والنفقة[١٠].

وأمثال ذلك مما تنازع فيه الصحابة، فإنه يجب الرد إلى الله والرسول، ونظائرها كثيرة.

---

(١) انظر: الموطأ (١/ ٢٩٥)، ومصنف عبد الرزاق (٤/ ٢٧٠).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١/ ١٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ١٥٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٣٧١ـ٣٧٤).

(٥) انظر: صحيح البخاري (رقم ٣٤٧).

(٦) مصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٩٢ـ٢٩٥).

(٧) انظر: صحيح البخاري (رقم ٤٩٠٩).

(٨) انظر: جامع الترمذي (٣/ ٢٧٩)، وتحفة الأحوذي (٤/ ١١).

(٩) مصنف عبد الرزاق (٧/ ٢٩ـ٣٠).

(١٠) انظر المسألة في: زاد المعاد (٥/ ٥٢٢ ـ ٥٤٢)، وفتح الباري (٩/ ٤٧٧ ـ ٤٨١).

فلا يكون شريعة للأمة إلا ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن قال من العلماء: إن قول الصحابي حُجَّة، فإنما قاله إذا لم يُخَالِفْه غيرُهُ من الصحابة، ولا عُرِفَ نَصٌّ يُخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه كان إقرارا على القول، فقد يقال: هذا إجماع إقراري، إذا عُرِف أنهم أَقَرُّوه، ولم ينكره أحد منهم، وهم لا يُقِرُّون على باطل.

وأما إذا لم يشتهر فهذا إن عُرِفَ أن غيره لم يخالفه فقد يقال: حجة.

وأما إذا عُرِفَ أن غيره خالفه فليس بحجة بالاتفاق.

وأما إذا لم يُعْرَف هل وافقه غيره أو خالفه لم يجزم بأحدهما، ومتى كانت السنة تدل على خلافه، كانت الحجة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فيما يخالفها بلا ريب عند أهل العلم.

وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حُنَيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يُتَوَسَّل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم داعيا له، ولا شافعاً فيه، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعا بعد مماته، كما كان يُشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به.

بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت، باتفاق أهل العلم، بمَحْضَرٍ من المهاجرين والأنصار عام الرَّمَادة المشهور، لما اشتد بهم الجَدْبُ، حتى حلف عمر لا يأكل معهم حتى يُخْصِبَ النَّاس، لما استسقى بالناس، قال:

(اللهم إنا كنَّا إذا أجدَبْنَا نَتوسل إليك بنَبيِّنا فتسقِينَا، وإنَّا نتوسلُ إليك بعمِّ نبينا فاسقنا، فيُسقون)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ١٠١٠).

وهذا دعاء أقرَّه عليه جميع الصحابة، ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية.

ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس(١).

فلو كان توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته كتوسلهم به في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس، ويزيد بن الأسود ونحوهما، ونَعْدِلُ عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الخلائق، وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟!!

فلَمَّا لم يقلْ ذلك أحد منهم، وقد عُلم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره، وشفاعة غيره، عُلِمَ أنَّ المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته.

وحديث الأعمى حجة لِعُمَر، وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء: (اللهم شفعه فيّ).

وإذا قُدِّرَ أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته، ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضه، وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المخالف لعمر محجوجا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الحديثُ الذي رواه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حجة عليه لا له.

وأما القسم الثالث: مما يُسمى توسلاً، فلا يقدر أحدٌ أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يَحتج به أهلُ العلم، وهو الإقسام على الله

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤)، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي (رقم ١٧٠٢، ١٧٠٣).

عز وجل بالأنبياء والصالحين، أوالسؤال بأنفسهم، فإنه لا يقدر أحدٌ أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ثابتاً، لا في الإقسام أو السؤال به، ولا في الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين، وإن كان في العلماء من سوَّغَه فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه، فتكون مسألة نزاع، فيُرَدُّ ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويُبْدِي كلُّ واحدٍ حُجَّته، كما في سائر مسائل النزاع، وليس هذا من مسائل العقوبات بإجماع المسلمين، بل المعاقب على ذلك معتدٍ جاهل ظالم، فإن القائل بهذا قد قال ما قالت العلماء، والمنكر عليه ليس معه نقل يجب اتباعه، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة»[1].

وإتماماً للفائدة نختم هذه الرسالة بما ذكره ابن كثير في تفسيره وغيره عند قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واستغفرَ لَهُمُ الرسولُ لَوَجَدوا اللهَ تَواباً رَحيماً﴾[2] الآية.

قال ابن كثير ما نصه: « ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العُتْبي قال: (كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعتُ الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا﴾ الآية، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشد يقول:

يا خيرَ من دُفِنتْ بالقاع أعظمُه ... فطاب من طيبهن القاعُ والأكمُ
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٩٥ ـ ٢١٢).
(٢) سورة النساء: الآية ٦٤.

أنت الرسولُ الذي تُرجى شفاعتُهُ عند الصراطِ إذا ما زلتِ القَدَمُ
لولاكَ ما خُلِقتْ شمسٌ ولا قمرٌ ولانجومٌ ولا لوحُ ولا قلمُ
صلى عليك إلــهُ الدهرِ أجْمعـهُ فأنت أكـرمُ مـن دانـت لـه الأُمـمُ

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عُتبيُّ، الحق الأعرابيَّ فبشرْه أن الله قد غفر له) »[(١)].

فهذه القصة الباطلة أخرجها ابن النجار في "الدرة الثمينة في تاريخ المدينة"[(٢)] بالسند التالي، قال:

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الحسن في كتابه، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد، أخبرنا أحمد بن نصير، أخبرنا محمد بن القاسم، سمعتُ علي بن غالب الصُّوفي يقول: سمعتُ إبراهيم بن محمد المزكي يقول: سمعتُ أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمد، عن ابن فُضَيل النحوي، عن محمد بن روح، عن محمد بن حرب الهلالي، قال: (حَجَّ أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته، فَعَقَلَها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر)، وذكر القصة بتمامها.

فهذه الحكاية ذكرها أيضا بعض الفقهاء والمحدثين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العُتْبي، وقد رُويت عن غيره بإسناد مظلم، وبعض العلماء يرويها عن العتبي بلا إسناد، كما في تفسير ابن كثير عند الآية المتقدمة الذكر آنفا.

وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد ابن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٦)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٦٦ـ٧٦٧).
(٢) الدرة الثمينة (ص ١٤٧).

"شعب الإيمان"[(١)] بإسناد مظلم أيضا عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي.

وقد وضع لها بعض الكذابين إسناداً آخر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

روى أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكَرْخي، عن علي بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي، قال: حدثني أبي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن علي رضي الله عنه، فذكر هذه الحكاية.

فهذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض.

والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم إن كان ابن عدي الطائي فهو متروك كذاب، وإلا فهو مجهول، وقد ولد له الهيثم بن عدي بالكوفة، ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل، فيما قيل، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها، قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: « الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة، كان يكذب »[(٢)].

وقال العجلي وأبو داود: « كذّاب »[(٣)].

وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: « متروك الحديث»[(٤)].

---

(١) شعب الإيمان (رقم ٣٨٨٠).

(٢) تاريخ الدوري (٢/ ٦٢٦).

(٣) سؤالات الآجري (رقم ١٩٦٠)، وتاريخ بغداد (١٤/ ٥٢)، ولسان الميزان (٦/ ٢١٠).

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (رقم ٦٣٧)، والجرح والتعديل (٩/ ٥٨)، وكتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ١٧٩).

وقال السعدي: « ساقطٌ قد كَشَفَ قِناعَه »[١].

وقال أبو زرعة: « ليس بشيء »[٢].

وقال البخاري: « سكتوا عنه »[٣]، أي تركوه.

وقال ابن عدي: « ما أقل ما له من المسند، وإنما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار »[٤].

وقال ابن حبان: « كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعة، يَسْبِقُ إلى القلب أنه كان يدلسها »[٥].

وقال الحاكم أبو أحمد الكبير: « هو ذاهب الحديث ».

وقال الحاكم أبو عبد الله صاحب "المستدرك": « الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة »[٦].

وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول: « قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب »[٧].

وفي الجملة فليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة، لأن إسنادها مظلم مُخْتَلَق، ولفظها مختلف أيضا، ولو كانت ثابتة لم تكن فيها

---

(١) أحوال الرجال (رقم ٣٧٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٥٢).
(٣) التاريخ الكبير (٨/ ٢١٨).
(٤) الكامل (٧/ ٢٥٦٣).
(٥) كتاب المجروحين (٣/ ٩٣).
(٦) لسان الميزان (٦/ ٢١٠).
(٧) تاريخ الدوري (٢/ ٦٢٦).

حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم.

وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكمٌ شرعي، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابةُ والتابعون أعلمَ به، وأعملَ به من غيرهم.

وأما سند ابن النجار ففيه أيضاً مجاهيل غير معروفين ابتداء من شيخه إلى محمد بن حرب الهلالي.

قال شيخ الإسلام في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم" قال ما نصه:

« ولم يكن أحد من السلف يأتي قبر نبي، أو غير نبي؛ لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يُصلُّون ويُسلِّمون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما، واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه، فقال مالك وأحمد وغيرهما: يستقبل قبره ويسلم عليه، وقال أبو حنيفة: بل يستقبل القبلة ويسلم عليه »[١].

هذا وقد أغنانا الله عز وجل عما حرم من التوسلات الشركية والبدعية بما شرع لنا من التوسل المشروع، وهو التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، قال الله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الأسماءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[٢].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٦٢).
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

وكذلك شرع لنا التوسل إليه بالأعمال الصالحة من دعائه وطاعته واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، وحبه والإيمان به، كما في حديث أصحاب الغار الذين توسلوا إليه لما وقعوا في الشدة بأعمالهم الصالحة ففرج عليهم.

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِليهِ الوسيلةَ وَجَاهِدُوا في سَبيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [1]، وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان أن الوسيلة إليه تعالى في هذه الآية هي: طاعة الله تعالى بما شرع، والانتهاء عما نهى عنه ومنع.

وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية[2].

فهذا هو التوسل المشروع.

وأما التوسل غير المشروع فهو قسمان:

١ـ توسل شركي: كالحلف بغير الله ودعاء غير الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُرُّ في البَحرِ ضَلَّ مَن تَدعُونَ إلاَّ إِيَّاه﴾[3]، وقال: ﴿أَمَّن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دعاهُ ويكشفُ السُوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلفاءَ الأرضِ أَإِلهٌ مع الله قليلا ما تَذَكَّرُونَ﴾[4].

وكذلك الاستغاثة والاستعاذة بغير الله، وتعليق التمائم، والحلقات، والطيرة، هذه كلها من الشرك، لا يجوز لمؤمن بالله أن يصرف الاستغاثة، والذبح، والاستعاذة لغير الله، فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد أشرك كما جاءت به النصوص.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٧.

(٤) سورة النمل: الآية ٦٢.

٢ـ التوسل البدعي، كأن يقول: توسلت بجاه فلان، أو بحرمته، أو بحقه عليك، أو بفضله، أو بعلمه، فإن هذه الألفاظ بدعية، لم يُنْقَل عن النبي صلى الله عليه وسلم في واحد منها شيءٌ صحيحٌ ولا حسنٌ، بل كل ما نقل في هذا الباب موضوع، أو ضعيف جداً، لا يصلح للاحتجاج به، أوصحيح خارج عن الموضوع، كما تقدم في توسل عمر رضي الله عنه بالعباس، وكما في حديث الأعمى على القول بصحته.

ونسأل الله العلي القدير أن يُلهمنا الصواب في القول والعَمَل، ويُجَنِّبَنا الخَطَأَ والزَّلَل، وصلى الله وسلم على نبينا محمَّدٍ، وآلِهِ، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، آمين.

* * *

فهرس الموضوعات